
علي سالم
أيام الضحك والنكد
دل DM
الدار المصرية اللبنانية

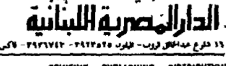

أيام الضحك والنكد

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م

الطبعة الثانية

١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣ م



الدار المصرية اللبنانية
طباعة • نشر • توزيع
AL-DAR AL-MASRIAH AL-LUBNANIAH
PRINTING — PUBLISHING — DISTRIBUTION

علي سالم

أيام الضحك والنكد

تقديم :

مختار السويفي

الناشر

الدار المصرية اللبنانية

إهـــــداء

أهدى هذا الكتاب إلى زوجتى فايزة حباً وتقديراً وعقاباً .

الحب لها ، والتقدير لأنها تحملت كل حماقاتى ، أما العقاب فلأنها تزوجت رجلاً لا يملك سوى الكلمات في منطقة يشترى أهلها سلعة واحدة ، هى الصمت . وحتى عندما يشترون الكلمات ، فهم يحرصون على انتقاء الصامت منها .

ولا حول ولا قوة إلا بالله .

على سالم

أم الدنيا ــ ١٩٩١

تقديـــم :

بقلم : مختار السويفى

من أسهل الأمور بالنسبة للكاتب المبدع أن يؤلف من الكلمات ما يثير الدموع فى مآقى العيون ، ولكن أصعب الأمور أن يصيغ الكاتب من الكلمات ما يرسم ابتسامة صادقة على وجه إنسان .

والضحك من الناحية الجسمانية هو أن تنفرج شفتا الإنسان وتبدو أسنانه ويحدث أصواتاً متقطعة للتعبير عن سروره . والضحك ضرورة من ضرورات الحياة ، ولولاه لأخذ الناس يطقّون واحداً وراء الآخر ، ويموتون كمداً وبحق وحقيق ، وليس كمن يموتون من شدة الضحك وهو قول شائع معروف ولكنه لا يقوم على أساس تطبيقى سليم .

والفرق بين الضحك والابتسام هو « الصوت » . فالضحك لابد أن يكون بصوت مسموع مرتفع أو منخفض . وهذا أمر ضرورى ولازم ، لأن الضحك بدون صوت يصحبه يتحول إلى ابتسام .. كما أن الإنسان إذا ابتسم فلابد أن يبتسم فى صمت ، لأنه إذا أخرج صوتاً أو قهقة لتحولت ابتسامته على الفور إلى ضحك .

وإذا كانت « الفاكهة » هى ألذ وأطيب غذاء للبطون ، فإن « الفكاهة » هى أطيب الكلمات فى أية لغة من لغات الأرض ، وألذ غذاء للعقول والنفوس . ومن عبقرية اللغة العربية أن الكلمتين : « الفاكهة والفكاهة » تتكونان من نفس الحروف .

والفكاهة هى المزاح اللطيف والتمتع بالكلام الطريف والظريف . وهى الطريق السالك الذى يؤدى إلى الضحك أو الابتسام .. وهى أيضاً وسيلة إلى انتقاد ما يستحق النقد والسخرية بكل ما يجلب السخرية من الأقوال والأفعال والسلوك غير القويم ..

الضحك والابتسام والفكاهة والنقد والسخرية وضرب العيوب ، وكشف طرق الأدعياء والمحتالين ، والدعوة إلى إصلاح المثالب الاجتماعية والحكومية والسلوكية .. كل هذه الوسائل هى أصابع البيانو البيضاء والسوداء التى يعزف عليها على سالم ألحانه .. سواء جاءت هذه الألحان فى شكل مسرحيات كوميدية أو فى شكل مقالات أدبية ساخرة .

والكوميديا هى الهدف المنشود الذى يستهدفه على سالم فى كل أعماله ، هى صنعته وحرفته وفنه .. فهو يريد دائماً أن يضحك الناس بما يؤلفه من دراما أو بما يكتبه من مقالات ، بل هى طريقته العادية فى الأحاديث التى تجرى بينه وبين معارفه واصدقائه .

يريد أن يُضحك الناس ولكن بكشف عيوبهم ومثالبهم وجهلهم

وسوء تقديرهم للأمور وبيروقراطيتهم وظلمهم للآخرين وتعسفهم وتعصبهم للجانب المخطىء على اساس أنه الجانب الصواب .

وقد ابتدع على سالم مذهباً كوميدياً خاصاً به وحده ، ومختلفاً عن بقية المذاهب الكوميدية الأخرى المعروفة فى عالم التأليف الدرامى . وهو بلا شك قد درس هذه المذاهب وسبر أغوار فلسفاتها ومناهجها ، ولكنه لم يقلد أياً منها ، بل اخترع لنفسه مذهباً تختلط فيه فلسفات الكوميديا الأدبية Litarary Comedy بكوميديا المزاح Comedy of Humours بالكوميديا القائمة على المواقف والشخصيات المعقدة Comedy of Intrigue بكوميديا السلوك Comedy of Manners .

وبهذا الخليط الفنى المقتدر استطاع أن يمزج أيضاً عناصر المأساة بعناصر الملهاة ، مع ميل واضح إلى تغليب عناصر الملهاة التى يقوم عليها نقده وسخريته ، لأنه يهدف فى النهاية إلى تحقيق عمل كوميدى فى أصله وأساسه . وهو بذلك يثير الضحك فى نفس المشاهد أو القارىء كما يثير أساه ولوعته ويحفزه على اتخاذ موقف إيجابى مؤيد لموقف المؤلف ومقتنع به غاية الاقتناع . وهذا هو النجاح الكامل .

ولعل أهم ما يميز على سالم فى كتاباته المسرحية والأدبية هو خياله الواسع وقدرته على أن يختار فكرة أو أفكاراً غريبة يبنى عليها الوقائع أو الأحداث التى تتضمنها مسرحياته أو مقالاته ، وذلك دون أن تكون هذه الفكرة هى الهدف المقصود من المسرحية أو

المقال، ولكنه يستعين بها لتوضيح فكرته هو وقصده هو، واتجاهه إلى النقد والسخرية من شيء آخر محدد قد يكون اقتصاديا أو أدبياً أو سياسياً أو اجتماعياً أو سلوكاً من السلوكيات المرفوضة فردية كانت أو جماعية.

وأنا شخصيا أرى أن هذا الخيال الخصب الذى تتميز به معظم أعمال على سالم المسرحية والأدبية يرجع أساساً إلى مصدرين أولهما موهبة مثقفة لاجدال فى سطوعها، وثانيهما هو أنه اقتحم عالم التأليف الدرامي من باب التأليف لمسرح العرائس «الناس اللى فى السما التامنة». وقد أدرك على سالم منذ البداية أن التأليف للعرائس يتطلب قدراً أكبر من الخيال سواء فى رسم وتكوين الشخصيات أو فى حبك المواقف أو فى صياغة الحوار، بالإضافة إلى القاعدة الذهبية التى تقول بأن إمكانيات العرائس تبدأ حين يعجز الجسم البشرى للممثل الحى عن الأداء. وأن العرائس قادرة على تحقيق خيال المؤلف مهما شطح وجمح. ومن هنا استطاع على سالم أن يصقل موهبته وقدرته على التخيل والافتراض فتدفقت مسرحياته: «الراجل اللى ضحك على الملايكة» و«الملوك يدخلون القرية» و«أولادنا فى لندن» و«الكلاب وصلت المطار» و«خشب الورد» و«انت اللى قتلت الوحش» و«عفاريت مصر الجديدة» و«عملية نوح» و«بكالوريوس فى حكم الشعوب» و«بير القمح» و«حدث فى عزبة الورد».. وغيرها من المسرحيات الأخرى التى تمتزج فيها الواقعية بالخيال

المخصب البناء والقدرة على افتراض الشخصيات والمواقف والأحداث بشكل يخدم هدفه فى النقد والسخرية.

ومن أهم ما يتميز به على سالم هو فضيلة الصدق.. الصدق مع نفسه ومع الآخرين.. والصدق فى كتاباته المسرحية وكتاباته الأدبية.. والصدق الشجاع الذى لا يخشى فى الحق لومة لائم، ولا يخاف أو يجبن أمام سلطة متعسف أو جبروت ظالم جبار.

ومن منطلق هذا الصدق لا يدعى أنه سليل أكابر من أصحاب المجد والحسب، بل يعترف بكل بساطة الصدق وحلاوته بأن طفولته كانت شقية، وأن الحياة أثقلت كاهله منذ البداية المبكرة بمسئوليات عائلية جسام، فاضطر أن يمارس فى طفولته الأولى مهناً عديدة تناسب سنه.. وتنقل من مهنة إلى أخرى.. لم يستقر لحسن الحظ فى أية واحدة منها.. فعمل صبياً لجزمجى وصبياً لنجار وصبياً لترزى.. وفى متجر للأقمشة والمانيفاتورة ومشغلاً للتطريز.. وبالرغم من كل ذلك الهم الثقيل راح يحفظ المنولوجات والنكات.. ولا يترك فرصة سانحة ليلقيها بين الناس..

ولعل هذه النشأة العجيبة والمعاناة المبكرة كانت الحافز المباشر الذى دفع على سالم إلى أن يصبح مشحونا بالتجارب الحياتية، فاهماً لكل ما يكتنف الحياة فى المجتمع المصرى من ضعف وحمق، وتواقاً دائما إلى السخرية بكل ما يعتبره ضعفاً وحمقاً فى سلوكيات البشر، وكل ما يضيق به صدره ــ وصدور الآخرين ــ من رفض لهذه السلوكيات والرغبة العارمة فى التخلص منها.. حتى ولو

كانت الوسيلة الرمزية التي ينتهجها الكاتب هي مجرد مساهمته في تحرير القارىء من انفعالاته المكبوتة.

وربما كانت هذه النشأة أيضاً هي الدرج الذي صعد عليه على سالم وارتقى إلى مراحل التعليم والتعلم والاطلاع على تراث الثقافات الإنسانية الواسعة.

والذي يقرأ مقالاته أو يشاهد مسرحياته يدرك على الفور أصداء الثقافة العميقة التي يتحلى بها المؤلف بالرغم من كل صفات السهولة واليسر والبساطة التي يعرض بها المؤلف موضوعاته، وبالرغم من سهولة وبساطة الأسلوب المتدفق بسلاسة تتناسب مع ما في الوقائع والأحداث من يسر ووضوح، ومع ما يهدف إليه المؤلف أساساً من نقد لاذع وسخرية مريرة في أغلب الأحيان.

ومعظم الموضوعات التي تناولها على سالم في كتابه هذا «أيام الضحك والنكد» تقوم على هذا الأساس وعلى هذا المنهج الفلسفي الواضح. وإذا فحصنا نموذجاً واحداً من هذه الموضوعات لتبينت لنا على الفور طريقة المؤلف في التخيل والافتراض والتفكير، فهو على سبيل المثال يفترض أن شيكسبير قد قام من قبره وقدم إلى مصر لشدة رغبته في الاشتراك في تأليف التمثيليات والمسلسلات التي يقدمها التليفزيون المصري.. فماذا حدث له عندما بدأ يقابل المسئولين عن الدراما في التليفزيون الذين تجاهلوه وسخفوا له أعماله وأفكاره.. فهذا موقف كوميدي بكافة المعايير ويصلح أساساً لعمل درامي، ولكن على سالم كتبه في شكل مقال ساخر، أتاح لنا

متعة مصاحبة شيكسبير فى جولته مع التليفزيون المصرى، وجعلنا نرثى لحال الاثنين معاً: شيكسبير والتليفزيون.

ومن المؤكد أن قارىء على سالم يستطيع دائماً أن يستشف أصالة فكر الكاتب وقدرته على السخرية، فيبتسم أو يضحك على طرافة المفارقة والنكتة التى تلم شمل الموضوع بأكمله، كما يستطيع القارىء أيضاً أن يدرك جدية الهدف الذى يسعى إليه المؤلف ويهدف إلى تحقيقه.

والآنَ أترككم لتتمتعوا خمساً وأربعين مرة.. وهى عدد موضوعات هذا الكتاب المتميز.

مختار السويفى

كورنيش النيل: فى أول أكتوبر ١٩٩١.

كيف تصبح مؤلفاً رديئاً

أن تكون مؤلفاً ممتازاً أو حتى جيداً فهذا أمر يجلب لك المتاعب والآلام ويجر عليك الفقر أيضاً. المخرجون سوف يهربون من أعمالك. والمنتجون سوف يفرون منك فرارهم من الجرب، لأنهم يعلمون جيداً أنه ولا محطة تليڤزيونية واحدة فى المنطقة العربية كلها ستشتريها، وبذلك يفلسون فى لحظة، فالمؤلف الممتاز جاد بطبعه لذلك سوف يعالج فى عمله الفنى مشكلة حقيقية تهم بلده وناسه وأهله.. ترى.. من هو المسئول الذى يغامر بمنصبه ويسمح بعرض عمل فنى يناقش مشكلة حقيقية؟ بالطبع لا أحد!

ولذلك وحرصاً على مستقبلك ومستقبل كل الرقباء والمسئولين فى غالبية محطات التليڤزيون العربية، سوف أهتم فقط بأن أجعل منك مؤلفاً رديئاً.. وإذا هضمت دروسى جيداً.. وبذلت مجهوداً فى فهمها فأننى أعدك بأكثر من ذلك.. لن تصبح مؤلفاً رديئاً فقط، ولكن بشعاً أيضاً.. مما يتيح لأعمالك أن تحتل غالبية

ساعات الإرسال على الشاشة الصغيرة فى منطقتنا العربية ثم تغزو السينما والمسرح بعد ذلك بسهولة..

كن ظريفاً ترى الوجود ظريفاً:

هناك نصائح عامة تؤهلك للتواجد والانسجام مع الوسط الفنى. كن لامعاً وظريفاً دائماً. ابتسم للجميع فى بلاهة وعذوبة. لتكن كلماتك مليئة بالرقة والود الزائف. إذا قابلت زميلاً، عانقه وقبله من خديه فى اشتياق على الفور حتى لو كان قد مر على لقائكما الأخير عشر دقائق فقط.. واستخدم فى ترحيبك بزملائك ألفاظ الترحيب المعسولة التى لا معنى لها.. مثل (معقولة حلاوتك دى كلها.. ياحلو إنت..؟) أو.. (عسل.. طول عمرك عسل.. بس البلد دى مابتقدرش..).

أحذر من ان تتفوه بأى لفظ يُشْتَم منه انك تفهم شيئاً.. لا بد أن يبدو واضحاً للجميع انك منخفض الذكاء إلى الحد الذى يجعلك زميلاً طيباً، إذا حدث وقرأت كتاباً بالصدفة، حذار أن تتحدث عنه أمام زملائك.. سوف ينقلك ذلك لمعسكر الاعداء فى لحظة.

لنفرض أنك تواجدت بالصدفة فى جلسة قرر الموجودون فيها أن يمثلوا دور المهتمين بالفن اهتماماً حقيقياً.. وان يتظاهروا بحرصهم على تنقيته من الشوائب.. ندوة مثلاً.. أو فى حضرة أحد الرسميين.. أو فى وجود ناقد هام.. أو منتج جديد.. ماذا تقول..؟

لا تضطرب.. فالخروج من هذا المطب الذى نادراً ما يحدث،

أمر سهل للغاية، أصمت وابتسم للكاميرا فى تهذيب.. وعندما يجيىء عليك الدور فى الكلام.. تكلم بشكل عام واحرص على ألا تقول جملة مفيدة.. ولا تنس فى بداية حديثك أن تشكر المسئولين الذين أتاحوا لك ولزملائك فرصة مناقشة هذه الأمور الهامة وتوعية الناس لها.

لنفرض أن الحديث يدور حول الكوميديا.. والأعمال الهابطة.

عليك أن تقول.. أنها ليست أزمتنا وحدنا.. إنها أزمة الكوميديا فى العالم كله (هذه الجملة تسعد المسئولين جداً.. فعالمية أى مشكلة تعفيهم من مسئولية حلها).. وعلينا أن نكون جادين فى حلها.. وإلا.. فعلينا أن نتوقع أن يطغى الإسفاف على كل أعمالنا الكوميدية.. (ولكى لا يغضب منك وعليك العاملون فى حقل الكوميديا الهابطة.. وكى تتقى شرهم، تستطيع أن تكمل..).. إننى لا أتهم كل الأعمال الكوميدية بالإسفاف فبعض هذه الأعمال جيد جداً ولا خطر منه ألبتة.. (إذا كانت الندوة رسمية، هاجم على الفور المنتجين الجهلة الذين يفسدون الفن بأموالهم رغبة فى الثراء السريع أما إذا كان حديثك فى جلسة خاصة يحضرها بعض هؤلاء المنتجين الجهلة الدخلاء.. فعليك أن تهاجم بضراوة تدخل الدولة ومؤسساتها فى الفن الذى هو سبب كل الشرور التى نعانيها.. وأن الفن لن يرتفع إلا على أكتاف هؤلاء المنتجين الأشراف).

نأتى بعد ذلك لنوعية الكلام الضخم الذى يترك انطباعاً بأنك

عتويل جداً.. مثل.. لعلكم لاحظتم ياسادة.. أننا جميعاً نناقش القضية من منظور انعكاساتها كأثر عام على الفن والفنانين كمبدعين أصليين.. وهذا أمر طيب.. ولكن البعض منا نسى، أو تناسى.. أن المضى قدماً فى هذا الاتجاه سوف ينتج عنه إغفال عناصر هى بالحتم وبالضرورة جزء لايتجزأ ولا ينفصل عن المصنف الفنى نفسه.. والذى يمثل المتفرج الذى هو المستهلك الأساسى للسلعة الفنية، ضلعاً هاماً فيه.. ولكننا فى المقابل.. إذا سلمنا بذلك جدلاً، علينا بألا نوافق على المقولة ونقيضها فى نفس الوقت.. فكما علّمنا أرسطو.. بأن الشىء لايمكن أن يكون وألا يكون بنفس الوقت وبنفس الكيفية فى وقت واحد.. فهذا أمر لابد أن نهتم به اهتماماً حقيقياً وجاداً.. إذا أردنا للكوميديا أن تبتعد عن الإسفاف، وأنا أعلم أنكم جميعاً ــ لحسن الحظ ــ مهتمون فعلاً بذلك.

وبعد أن تنتهى الجلسة أو الندوة.. وينصرف كل منكم إلى بيته.. أو إلى بيوت الآخرين.. أو إلى الأماكن التى ستعرفها فيما بعد.. أطلب الجميع بالتليفون وهنىء كلاً منهم على حدة إنك شخصياً قد استفدت مما قاله.. أما هؤلاء الذين لم يقولوا شيئاً.. فاتصل بهم أيضاً..

ألو.. كنت حلو قوى فى القعدة بتاعة إمبارح.. لقد لاحظت أنك ظللت صامتاً طوال الجلسة.. عندك حق.. أن الطريقة الوحيدة للرد على هؤلاء الناس أن نسكت تماماً.. لقد كنت أنا

ساذجاً وتكلمت.. ليت لى قدرتك على السكوت فى مثل هذه الحالات.. هيه.. حاتسهر فين الليلة دى ياعسل؟

قَوِّ ومتِّن صلاتك بكل محررى الأبواب الفنية.. لابد من الإلحاح باسمك على قراء الجرائد والمجلات بمناسبة وبغير مناسبة.. وحتى إذا لم تجد أخباراً حقيقية تنشرها عن نفسك.. فمن الممكن أن نقرأ عنك الخبر التالى.. (يفكر فلان الفلانى (اللى هو أنت).. فى كتابة عمل جديد. فى القريب سوف يخرجه الأستاذ فلان وتقوم ببطولته فلانة الفلانية) أو (اعتذر فلان عن كتابة سيناريو حلقات كذا لأنه مشغول بالتفكير فى مسلسل كذا).. أو.. (فلان الفلاني استغرق فى التفكير فى مسلسله الجديد بينما كان يحلق ذقنه فجرح نفسه جرحاً طفيفاً ينتظر أن يشفى منه بعد يومين).

لاتختلف معهم. لاتصطدم بأحد.. لاتقاوم.. بل استسلم على طول الخط لطلبات الجميع.. هذه هى الطريقة الوحيدة لكى يظهر عملك للوجود.. ولكى ــ وهذا هو الأهم ــ تقبض فلوسك..

بالطبع أنت تعتقد أن كاتب السيناريو هو المسئول عن كتابة السيناريو.. وان المطلوب هو موافقة المخرج فقط.. هذا غير صحيح.. سوف يتدخل فى عملك البطل والبطلة.. والممثلون وأصدقاؤهم وأقاربهم وأبناؤهم وأى شخص من طرفهم.. جالس.. أو يمر بالصدفة.. سوف يكون لكل منهم وجهة نظر مختلفة.. ومعارضة لوجهة نظر الآخر.. احترم وجهات نظرهم كلها ونفذ

التعديلات التى تطلب منك على الفور.. خصوصاً إذا تبنتها البطلة وتحمس لها البطل.. عليك أن توافق دائماً على ما يقوله الجانب الأقوى.. ولا تنس أنك الجانب الأضعف.. لأنك مؤلف ردىء.. وهم أتوا بك لهذا السبب وحده.. والآن يا عزيزى..

أنت الآن تقف على أول الطريق.. سوف أصحبك فى رحلة طويلة فى غابة الفن.. ستتعرف على كل وحوشها، كما ستتعرف على طيورها الكاسرة الجارحة وطيورها الجميلة المغردة.

سوف أعلمك كل أسرار الصنعة التى تكفل لك النجاح والانتشار.

لقد وعدتك بأن أجعل منك مؤلفاً رديئاً.. وسأفى بوعدى.

الدرس الأول: الفكرة:

لا أحد يعلم حتى الآن.. لماذا.. ومتى.. وكيف وما هى بالتحديد الطريقة التى تظهر بها الفكرة المبدعة فى عقل الفنان المبدع ؟!

فجأة، فيما يشبه الإلهام، ترتسم صورة شاحبة فى ذهن الفنان، ثم تختفى على الفور، ولكن بعد أن تنجح فى تنبيه حواسه لها. وتمر الأيام، وقد تمر الشهور قبل أن تأتى نفس الصورة وقد ازدادت ملامحها وضوحاً. كما أن الشخصيات التى بها والتى كانت مجرد ظلال من قبل. أخذت هى الأخرى تتحدد ملامحها وتزداد وضوحاً. الفكرة هذه المرة لم تعد مراوغة ولن تستطيع

المروب كما فعلت من قبل. لقد قفزت إلى ساحة العقل الواعى وأصبحت أسيرة له، وعليها أن تستسلم لكل ما يأمرها به.

ومع ذلك فالفنان لا يقنع ولا يرضى بذلك. فالرحلة ما زالت طويلة. والفكرة ما زالت مسطحة باردة وهو يريدها مجسدة ساخنة قوية التقاطيع والملامح. عند ذلك يعلن الفنان حالة الطوارىء القصوى بداخل عقله وقلبه ثم يتسلح بكل الوعى وبجزء كبير من اللاوعى ثم يقفز داخل نفسه بادئاً رحلة الخلق الشاقة.

عندئذ يتحول العمل الفنى الكامن إلى عذاب مقيم وهو يعذب الفنان ويحرمه من النوم ليلاً ويفسد عليه حياته نهاراً، هناك ميلشيات مسلحة تتصارع بداخله ولن يحصل على السلام إلا إذا جلس إلى مكتبه وأوراقه ونقل هذا العذاب من داخله إلى الورق. إنها عملية ولادة حقيقية بكل ما يصاحبها من آلام وبكل ما يجب أن يصاحبها من أناة وحرص وحذر، وهو عندما يكتب (أقصد عندما يلد) لا يجب أن يطارد أفكاره بعنف أو يقسو عليها مطالباً إياها بالتدفق بل عليه أن يسير فى الطريق الذى تدفعه إليه فكرته الأساسية ولا يسمح لنفسه بالتدخل فى مسارها. عليه أيضاً أن يخفت صوت عقله الواعى لصوت اللاوعى فهو أكثر صدقاً وإبداعاً.

وماذا عن التكنيك الذى هو بطبيعته واع كل الوعى بوسائل الحرفة. صدقنى التكنيك ليس مهماً لهذه الدرجة. فالفكرة المبدعة، تولد ومعها كتالوج صغير خفى يرشد المبدع بلطف للشكل الذى يقدمها فيه. يساعده فى ذلك بالطبع أنه قرأ من قبل

ـ وأحب ـ وشاهد أعمالاً عظيمة عديدة أكسبت عقله قوالب واشكالاً فنية امتزجت بخياله وأصبحت جزءاً من تكوينه الإبداعى .

باختصار أقول لك : الفكرة المبدعة تأتى وتنمو وتتحول لعمل فنى بدافع من العشق والألم .

المعشوق هو الحياة بكل ما فيها .. الناس ، حاضرهم ومستقبلهم ، الجمال . الخير. المعرفة . الحكمة . ومصدر الألم هو كل ما يهدد ذلك من قبح وشر وكذب .

لذلك نجد أن الفنان عندما يفقد قدرته على الاهتمام بالحياة والناس وتحت وطأة اهتمامه بنفسه ، يفقد قدرته على التألم من أجل الآخرين . فيفقد اهتمامه بهم . عند ذلك تفقد الأفكار المبدعة اهتمامها به فلا تقفز بداخله محتضنة عقله وروحه . مصدرة بذلك حكماً بإعدامه .

ليتك كنت تلميذاً مجتهداً فى مدرسة الدراما فأقول لك : أقم جسراً قوياً من الحب والعطف بينك وبين الناس ، إفتح كل خلايا عقلك وروحك .. واجلس فى طمأنينة منتظراً الفكرة المبدعة القادمة . فهى قادمة حتماً .

ولكن بما إنك يا تلميذى الحبيب العزيز تريد أن تكون مؤلفاً رديئاً كى تضمن النجاح والانتشار فإننى أنصحك بأن تكره الدنيا والناس وكل ما هو جميل .

كن كارهاً ولا مبالياً وكاذباً وقميئاً وقبيحاً أيضاً. فبهذا وحده يسهل عليك أن تقدم أعمالاً سخيفة تعذب الناس وتفقدهم استمتاعهم بالحياة..

طيب.. بما إنك محروم من الخيال والإبداع..

من أين ستأتى بالأفكار اللازمة لكتابة المسلسلات والأفلام؟

هناك مصادر عديدة:

١ــ كل ما يحدث من حكايات سخيفة، مكررة ومعادة، ومشاكل أسخف لأفراد أسرتك العزيزة وللجيران.

٢ــ كل الحكايات التى تسمعها فى المقاهى.

٣ــ كل ما ينشر فى أبواب المشاكل العاطفية وصفحة الحوادث فى الصحف والمجلات ابتداء من «ارغمنى أهلى على الزواج من شاب لا أحبه، ثم أرغمنى هذا الشاب على أن أحبه ــ ومروراً بـ «تركنى حبيبى وسافر إلى أوروبا للدراسة وهناك تزوج بفتاة أوروبية.. هل هو نذل؟ إلى أن نصل إلى مشكلة الفتاة التى لا تعانى من مشاكل وتفكر فى خطف خطيب زميلتها كى تشعر بطعم الحياة».

٤ــ أن تعيد كتابة كل الأفلام والمسرحيات العربية والأجنبية القديمة بشكل جديد.

«أنصحك بالحذر فى تنفيذ هذا البند لأن زملاءك بالتأكيد سبقوك إلى تنفيذه».

٥ ــ تابع مهرجانات السينما الأجنبية واحرص على أن تسطو عليها وهى لسه طازة قبل أن يسبقك إليها الآخرون. بالطبع لن يكشفك إلا المتخصصون وهؤلاء لا تخشاهم، لأنهم لا يشاهدون التليفزيون وحتى إذا اكتشف أحد الناس إنك لص .. إيه يعنى ؟ أنت بالطبع صفيق لدرجة أن هذه الأمور لا تهز شعرة من رموشك ..

وبعد أن تتعب من السطو على أفكار الآخرين، وعلى سبيل التنويع، أنصحك بأن تسطو على أفكارك شخصياً طبقاً لنظرية أسرق نفسك بنفسك.

هل تذكر مسلسلك الناجح عن الرجل العجوز الذى يكره زوجته الشرسة ويحب الفتاة الصغيرة.. هذه الفكرة تصلح لعمل مائة مسلسل مختلف وناجح.

فى المسلسل الأول :

الرجل العجوز سيكون جراحاً كبيراً والفتاة ممرضة حسناء صغيرة تربى أخوتها الصغار بعد وفاة والدها. وزوجة الجراح ستكون سيدة مريضة بمرض لا شفاء منه (الانفلونزا مثلاً).

فى المسلسل الثانى :

الرجل العجوز سيكون رئيس مجلس إدارة وزوجته محامية صارمة جادة متجهمة دائماً والفتاة الصغيرة ستكون سكرتيرة حسناء تنفق على أختها التى تدرس الذرة فى أمريكا (من الممكن أن تضفى



على الموضوع صفة قومية بأن تجعلها تبحث عن نظرية ذرية عربية) .

فى المسلسل الثالث :

الرجل العجوز سيكون صاحب المراكب المفترى الذى يعامل الصيادين بقسوة وزوجته صاحبة مقهى بلدى وهى أمرأة شرسة وتتصدى لها الفتاة الصغيرة الحسناء بائعة السجائر أو بائعة البطاطا التى ترعى أخاها الذى قبض عليه فى قضية لفقها له المعلم الكبير.. وفى النهاية يطهر حبها قلب المعلم من الوحشية التى عششت فيه زمناً طويلاً ويتحول إلى رجل طيب يكافح من أجل الصيادين .

فى المسلسل الرابع :

الرجل العجوز شرير من مراكز القوى ، يذيق الشعب من صنوف الهوان ألواناً وأشكالاً وزوجته شريرة هى الأخرى تمتلك شركة لاستيراد الشامبو الفاسد وأدوات الماكياج الفاسدة بدلاً من الفراخ الفاسدة التى تكررت فى أعمال فنية كثيرة . الفتاة الصغيرة الحسناء المناضلة تكافح من أجل الإفراج عن زوجها الذى سجنه العجوز الشرير. يموت الزوج المناضل أثناء التعذيب (إذا اعترضت الرقابة فاجعله يموت موتة ربنا) .. عاقب الزوجة بأن تجعلها تستخدم أدوات الماكياج الفاسدة التى استوردتها . عند ذلك يتساقط شعرها ويحترق جلدها .. فى ستين داهية .. العجوز الشرير يحب

الحسناء المناضلة.. فتحبه بشرط أن يتحول لرجل طيب.. فيتحول ويحب الشعب.. ويكافح من أجله..

هأنت ترى ياعزيزى أن الفكرة الواحدة صالحة لعمل مائة مسلسل سخيف جدير بقلمك الردىء الناجح.

الدرس الثاني: كتابة الملخص:

تخيل معى لو أن شعباً بأسره شاهد قبل أن ينام عملاً فنياً عظيماً قدمته محطة التليفزيون. ولما كانت عملية التخيل مجانية بطبيعتها فلماذا لا نمضى فى الخيال إلى الحد الذى يجعلنا نتصور أن شعباً بأكمله سيشاهد كل ليلة عملاً فنياً وإنسانياً عظيماً.. ترى ما هى الآثار الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المترتبة على ذلك..؟

إن الفن العظيم يسرى فى النفوس ويقويها بأكثر مما تفعل الدولارات وخطب الزعماء وكلمات الساسة وتعليمات الدولة. وهو أيضاً يعيد للإنسان إنسانيته ويذكره بواجباته تجاه الجماعة التى هو جزء منها، كما ينشط قدراته الخلاقة ويقويه على قهر الشر بداخله ومن حوله ويجعله أكثر قرباً من الخير والحكمة.

والإلحاح بالفن العظيم بكافة فروعه على الإنسان، يحوله بالتدريج إلى إنسان فاضل ومواطن صالح, أما الأعمال الرديئة فهى تفعل بالناس عكس ذلك تماماً. وإذا اتيحت لك الفرصة للاقتراب من هؤلاء الذين يتعاونون من أجل إنتاج فنى تليفزيونى

ردىء فسوف يفزعك ما يحظون به من ضعف روحى وكراهية للحياة وفقدان الأمل فى الغد، وهم جميعاً بوعى أو بلا وعى يسكبون ذلك كله على الورق ويدلقونه على الكاميرات فى الاستوديوهات فيلتصق على الفور بشريط الڤيديو المسكين الذى يصبه بدوره من خلال أجهزة التليڤزيون المنتشرة فى البيوت على المواطنين التعساء الذين لا حول لهم ولا قوة.

ومع ذلك، فالجريمة الوحيدة التى تفلت دائماً من العقاب فى العالم هى الكتابة الرديئة، إنها الجريمة الكاملة التى يحسدنا عليها عتاولة المجرمين فى كل فروع الجريمة الأخرى. أذكر لك هذه المعلومة لكى تطمئن بالاً ولا تنشغل إلا بالنجاح الساحق الذى ستحققه بأعمالك التليڤزيونية.

ننتقل الآن لأولى الخطوات العملية وهى: كتابة ملخص العمل الفنى.

من المعروف أن شركات الإنتاج تطلب ملخصاً للعمل الفنى من المؤلف بالرغم من أن الدراما الجيدة لا يمكن تلخيصها. بالإضافة إلى أن تلخيص العمل الفنى قبل كتابته يعرض قارئه لأكبر قدر من الخداع، ولذلك نرى المنتج الواعى ــ فى حالة تقديم عمل من مؤلف غير معروف ــ يصر على طلب حلقتين مع الملخص ليكون على بينة من طريقة العلاج التى سوف يتم بها تحويل كلمات الملخص إلى أحداث فنية. أنصحك بالابتعاد عن مثل هذا المنتج. لأنك لن تفلح فى خداعه.

والآن ياعزيزى سوف نتعاون معاً فى كتابة ملخص عمل فنى مليء بالخدع اللفظية والأحداث الوهمية كفيل بإيقاع أى منتج أو مخرج حسن النية فى براثنك وسوف نحرص بالطبع على حشد أكبر كمية من الشخصيات والعلاقات المتشابكة والحوادث الفرعية بحيث يتوه فيها المخرج والممثلون والمتفرجون وكافة خلق الله.. إليك الملخص.

ملخص سريع لأحداث المسلسل العاطفى

«تساليك الحب»

«حبيبة مدرسة جميلة فى الخامسة والعشرين من عمرها، تعيش مع خالتها التى تعمل بوزارة الاقتصاد والسياحة. تلتقى حبيبة مع الأستاذ حبيب الذى يعمل زميلاً لابنة خالتها حبايب فيقع فى غرامها من أول لحظة ويتخلى عن حبه لحبايب التى كان قد وعدها بالزواج.

تثور حبايب فى وجه حبيبة وتستقيل من الوزارة وتطرد حبيبة من المنزل وعندما تحاول أمها الدفاع عنها تطردها هى الأخرى فتهيمان على وجهيهما فى الشوارع وتلتقيان بالأستاذ حبيب الذى تصادف أن كان يهيم على وجهه هو الآخر فى الشارع نفسه، وتبدأ المشكلة.. إن حبيب يحب حبيبة ولكنها لاتحبه. لأنها واقعة فى غرام محبوب أفندى مدرس الرياضيات فى مدرستها الذى سبق أن كان خطيباً للآنسة محبات وتركته بعد أن اكتشفت أنه شرير. ولكن لا أحد فى المدرسة أو فى وزارة التربية والتعليم يعلم أنه شرير

لقدرته على خداعهم والتمثيل عليهم جميعاً ، يتمكن حبيب من إقناع حبيبة بعد أحداث ضاحكة ودامية أنه يحبها بصدق فتصدقه لفرط بلاهتها . غير أن محبات تتدخل وتكشف لها غدره وشره .

تموت الخالة في حادث .. يستولى الحزن على الجميع فلقد كانت بمثابة الأم الروحية لهم جميعاً ، وفى النهاية ينتصر الحب والحق على الباطل والكراهية ، أما محبوب أفندى المدرس المخادع فيقبض عليه بتهمة إعطاء دروس خصوصية . ومحبوبة تفقد عقلها أثناء صراعها الضارى مع الروتين فى الوزارة ، ولكن يتبقى فى النهاية شيئان جيلان مضيئان ... الحب ... والشقة . فبموت الخالة تصبح الشقة من حق حبيبة وحبيبها محبوب . وتموت صاحبة العمارة أيضاً فلا يدفعان إيجاراً للشقة ، وتبتسم لهما الحياة أكثر وأكثر فتموت عمة غنية لمحبوب ، فيرث مبلغاً طائلاً ، هذا المال يفقده توازنه فيتخلى عن حبيبة ويتزوج من الراقصة سلوى . وبعد أحداث عنيفة دامية وصراع كوميدى وحشى تموت سلوى من الإجهاد بعد أن ظلت ترقص بشكل متواصل لمدة أسبوع على واحدة ونص .

وعاد محبوب لحبيبته ، ولكن بعد ضياع الثروة كلها ، وبدأت الدنيا تكشر عن أنيابها لهما . فقد وقعت العمارة التى كانا يسكنان فيها بسبب زلزال خفيف فذهبا يبكيان لمسئول كبير فرق قلبه لهما واعطاهما خيمة صغيرة ليبدآ من جديد .

ونراهما فى المشهد الأخير يبتسمان فى سعادة وحبور لأنهما واثقان من تساليك الحب .

هيا ياعزيزى.. ماذا تنتظر؟ خذ الملخص واذهب لأقرب شركة إنتاج.

الدرس الثالث: الحــوار:

يهتم كتاب الدراما الجادون بالحدث الرئيسى أو الفعل الرئيسى فى العمل الفنى أكثر مما يهتمون بأى عنصر آخر. فكل الشخصيات، وكل الأحداث الفرعية تصب فى هذا الفعل الرئيسى لتقويه وتبرزه لإحداث الأثر الفنى المطلوب فى المشاهد.

والحوار. عنصر هام من عناصر العمل الفنى، غير أننا يجب أن نتنبه دائماً إلى أن الحوار لايصنع الفعل ولا يصلح بديلاً عنه، هو فقط يعبر عنه، ومن الضرورى أن نعى أن الكلام الذى يتبادله الناس فى الحياة الواقعية ليس حواراً. بل كلاماً مهماً بلغ ذكاء وثقافة وحيوية هؤلاء الذين يتبادلونه على المقهى أو فى المنزل أو فى الشارع أو فى العمل.

وبذلك تصبح محاولة نقل هذا الكلام إلى المسرح، أو إلى الشاشة الصغيرة والكبيرة بدعوى الواقعية أمراً ينطوى على خطأ كبير.

فالواقعية لا تعنى النقل الفوتوغرافى أو التماثل، ولكنها تعنى اقتطاع جزء كبير من الواقع ثم تنقيته من الشوائب. وتصفيته، ثم ضغطه تحت مطارق الإبداع للحصول على جوهر الحياة، جوهر الواقع، وعندما نمسك بأيدينا جوهر الواقع، نكون قد أمسكنا بالفن.

فالناس فى الحياة الواقعية يثرثرون فى عشرات المواضيع دون أن يشعروا بمرور الزمن بدافع من الفراغ أو الملل، أو بدافع من الرغبة فى قتل الوقت، ولكن الشخصيات فى العمل الفنى ليس لها الحق فى قتل الوقت أو الثرثرة. لها فقط الحق فى الحوار.

والحوار هنا يجب أن يتحول لثوب متين محكم حول جسم الحدث. فهو المعبر الوحيد عن تلاقى الإرادات واصطدامها، ومع ذلك فلا يجب أن ننسى أن (السكتات) الهامة أثناء الحوار، تعتبر حواراً هى الأخرى، إذ هى تعبر عن انفعالات تعجز أية كلمات عن التعبير عنها.

وبما إن المسلسلات الرديئة ليس فيها حدث رئيسى مقنع، أو إذا وجد فهو أضعف من أن يعبر عنه بحوار قوى مشحون. والنتيجة الحتمية بالطبع هى وقوع المؤلف فى هوة الثرثرة معتمداً على أن الناس تشاهد عمله بلا تركيز، فهم فى الغالب يتناولون طعام العشاء أو يقومون للدردشة فى التليفون، أو يزورون الجيران ثم يعودون لمواصلة المشاهدة فلا يفوتهم شىء هام، حيث إنه لا يوجد شىء هام أصلاً.

أما أنت يا صديقى الذى سيصبح مؤلفاً رديئاً، فلا بد أن تفعل شيئاً آخر، سأحكى لك حدوتة شعبية قصيرة، كى تتعلم منها:

طلب الابن من والده أن يعلمه (الهيافة) فقال له الأب باختصار:

تعال فى (الهايفة) واتصدر.

هذا هو بالضبط ما يجب عليك أن تفعله . ابتعد عن أى حدث هام وأمسك بشدة في الأحداث الفرعية واستغرقها واغرق المتفرجين معها فى الكلام .. فى الرغى .. ارغ .. ثم ارغ .. ثم ارغ .. وأخيراً ارغ .

فالرغى هو سكة السلامة ، لك وللمنتج ، وهو يضيع وقت المشاهدين ، ولكنه ــ وهذا هو المهم ــ سيتحول لوقت محسوب بالعملة الصعبة عند بيع المسلسل لمحطات التليفزيون وإليك مشهد نموذجى .

صالة المعيشة

المشهد ٤٥ **ليلى / داخلى**

ــ صوت جرس الباب يدق فى إلحاح . صوت البطلة : حاضر .. حاضر .. حاضر .. حاضر .. الله .. ما قلنا حاضر .. متسربع ليه .. ؟

ــ تظهر البطلة قادمة من المطبخ البعيد . تذهب إلى الباب وتفتحه .

(**ملحوظة :** لا يجب أن تظهر البطلة فى البداية علينا أن نستمع إلى صوتها فقط ، كى نراها بعد ذلك فى المطبخ ثم تتابعها الكاميرا وهى خارجة من المطبخ .. ثم تسير على مهل وهى تتقصع

فى ممرات الشقة. ثم تعبر صالة البيت.. إلى أن تصل إلى الباب وبذلك تضيع عدة دقائق من وقت المشاهدين).

ــ البطلة تفتح الباب..

ــ يظهر البطل.

البطلة : مافتحتش ليه ؟.. مش معاك المفتاح ؟

البطل : معايا..

البطلة : ولما معاك المفتاح، وتعرف تفتح الباب.. أمال ضربت الجرس ليه ؟

البطل : عشان تفتحى لى.

البطلة : شوفى يا أختى عمايل الراجل.. وده اسمه كلام ؟.. اشمعنى يعنى أنا اللى أفتح لك ؟ لازم يعنى تشغلنى ؟

البطل : أنا صحيح معايا المفتاح.. لكن ماليش مزاج أفتح.

البطلة : ومالكش مزاج ليه ؟

البطل : كــدة..

البطلة : كدة ليه ؟

البطل : كدة وخلاص..

البطلة : هو كل ما أسألك على حاجة تقول لى كدة وخلاص.. أنت مش حاتبطل كلمة كدة دى يا راجل إنت ؟.. أفهم ايه من كلمة كدة دى ؟

البطل : أفهمى اللى تفهميه.

البطلة : أنا مصرة أفهم حاجة واحدة بس .. وعندى استعداد أسأل فيك لحد السنة الجاية . ايه اللى خلاك يبقى معاك المفتاح فى جيبك وماتمدش أيدك تفتح الباب .

البطل : كنت عاوزك تفتحى لى ..

البطلة : ليـــه .. ؟

البطل : كـــده ..

البطلة : كـده ليـه ..

البطل : الله .. كده وخلاص .. مزاجى ..

البطلة : حايقول لى مزاجى تانى .. ماله مزاجك .. ؟

البطل : وحـــش ..

البطلة : وحش ليـه .. ؟

البطل : أصل قتلت إبراهيم .

البطلة : (وهى تصرح صرخة حادة) يا مصيبتى .. قتلت إبراهيم ؟

(**ملحوظة :** إذا جعلت البطلة تصرخ فقط ثم تتبادل الحوار مع البطل فسوف يفقدك ذلك عدة دقائق ولذلك من الأفضل أن تجعلها يغمى عليها وبذلك تتمكن من جعل البطل يجرى فى المنزل كله صارخاً .. كولونيا .. كولونيا ، وبعد عدة دقائق يعثر على زجاجة الكولونيا فى المطبخ أو مخبأة فى صحارة قديمة موجودة تحت السرير، ثم يعود للبطلة ويرش عليها الكولونيا فتفيق بعد عدة لحظات وبذلك تكتسب عدة دقائق أخرى) ..

ثم يبدأ الحوار.. آسف ، أقصد يبدأ الرغى..

البطل : أيوه قتلته .

البطلة : إنت اتجننت ؟

البطل : ما اتجننتش .. أنا أعقل منك . ومنه ..

البطلة : فيه حد عاقل يقتل حد .. ؟

البطل : أمال كنت عاوزانى أعمل له إيه ؟.. مفيش حل غير إنى اقتله .

البطلة : قتلته ازاى ؟

البطل : مش مهم تعرفى .. المهم إنى قتلته ..

البطلة : هو أنا مش مراتك يا راجل. إنت .. مش من حقى أعرف عنك كل حاجة .. ؟ عاوز تروح تقتل واحد وماتقوليش قتلته ازاى ؟

البطل : حاقول لك بعدين ..

البطلة : يعنى أنت دلوقتى تحولت لقاتل ..

البطل : أيـــوه ..

البطلة : يادى المصيبة ، أودى وشى فين دلوقت من أهلى .. ياما حذرونى من أنى أتجوزك ..

البطل : مش وقته الكلام ده .. أنت حاتنوحى لى .. ناقص كمان تلطمى ..

البطلة : ألطم ده أنا ألطم وأصرخ وألم عليك الناس ، بقى عاوز تتحول لقاتل ومش عاوزنى أنوح .. ؟

البطل : قدرى كده نصيبى كده .. حاولت كتير ما أقتلوش .. مفيش فايدة .. ولما فاض بى .. ومالقيتش طريقة ثانية .. قررت اقتله .

البطلة : قررت أمتى ؟

البطل : أمبارح بالليل ..

البطلة : ما أنا كنت معاك امبارح بالليل وما قلتليش أنك قررت تقتله .

البطل : مارضيتش أقول لك .. عشان ما تمنعنيش ..

البطلة : وهو أنا كنت منعتك قبل كدة يا راجل أنت إنك تعمل أى حاجة .. ما أنا سايباك طول عمرى تعمل اللى عاوز تعمله طول عمرى وأنا سايباك ماشى على حل شعرك ..

البطل : أنا عارف من الأول إنك ما تنفعيش زوجة وإنك حاتتخلى عنى فى أى موقف صعب أتعرض له ...

البطلة : عاوزنى أقف جانبك أعمل أيه يعنى .. ؟ .. إذا كنت مش عاوز تحكى لى أى حاجة فى حياتك .. تسمح تقول لى ما فتحتش الباب ليه .. ؟ .. مع أنه معاك مفتاح ..

البطل : ما قلت لك عشان تفتحى لى ..

وهكذا يا عزيزى .. استمر فى الرغى ..

والآن ، بعد أن انتهيت من تعليمك . أتمنى لك أن تذهب إلى الجحيم بأسرع طرق المواصلات .

شكسبير
يكتب للتليفزيون العربى!

فى تلك اللحظات الحلوة التى يتسلل فيها النعاس إلى جفوننا ونحن نقرأ، فتتراقص فيها حروف الكتاب وتتحول سطوره لشوارع وأشجار وحدائق، فى لحظة من تلك اللحظات، دق جرس الباب ففتحت وفوجئت به يقف أمامى.. نعم هو شكسبير شخصياً، كيف أخطئه؟.. هو شكسبير بشحمه ولحمه ولحيته الأنيقة ونظراته الهادئة.

ــ أهلاً ياعم شكسبير، يا لها من فرصة مدهشة.. تفضل..

دخل الرجل وهو يبتسم ابتسامة شاحبة حزينة ثم جلس متهالكاً على مقعد مريح، كان متعباً جداً بسبب الرحلة الطويلة التى قطعها منذ ذلك العصر البعيد حتى وصل لبيتى، أعددت له عشاء خفيفاً بسرعة ثم طلب فنجان قهوة بدون سكر (أعتقد أن هذه المسألة ستسبب صدمة لمؤرخى المسرح، الذين يعتقدون أنه كان يشرب القهوة بسكر خفيف).

أشعل سيجارته وبدأ يتحدث :

ـــ هل تعتبر ظهوري الآن ومجيئي اليك أمراً لا معقولاً ؟ ..

لقد وطدت نفسي على قبول كل ما هو لا معقول على ظهر هذا الكوكب بعد هذا الذي يحدث في بريطانيا الآن .

ـــ نعم ، آخر ما يمكن تصديقه ، أن يموت الناس في بريطانيا لأنهم سود أو يموتون لأنهم بيض ، أستطيع أن أقول إنه بعد عصر القلق وعصر الذرة ، ظهر عصر جديد .. اسمه عصر العنف والعار .. لقد فقد الغرب شجاعته وروحه وعقله أيضاً ، لقد احترف الغرب العدوان على الآخرين أعواماً طويلة .. وها هو ذا يعتدي على نفسه ، يمزق وجه حضارته بأظافره .

قلت له بحماس :

إذن عد لهم يا شكسبير.. أكتب مسرحاً عظيماً يلتقون فيه فتتطهر أرواحهم ، وترق مشاعرهم ، وتصفو عقولهم فيتصدون لصنع حياتهم بشكل أجمل .

تنهد شكسبير وقال : ياعزيزي ، الناس لا تتجمع في المسرح إلا في فترات العزة القومية والانسانية ، إن إغلاق مسرح « الأولدفيك » ، وتخفيض ميزانية الفنون في بريطانيا أمر وثيق الصلة بما يحدث ، لن تلتقي الناس في المسرح إلا إذا كان يخاطب غرائزها .. سوف يلتقون فقط في الشوارع ليحطموها ، لم يعد لي مكان في لندن .. ولذلك أتيت إليك لتقوم بتعريفي بأحد

المنتجين، سوف أكتب مسلسلات لمحطات التليفزيون العربية. فكرت في ذلك بعد أن عرفت مؤخراً أن أحد أساتذتكم تبنى نظرية مفادها أننى من أصل عربى، وأن اسمى الحقيقى هو الشيخ زبير، ومن ناحيتى أنا أرحب أن أكون من أصل عربى.. لأن كلمة عربى، تعنى الشهامة والنبل، والشجاعة، والجرأة العقلية، والشعر، لا تنس أنى شاعر.. أما اسمى فأنا أرحب بتغييره.. زبير أفضل بكثير من شكسبير.. كل ما أطلبه.. هو أن ترحب المحطات العربية بإنتاجى..

صدمتنى أفكاره فرددت عليه:

ـ ياعم شكسبير.. أرجوك، كن انجليزياً كما أنت، إننا نحب ونحترم ونقدر مفكرينا وفنانينا وأدباءنا وشعراءنا، بشرط أن يكونوا أمواتاً، أو بعد أن يكفوا عن الإبداع، لو إن المتنبى نفسه كان حياً بيننا الآن لدفعوه للانتحار هرباً من سوء التقدير والإهمال والحاجة..

اعتدل شكسبير وقال:

ـ اسمع يازميلى.. (شوف ياأخى عنده اخلاق حقيقى..).. هذا أمر طبيعى تماماً حدث ويحدث فى كل العصور وفى كل الشعوب وأنا مدرب على مواجهته والتعامل معه.

حاولت عبثاً إثناءه عن عزمه، وخوفاً من أن يظن أننا نخشى من وجوده بيننا بدافع من الضعف أو الحقد أو الشوفينيه، فقد وافقت فى النهاية على أن أقدمه لأحد المنتجين.

اتصلت بأحد المنتجين الطموحين تليفونياً وأخبرته بأننى سأمر عليه فى المساء ومعى أكبر مؤلف درامى فى الدنيا وفى التاريخ ، وعندما أخبرته باسمه كاد أن يصاب بالسكتة القلبية من فرط فرحته ، فلقد كان المسكين يبحث عن نصوص تليفزيونية جيدة منذ سنوات طويلة .

قابلنا المنتج بالأحضان ، وأمطر شكسبير وابلاً من القبلات أسعدته وجعلته يزداد إيماناً بصحة قراره .. ثم اندفع قائلاً :

ـــ أنت فين يا راجل وفين شغلك ؟ .. ايه اللى وداك انجلترا ؟ .. ايه اللى يخليك تكتب بالانجليزى ؟ .. المجد هنا .. والفلوس هنا .. كتابة الحلقة هنا وصلت ثلاثة آلاف جنيه .. بذمتك بيدوك كام هناك فى المسرحية ؟ .. مسرح إيه يا راجل اللى تضيع فيه وقتك ؟ .. اكتب تليفزيون .. التليفزيون دخل كل بيت .. لازم كلمتك توصل يا راجل ..

اعتدل شكسبير وقال بحماس :

ـــ هذا ما جئت إليك من أجله .. سوف أقوم بإعادة كتابة مسرحياتى على هيئة حلقات تليفزيونية .. وسوف أبدأ بأفضل أعمالى وأكثرها اقتراباً من الدراما العائلية .. سوف أبدأ بالملك لير .. ايه رأيك ؟

قال المنتج :

ـــ جميل .. مسرحية جميلة وممتازة .. لكن الاسم مرفوض رقابياً .. غير مسموح بكلمة الملك فى تمثيليات التليفزيون ..

انفعل شكسبير وقال بحدة :

ـ ماذا .. ؟ .. لير ملك من ابداعى .. من اختراعى .، ليس موجوداً .. هو ملك فى مسرحيتى فقط .. وأنا لا أقبل .

رد المنتج مهدئاً :

ـ لا تنفعل .. لا داعى لأن نخبط رؤوسنا فى الحائط ، مسلسل يحمل اسم ملك لن يتم توزيعه ، ونخسر ربع مليون دولار على الأقل ، المسألة بسيطة جداً .. لماذا لا يكون الأستاذ لير، لير أفندى ، المعلم لير، السيد لير، الأسطى لير، وحانروح بعيد ليه ؟ .. نسمى المسلسل لير بس .. اوعى تشغله ملك جوه المسلسل ..

اصفر وجه شكسبير وارتعشت شفتاه وهو يكظم انفعاله ثم قال :

ـ أرجوك .. أترك هذه المسرحية ، لن أغير اسمها أو أحداثها .. سوف اقترح عليك مسرحية أخرى .. ما رأيك فى « ماكبث » .

ـ مرفوضة رقابياً هى الأخرى ، على الأقل لأنها تبدأ بمشهد الساحرات .. السحر والتنجيم ممنوعان فى التليفزيون ثم إنها مليئة بالمذابح .

ـ حسناً .. ما رأيك فى « هاملت » .. ؟

ـ أليست هى قصة الشاب الذى ينتقم من عمه لأنه قتل أباه وتزوج أمه ؟ هل تتصور أنه من الممكن عرض هذه الأشياء على

الناس؟ هذه الأمور مرفوضة رقابياً تماماً.. ومع ذلك الموقف لا يدعو لليأس فببعض التعديلات الطفيفة نستطيع أن نهرب من الرقابة وأن نضحك عليها.

ــ كـيف؟

ــ امسك مثلاً مسرحيتك هاملت، سوف نحافظ على صلب الموضوع كما هو.. إن الأساس فى مسرحيتك أن يكون هاملت أو لا يكون.. أليس كذلك؟.. حسناً.. سوف نجعله يكون بعد عمل التعديلات الآتية.. استمع لاقتراحاتى ولا تفقد أعصابك.. سيبنى أعلمك الشغل.

ــ اتفضـل..

ــ أم هاملت مثلاً تصبح خالته، وعمه لا يصبح عمه، اجعله قريباً له من بعيد، أو لا داعى، أجعله صديقاً له أو شريكاً لوالده فى شركة استيراد وتصدير.. ولا تجعله يقتله عمداً.. بل يتسبب فى موته.. أما أوفيليا.. فمن الممكن أن تكون سكرتيرة ابن خالة عمة هاملت والتى هى أصلاً مخطوبة لوالده أو لخاله أو ابن عمه مدير الشركة المنافسة.. أنا لا ألزمك بشىء محدد، أنا أفكر فقط بصوت عال.. مطلوب أيضاً أن تحذف المشهد الأول وهو مشهد الشبح الذى يظهر فى بداية المسرحية.. الأشباح ممنوعة كما قلت لك.. ما هو المطلوب من المشهد؟.. المطلوب أن يعرف هاملت أن أباه قد قتل مسموما.. بسيطة.. هناك ألف طريقة يعرف بها.. دعه يعرف بالتلكس، أو يتلقى خطاباً من مجهول، أو مكالمة

تليفونية، من فاعل خير، ألو.. هاملت؟.. أبوك مات مسموم يا هاملت.. مين اللى بيتكلم آلو.. بس.. اقطع.. وانقل على المشهد اللى بعده. وبذلك ياعزيزى شكسبير لا تجد الرقابة فرصة تمسكها علينا.. قلت إيه؟.. نحضر العقد؟.

عند ذلك انتفض شكسبير واقفاً وهو يصرخ:

ــ هل سيتمتع الناس بمشاهدة مثل هذا الكلام الفارغ؟

ــ بصراحة أنا لا يهمنى أن يستمتع الناس، ما يهمنى هو ارضاء الرقابة لكى توافق على إذاعة عملى لكى استرد فلوسى..

ــ يعنى تريدون فناً كل أبطاله من الملائكة البلهاء..

ــ نعـــم.

ــ اسمح لى ياعزيزى المنتج، الأغبياء هم فقط القادرون على كتابة هذا النوع من اللافن.. والأغبياء فقط هم الذين تمتعهم مشاهدته.. من الأفضل أن أعود لقبرى بعد أن فشلت فى أن أكون زبيراً..

فشلنا فى تهدئته، والتفت إلى قائلاً:

ــ أنصحك يا صديقى الكاتب الدرامى العربى بأن تبحث لك عن قبر أنت الآخر، تدفن نفسك فيه حياً.. بدلاً من أن تحيا ميتاً.

لم أره من يومها.

وما زلت أفكر فى نصيحته!

النكــد الأزلى

الدنيا ليست محلاً للسعادة، بل للإنجاز، لست أذكر بالضبط ما إذا كان قائل هذه الجملة هو نيتشه أم شوبنهور أم واحد صاحبى. المهم إنها قفزت فجأة طافية إلى السطح فى ذهنى قادمة من مخزن الحِكَمْ المهجورة فى أعماقى. وذلك على أثر قراءة خطاب منشور فى بريد القراء فى الأهرام. أرسله واحد من أهم المشتغلين بالعلاج والتحليل النفسى فى مصر وهو الدكتور يسرى عبدالمحسن. كان ينبه فى خطابه إلى تقلص مساحة الفرحة فى حياتنا المعاصرة وما يترتب على ذلك من آثار خطيرة.

لماذا اختار الطبيب بريد القراء لنشر كلماته بينما كل الصحف مفتوحة أمامه لنشر ما يريد من مقالات من الواضح أنه اختار هذه الطريقة لتكون صرخة تحذير مضمونة الوصول للقراء بعكس المقال الذى لا يقرأه إلا المصحح. إنها روشتة يرسلها لمريضه، ومريضه هو نحن. وما دفعه لذلك بالتأكيد هو حالات الاكتئاب المتزايدة التى تطرق بابه باحثة عن علاج.

وقبل أن يسرع أحد المسئولين معالجاً المسألة بإنشاء إدارة عامة أو وزارة للفرحة. نقول: إن العلاقة بين الفرحة والإنجاز علاقة سببية دائرية فالفرحة تؤدى للإنجاز الذى يؤدى بدوره إلى الفرحة. وأجمل وأعظم مظاهر الفرحة مرتبطة دائماً بالشعوب التى تعمل وتنجز إنجازاً كبيراً وهاماً (راجع مباريات تليماتش فى التليفزيون المنقولة من ألمانيا)، ومع ذلك وإلى أن يأتى الوقت لعمل إنجازات عظيمة تدفع الفرحة فى قلوب الناس، علينا أن نتتبع منابع ومصادر النكد الحالية لمحاصرتها والقضاء عليها، ومن أهم مصادر النكد فى رأيى تمثيليات التليفزيون.

لا أصدق أن المؤلفين بكل قدراتهم لديهم تلك القدرة الإبداعية على كل ذلك النكد الذى يصبونه علينا من خلال الشاشة الصغيرة. فى الغالب هناك إدارة سرية للنكد الأزلى تحول إليها النصوص بعد موافقة لجنتى النصوص والرقابة فى مبنى التليفزيون.

وهذه الإدارة لا توافق على المسلسلات إلا بعد أن تتأكد تماماً من إنها تخلو من أى عذوبة وإنها مليئة بكل أنواع الاحباط والتعاسة والنكد.

واسمحوا لى أن أتخيل المشهد التالى يدور بين أحد المؤلفين وبين مسئول هذه الإدارة.

ـــ لماذا رفضتم مسلسلى ياسيدى، مع إنه مستوف لكل الشروط المطلوبة.. إنه لا يتعرض لأى مشكلة من مشاكل الواقع من بعيد أو قريب، أبطالى تافهون محبطون حاقدون. عاجزون عن

الفعل ، يبكون طوال الحلقات ويتعذبون لأسباب تافهة ، ويتكلمون بعبط ، ولا أحد يدرى بالضبط ماذا يريدون ، كلهم بدون استثناء تعساء جداً ولا أحد فيهم يناضل من أجل تخليص نفسه من أسباب تعاسته ، أليس هذا عملاً مليئاً بالنكد يا سيدى ؟

* هذا نكد عادى . قد يستطيع المتفرج التغلب عليه والإفلات منه والتخلص من آثاره فى نهاية الحلقة . ما نريده نحن هو النكد الأزلى .. نكد مستمر المفعول ..

النكد الذى ينام به المتفرج ويستيقظ به ويلازمه طوال النهار حتى يحين موعد مشاهدة الحلقة التالية .. ونحن لم نرفض تمثيليتك . نحن فقط نريد منك بعض الإضافات . البطلة عندك طلقها زوجها بعد عشرة عشرين عاماً .. وأولادها تركوها وهاجروا إلى أمريكا ، وأخذ منها الشقة وباعها ثم طردها إلى الشارع ..

ــ أليس هذا كافياً .. ؟

* لا طبعاً .. فقد يقابلها أحد المليونيرات وهى تهيم على وجهها فى الشارع فيحبها ويتزوجها وتعيش معه فى قصره .. أليس هذا وارداً ؟ لا بد أن تزيد فى جرعة النكد ، أشحذ خيالك وإبداعك .. ما رأيك فى أن تصدمها سيارة فى الشارع وتهرب ، فينقلونها إلى أقرب مستشفى ، فترفض المستشفى دخولها إلا بعد دفع مبلغ كبير ، فينقلها أولاد الحلال إلى مستشفى آخر ، فيستدعون الطبيب الذى يتزحلق فى قشرة موز ملقاة على السلم فيسقط وتكسر ساقه ،

فيستدعون طبيباً آخر. وفى غرفة العمليات وفى لحظة حرجة وأثناء إجراء الجراحة لها ينقطع النور، فيستدعون الميكانيكى المسئول عن تشغيل ماكينة الإنارة غير إنه يقبض عليه قبلها بدقائق حيث إنه مطلوب فى قضية نفقة. فيستعينون بالشموع لإكمال العملية. ولكن لهب الشمعة يمسك فى ملابس إحدى الممرضات، فينشغل الطبيب والحكيمات فى ملابس الممرضة بينما البطلة تصرخ من الألم.. فى هذه اللحظة من الممكن أن يستيقظ ضمير الزوج وتنتابه لوثة فيجرى فى الشوارع هائماً على وجهه صائحاً بصوت يفتت الأكباد مراتى!!.. عندذلك يطل الطبيب من غرفة العمليات: مراتك هنا يابنى.. فيندفع ناحية المستشفى فتصدمه سيارة اسعاف كانت خارجة فى نفس اللحظة، الطبيب يفقد توازنه عندما يشاهد الحادث فيسقط من النافذة فى الدور العاشر على الأرض.. ولا داعى لأن يموت. من الممكن أن يسقط على مريضة هائلة الحجم كانت خارجة من المستشفى فى نفس اللحظة..

ـ أليس من الأفضل أن يموتوا جميعاً..

* لا طبعاً.. لأن موتهم جميعاً سوف يخلص المتفرج من حالة النكد الأزلى ويحوله إلى نكد عادى لابد أن تنتهى الحلقة بالصراخ والعويل والابكاء والإحباط، وخيبة الأمل.. وهذا يعود بنا إلى أولادها الذين هاجروا إلى أمريكا. يجب أن تحتجزهم سلطات المطار فى نيويورك لأنهم لا يحملون بطاقات التطعيم الصفراء ويعيدونهم على نفس الطائرة. ولسوء الحظ تخطف الطائرة،

ويذهب بها الخاطفون إلى الاتحاد السوفيتى ، وبينما هى تحلق فى سماء « كييف » ينفجر المفاعل الذرى فى « تشيرنوبيل » فيصابون بالإشعاع الذرى ويتعذبون عذاباً رهيباً .. إيه رأيك ؟

ـ سوف أقوم بهذه التعديلات .. أما مسلسلى القادم فسوف يكون إعداداً رهيباً لجحيم دانتى ..

* براڤو عليك .. هذا عمل نموذجى ، أضمن لك به إذا كتبته بشكل جيد أن تحصل على جائزة النكد الأزلى فى العام القادم .



الظاهرة المسرحية
فى عمليات النصب المبــدعة

نتناول فى هذا البحث، عمليات النصب المبدعة، باعتبارها نشاطاً مسرحياً خلاقاً بغض النظر عن موقف القانون أو الأخلاق أو الضمير منها. مستبعدين من دائرته، تلك الجرائم التقليدية البليدة التى تستغل حاجة المواطنين الأبرياء الملحة للعمل أو السكن أو الادخار فى إطار الكسب الحلال. فهذه الجرائم لا تستحق ـــ من وجهة النظر الدرامية ـــ أن توصف بأنها نصب، فضلاً عن إنها لا تنطوى فى خطوات تنفيذها على جهد خلاق أو عناصر مسرحية قوية، وتفتقر كلية لروح المرح، كما أنها تدمر بكل قسوة ضحيتها، وهو الأمر الذى يتحاشاه دائماً النصاب المبدع، إذ إنه يتوخى دائماً أن تكون خسارة ضحيته قليلة، أو قابلة للتعويض فى زمن وجيز وباعثة فى الوقت نفسه على السخرية. سخرية الضحية من نفسها، وسخرية الآخرين مما وقع لها. كما إنه يشحن عمليته بقدر هائل من قسوة المرح أو مرح القسوة بما يجعل الأفواه تتناقلها عبر

الزمن فترقى بذلك إلى درجة الحدوتة الشعبية، أو المصطلح الشعبى، أو تدفع إلى الوجود بشخصية جديدة لم تكن موجودة من قبل، مثال ذلك (الراجل اللى اشترى الترماى).

وللمزيد من الإيضاح أقول: إن هؤلاء النصابين الذين نقرأ عنهم هذه الأيام، مجرمون بلداء، عتاة، منحطون، يمدون أيديهم القذرة بغلظة وفجاجة إلى أموالنا، فيستولون عليها فى حماية شبكة معقدة جداً من القوانين وأساليب التقاضى.

أما النصاب المبدع، فهو يجهد عقله فيما يشبه الخلق الفنى، ثم يمد أصابعه برقة ليعزف بلطف ونعومة على إطماعنا ونقائصنا ثم يقيدنا بحبال من الحرير المتين ليتركنا فى النهاية عاجزين، أسرى للضحك والغضب.

كما سنستبعد أيضاً من دائرة البحث، الدجالين والمشعوذين لسخافة وبلادة نشاطهم وخلوه من أى إبداع، واعتمادهم كلية على التخلف العقلى عند ضحاياهم، وهو ما ينفر منه دائماً النصاب المبدع: فالضحية الساذجة أو البلهاء لا تشعره بالفخر ولا تجعله راضياً عن أدائه بل وتجلب عليه احتقار زملائه فى العالم السفلى.

النصاب المبدع يكره المغفلين، لأن القانون لا يوفر لهم الحماية من الأصل، وبالتالى فإن اتخاذهم هدفاً لعملياته النصبية، يفقده اللذة المحرمة التى يحصل عليها بالخروج على القانون.

وهنا قد يكون من المهم أن نذكر القارىء بإن عمليات

النصب كلها، المبدع منها والمتخلف، هى فى النهاية جريمة، والجريمة كما يعلم الجميع، لا تفيد.. (أو على الأقل هذا ما يجب أن نقوله للآخرين إذا كنا نعمل كتاباً) كما اننى أرجو ألا يعتقد القارىء أو يظن للحظة واحدة، انى متعاطف بشكل أو بآخر مع موضوع البحث، إننى فقط مهتم به اهتماماً أكاديمياً لصلته القوية بالابداع المسرحى!

وليكن معلوماً أيضاً أنه ليس فى نيتى ولا فى مقدورى أن أقوم بانعطافة حادة عن مهنتى كمبدع مسرحى تقليدى لأسباب كثيرة، لعل أكثرها أهمية، إنه من الصعب جداً على الإنسان فى سن الخمسين. أن يبدأ فى ارتياد حقل ابداع جديد إلا إذا توافرت شروط ملائمة مازالت فى علم الغيب!

• الجرّاح والجواهرجى:

أهم نصاب مبدع فى تاريخ مصر، هو «أبوطالب» الذى قرأت مذكراته منذ أكثر من ثلاثين عاماً، وللأسف لم تحتفظ ذاكرتى باسمه الأول. كان يقوم بابداعه النصبى فى الفترة من بداية الثلاثينات حتى نهاية الأربعينات، عليه رحمة الله إن كان ميتاً، ومتعة بالصحة والعافية إن كان لايزال حياً يرزق. ولنبدأ الآن بواحدة من أشهر (أعماله) وهى الجراح والجواهرجى.

المشهد رقم (١):

المكـــان: عيادة جرّاح شهير.

الزمـــان : ذات ليلة فى بداية الأربعينات .

يدخل شاب أنيق يطلب مقابلة الجرّاح الشهير لأمر هام وعاجل ، يدخله التمورجى إلى المكتب ، يقابل الجراح .

الشـــاب : سيدى ، أنا من أسرة كبيرة فى الصعيد ، أوفدتنى أسرتى إليك للاتفاق على إجراء عملية لأحد أقاربى الشبان .

الجـــراح : ما العملية ؟

الشـــاب : عملية ختان .

الجـــراح : ماذا .. ؟ ختان .. ؟ .. اسمع يا بنى .. لقد اخطأت الطريق ، أنا جراح كبير ، لا أضيع وقتى فى مثل هذه العمليات ، كان يجب أن تذهب لقصر العينى ، أو لأقرب حلاق صحة .

الشـــاب : أعرف يا سيدى إنك جراح كبير .. فلهذا أتيت إليك . أرجوك ، اسمعنى ولا تشعر بالدهشة أو الغضب ، قريبى هذا ولد فى اليونان وتربى هناك .. واكتشفنا للأسف عندما أردنا تزويجه إنه لم يختتن بعد ، وهذه مصيبة كما تعلم . المشكلة الآن إنه يسوّف ويماطل فى إجراء العملية لخوفه الشديد من العمليات الجراحية عموماً .. ولذلك تم الاتفاق مع الأسرة أن آتى به إليك تحت ستار إنه سيعقد معك صفقة ما .. فهو يعمل بالتجارة .. عند ذلك تجاريه فى الحديث ثم

تقوم بتخديره وتجرى له العملية ، وعندما يفيق يجد إن المهمة قد انتهت بسلام .. ونحن مستعدون بالطبع لدفع الأتعاب التى تطلبونها سعادتكم .. كم جنيهاً تأخذون فى الجراحة الكبرى ؟ .. مائتى جنيه .. هذه هى المائتا جنيه .

قال ذلك وأخرج المائتى جنيه ووضعها على مكتب الجراح . فكان لها فعل السحر حيث قضت على تردده على الفور . وانتهى اللقاء على أن يأتى بقريبه فى الغد .

المشهد (٢) :

المكـــان : محل جواهرجى شهير .

الزمـــان : بعد المشهد الأول بدقائق .

نفس الشاب الأنيق يدخل المحل بخطوات واثقة ، يرحب به الجواهرجى ويسأله عن طلبه فيجيب بتلك الثقة والبساطة التى يتحدث بها أولاد الذوات .

الشـــاب : أنا فلان ابن فلان .. الطبيب الجراح الشهير .. هل تعرفه .. ؟

الجواهرجى : طبعاً .. طبعاً .. ومن لا يعرفه .. أهلاً وسهلاً .. تحت أمرك .. أى خدمة .

الشـــاب : سوف أتزوج عن قريب .

الجواهرجى : ألف مبروك .

الشـــاب : بارك الله فيك .. أريد شبكة راقية للعروس .. وبما أن والدى مشغول دائماً فى كلية الطب والمستشفى والعيادة .. لذلك فأنا أطلب منك أن تتكرم بإعداد بعض النماذج لتعرضها عليه فى العيادة ليختار لى واحدة منها .. هل من الممكن أن نتقابل غداً فى العيادة فى الثامنة مساء؟
الجواهرجى : بكل سرور..

كان أمراً طبيعياً فى تلك الفترة أن يذهب الجواهرجية إلى عظماء القوم ليعرضوا عليهم ما لديهم من مجوهرات حتى يختاروا منها ما يشاءون .. وبالفعل يلتقيان فى العيادة فى الموعد المتفق عليه .

مكتب الجرّاح

المشهد (٣) : ليل داخلى

الجـــراح : يرحب بالشاب وبالجواهرجى الذى يحمل حقيبة أنيقة صغيرة، مليئة بالمجوهرات .

الشـــاب : نرجو ألا نعطلك كثيراً يا والدى العزيز .

الجـــراح : أبداً .. أبداً .. تحت أمركم .

الشـــاب : لقد أتينا بنماذج عديدة، لكى تختار منها ما يعجبك .

الجـــراح : إن شاء الله .

الجواهرجى : كل من يتعاملون معنا .. يشعرون دائماً بالرضاء .. من المؤكد إنك سترضى عن ..

الجــراح : طبعاً.. طبعاً.. أنت أيضاً سوف تخرج من هنا راضياً.. ولكن أليس من الأفضل أن نشرب شيئاً فى البداية ؟.

الجواهرجى: سنشرب الشربات طبعاً عند اتمام الـ..

الجــراح : عندك حق.. إنها مناسبة تستحق الشربات فعلاً.. ولكن لنكتف بالعصير مؤقتاً.

يضغط على الجرس فيدخل التومرجى حاملاً كوب العصير.. الجواهرجى يشرب العصير فيغيب عن الوعى، يتم نقله على الفور إلى غرفة العمليات.

ما حدث بعد ذلك معروف، أفاق الخواجة من تأثير المخدر ليجد نفسه نائماً على سرير فى العيادة وقد انتابته آلام لم يعرفها من قبل. وعندما يكتشف الأربطة والقطن والشاش تنطلق منه صرخة ملتاعة ثم تستولى عليه نوبة من الضحك والبكاء الهستيرى.. يدخل الطبيب غاضباً.

الجــراح : لماذا تصرخ يا رجل ؟.. هل أنت عيل.. كف عن الصراخ والعويل.. ألا تشعر بالخجل لأنك قضيت كل هذه الأعوام بهذه الاضافة التى لا لزوم لها.. لماذا لا تحمد الله على أن كل شىء قد تم بسلام.

الجواهرجى: بسلام ؟.. ماذا تقول يا سيدى الطبيب، لقد جئت إلى العيادة لأمر آخر.

الجــراح : أعرف إنك جئت إلى العيادة لأمر آخر.. فهذا ما اتفقت عليه.



الجواهرجي : آه .. هناك اتفاق إذن .. مع من يا سيدى .. ؟

الجـــراح : مع قريبك .

الجواهرجي : قريبى ؟ ..

الجـــراح : لانك جبان .. تخشى الجراحة .

الجواهرجي : آه .. سأجن .. وما دخل الجراحة فى موضوعنا .. ومن هو قريبى الذى اتفقت معه ؟

الجـــراح : الشاب الذى أتى معك ..

الجواهرجي : لم يأت أحد معى .. أنا الذى أتيت معه .. إنه ابنك .

الجـــراح : ماذا تقول ؟ .. لم أره فى حياتى إلا بالأمس عندما اتفقنا .

الجواهرجي : اتفقتما ؟ .. أنت إذن شريكه فى الجريمة .. آه ...

الجـــراح : أية جريمة يا رجل ؟ هل تعتقد إنك فقدت شيئاً يستحق كل هذا العويل .. كف عن الصراخ .

الجواهرجي : دعك من تقييم أهمية ما فقدته .. آه .. لقد سمعته يقول لك يا والدى .. آه ..

الجـــراح : قالها على سبيل الاحترام .. فأنا فى سن والده .. قلت لك لا تصرخ .

الجواهرجي : افهمنى إنه ابنك .. آه .. وطلب منى أن آتيك بمجموعة من المجوهرات تختار منها شبكة يقدمها لعروسه .. آه .. الحقيبة .. أين الحقيبة .. آه .. الحقونى .

اختفت حقيبة المجوهرات بالطبع بالإضافة لمحفظة الخواجة وتحوى عدة مئات من الجنيهات، استولى عليها «أبوطالب» ونزل من العيادة فى حالة مزاجية رائعة إلى الدرجة التى تجعله ينسى حذره فيدفع لعامل الأسانسير خمسة جنيهات على سبيل البقشيش، وهى تعتبر ثروة بمقاييس ذلك العصر، مما جعل ملامحه تنطبع بقوة فى ذهن العامل، فيكون من السهل فيما بعد أن يتعرف عليه وأن يبلغ عنه الشرطة فتأتى للقبض عليه وهو جالس يدخن الشيشة فى هدوء فى شرفة كازينو بديعة.

● الحبكة والذروة:

«أبوطالب» هنا لم يرسم شخصياته على الورق لكى يتقمصها الممثلون فيما بعد، لقد اختارها جاهزة من الحياة الساخنة مباشرة لكى (تمثل) أو تفعل ما يريده هو كمبدع للفعل النصبى. الضحية هنا هى الممثل والمتفرج معاً.. وهى ضحية يرى أبوطالب أنها تستحق العقاب الذى وقع عليها، فالطبيب كان يجب أن يرفض إجراء العملية لهيافتها، ولكنه استسلم لاغراء النقود، أما الجواهرجى فهو يستحق فى رأيه هذه الدعابة القاسية لسبب بسيط ووحيد.. إنه جواهرجى!

إن هذه المهنة بالذات لا تثير لدى البعض إلا الرغبة فى العدوان!. وعندما نسأل أحد الأطفال: ماذا تريد أن تكون فى المستقبل؟ فإنه سيذكر كل المهن التى نعرفها. ولكنا لم نسمع من قبل عن ذلك الطفل الذى يريد أن يصبح جواهرجياً.

وهى أيضاً المهنة الوحيدة على الأرض التى لا يحتل صاحبها مكاناً فى عالم الفن والأدب.. فلم نسمع من قبل عن رواية أو فيلم أو مسرحية بطلها جواهرجى.. وحتى مسلسلات التليفزيون المصرية والأجنبية، لم تتعرض لهذه المهنة من بعيد أو قريب.

إن كل دوره فى الحياة هو أن «يؤلمنا» بكثرة ما يمتلك من أشياء غالية وبراقة. ولذلك لا نشعر بالألم أو السخط عندما نقرأ عن حادث سطو تعرض له جواهرجى! من هنا جاء اختيار «أبوطالب» لضحيته صائباً من وجهة نظره الفنية النصبية. لا أحد سيشعر بالألم أو بالغضب لما حدث له.. وستتحول القضية كلها لمادة طريفة مضحكة لكل من يسمع عنها..

إن الحبكة (Plot) الدرامية فى هذه الواقعة، واضحة جداً وقوية والذروة فيها (Climax) تتحقق فيها أعلى درجات الفكاهة الممتزجة بالفزع.. ليس غريباً إذن أن كلمة (Plot) التى تعنى خطة أو حبكة، تعنى أيضاً (مؤامرة) !!

أصل الآن إلى هدفى.

التركيبة النفسية لدى الفنان المبدع تختلف كل الاختلاف عن التركيبة النفسية لدى الشخص الطبيعى ـ إذا كان هناك وجود لذلك الشخص ـ وهو عندما يبذل جهداً شاقاً ـ مسلحاً بوعيه وثقافته ـ فى الابداع الفنى فإنه يفعل ذلك لتحقيق التوازن النفسى بداخله، والأنا العليا لديه لا تشعر بالرضاء عن نفسها إلا بعد أن تقدم (الفعل) الفنى للآخرين. وتسعى من خلال عمليات

الإبداع المتعاقبة للالتصاق (بالأناوات) العليا عند الآخرين خوفاً من أن تشعر بالضياع والخلل النفسى بل والعقلى أيضاً بعيداً عنهم.

أما الأنا العليا عند الشخصية «السيكوباتية»، فهى تقف فى مواجهة الآخرين، جاهزة فى كل لحظة لشن العدوان عليهم.

وبذلك، تكون الموهبة المجردة فى أى حقل ـــ ولا مؤاخذة ـــ خللاً نفسياً، من الممكن أن يتحول فى أى لحظة ـــ فى غياب الابداع ـــ للفعل الاجرامى.

لقد كان من الممكن أن يتحول «أبوطالب» لفنان مسرحى عظيم، لو توافر له ذلك القدر من التربية والتعليم الذى يمكنه من التعرف على نفسه وعلى موهبته الحقيقية، ويكشف له ان الله سبحانه وتعالى لم يخلقه ليقف فى مواجهة الآخرين حرباً وعدواناً، ولكن ليقف معهم فى ساحة الدنيا الكبيرة، عوناً وسنداً بموهبته.

● المصطلح الشعبى:

نأتى الآن لواقعة أخرى من أهم أعماله فى النصب الابداعى: عملية بيع الترام.

لم يكن «أبوطالب» قد خطط مسبقاً لبيع الترام إذ انه لا يتصور أن تبلغ السذاجة ببعض الناس أن يصدقوا أن هذا المرفق من الممكن أن يباع ويشترى.

ذات يوم صعد «أبوطالب» إلى الترام وبنظرة سريعة اختار ضحيته المقبلة، اقترب منها ثم هبط عليها برفق عارضاً ما لديه من

مشاريع وهمية بكل مايملك من قدرة على الايهام والاقناع ، غير أن الضحية لم تستجب له وصمدت لكل إغراءاته ، وفى اللحظة التى قرر فيها يائساً ان ينهى (العملية) ، قال للرجل على سبيل المزاح بطريقة استنكارية : يبدو انك تطمع فى شىء أكبر من كل ذلك .. ماذا تريد ، هل تريد أن تشترى الترام ؟

استفزت الجملة الرجل فرد عليه : هل تستكثر على أن أشتريه .. ؟ .. لعلك ترانى مش قد المقام !

فى هذه اللحظة وفيما يشبه الالهام النصبى اكتشف «أبوطالب» أن هذا الرجل لديه الاستعداد بالفعل لشراء الترام ، عندئذ أخذ يثنيه عن عزمه مثيراً شهيته أكثر وأكثر للتمسك برغبته : هذا الترام بالرغم من رخص ثمنه ، الا إنه سوف يكلفك جهداً كبيراً لا أراك قادراً عليه هل تستطيع أن تسهر يومياً حتى الحادية عشرة مساء لكل تتسلم الإيراد من الكمسارى ؟

رد عليه الرجل فى حماس : واستطيع أيضاً الاستيقاظ فى الفجر ، وملازمة الترام طول النهار وطول الليل .. بل أستطيع أن أنام هنا .. وأجعله مقراً وسكناً لىّ .

ـــ على خيرة الله .. فقط أردت تنبيهك لما ينتظرك من جهد شاق .. حتى لاتتهمنى فيما بعد بإننى خدعتك .

فى لحظات تذكرنا بالمسرح المرتجل ، اتفق معه على كل التفاصيل . وقبض العربون على أن يحصل على باقى المبلغ عندما يتقابلان فى الغد أمام الشهر العقارى لتسجيل العقد .

صافحه بقوة وعانقه ثم ذهب للكمسارى وأعطاه عشرة قروش ليقطع منها تذاكر جيئة وذهاباً لقريبه الريفى الذى يعشق الفسحة فى الترام !

انتهى مفعول القروش العشرة مع آخر دور للترام .. نزل كل الركاب إلا صاحبنا الذى ظل جالساً حتى دخل الترام إلى المخزن .. انتظر أن يأتيه الكمسارى بالإيراد إلا أن ذلك لم يحدث بالطبع . نزل خلفه صائحاً مطالباً بحصيلة اليوم ، عند ذلك انفجرت الواقعة بكل تفاصيلها فى مخازن الترام بالعباسية لتتحول لضحكات تدوى فى طول البلاد وعرضها !

فى تلك الليلة ذهب «أبوطالب» لأصدقائه فى العالم السفلى يروى لهم ما حدث فى زهو، وبكت الضحية فى تعاسة وغيظ. وضحك كل من عرفها بشدة . الأكثر أهمية ، أن خزانة المصطلحات الشعبية فى مصر، اكتسبت مصطلحاً جديداً طازجاً معبراً عن خبرة حياتية جديدة ، تضاف إلى خبرات الوادى القديم الذى يضحك فيه الناس على بعضهم البعض من آلاف السنين .

قل لى بالله عليك ، كيف كنا سنعرف ذلك المصطلح الجميل القوى «الراجل اللى اشترى الترماى» وكل مشتقاته وتنويعاته بدون الجهد الخلاق للزميل «أبوطالب» ؟!

خشبة المسرح والأميرة الجميلة

استدعانى المخرج سعد أردش وكان يعمل مديراً لمسرح الحكيم فى ذلك الوقت فى فترة الستينيات ، كانت التدريبات على مسرحيتى (الراجل اللى ضحك ع الملايكة) فى مراحلها النهائية . ولم يبق على موعد الافتتاح سوى أيام معدودة ، قال لى سعد بهدوء : الرقابة ليست موافقة على المسرحية ، اذهب اليهم وناقشهم بهدوء .. حاذر أن تفقد أعصابك . حاول أن تصل معهم إلى حلول ولو اضطررت لإجراء بعض التعديلات .

عندما سمعت كلمة (تعديلات) بدأت أفقد أعصابى ، فهناك نوعان من التعديلات ، تعديلات فنية تستهدف رفع كفاءة العرض المسرحى ، وأخرى رقابية تؤدى غالباً إلى تدمير العرض المسرحى .

فى الحواديت القديمة ، كان على الشاطر حسن أن يمر بعدة اختبارات قاسية وعنيفة لكى يصل إلى إبنة السلطان ، الأميرة الجميلة التى استولت عليها حالة مزاجية سوداوية جعلتها ترفض كل العرسان فى مملكة والدها السلطان الطيب الحزين .

ولأن الشاطر حسن كان شاطراً فعلاً وليس مجرد شاب إسمه حسن لذلك كان ينجح فى ركوب الأهوال والمصاعب ويمضى فى طريقه قاهراً الجبال والبحار والصحارى والوحوش والسحرة والعفاريت. إلى أن يقابل أمنا الغولة فينتصر عليها أيضاً فى موقعة فاصلة. ولا بأس فى المراحل النهائية من أن يستولى على عدة قوافل محملة بالذهب والياقوت والزبرجد وعدة أفيال بيضاء لكى يقدمها مهراً للعروس المدللة.

كانت الحدوتة فى كل مرة تنتهى بجملة خالدة هى (وعاشا فى تبات ونبات وأنجبا صبياناً وبنات إلى أن جاءهم مفرق الجماعات وهادم اللذات)، المهم أن الشاطر حسن ــ بعد كل الأهوال ــ كانت تمر عليه مرحلة سعيدة وهانئة مع الأميرة، الأمر الذى لا يحدث مطلقاً مع كتاب المسرح، ففى كل مراحل حياتهم عليهم أن يقاتلوا قتالاً شرساً ضد كل الجبهات من أجل الوصول إلى الأميرة أقصد إلى خشبة المسرح. وبعد ظهور العرض المسرحى تبدأ مرحلة أخرى من الأهوال لحمايته من أعداء جدد. وهى مرحلة لا تنتهى إلا ببداية مرحلة أخرى من القلق والاجهاد العصبى اللازمين لكتابة مسرحية جديدة.. وهكذا.

لا تبات ولا نبات ولكن صبيان وبنات وزيادة فى الأعباء والنفقات إلى أن يأتى ــ أيضاً ــ هادم اللذات ومفرق الجماعات.

ولكى تتحول مسرحية من كلمات منثورة على الورق البارد لشخوص حية تتحرك على المسرح كان لا بد من الموافقات التالية:

١ــ موافقة لجنة القراءة التابعة لهيئة المسرح ويسمونها لجنة القراءة المركزية .

٢ــ موافقة مدير الهيئة .

٣ــ موافقة رئيس مجلس إدارة الهيئة .

٤ــ موافقة أعضاء مجلس إدارة الهيئة .

إذا حصلت على هذه الموافقات يكون لك الحق فى تقديم النص المسرحى إلى المسرح الذى يناسبها . عند ذلك لا بد من موافقة :

٥ــ أعضاء المكتب الفنى ، ويشكلون لجنة قراءة محلية .

٦ــ المخرج .

٧ــ مدير المسرح .

٨ــ موافقة الرقابة على المصنفات الفنية وهى تعادل « أمنا الغولة » فى لقاءات الشاطر حسن مع الأهوال .

بعد ذلك بعامين فى ١٩٦٨ اكتشفوا أن هذه المصافى ليست كافية بما فيه الكفاية للحصول على المسرح المنشود . لذلك أضيفت عقبتان أقصد موافقتين وهما :

٩ــ موافقة وزير الثقافة شخصياً .

١٠ــموافقة لجنة الدعوة والفكر بالاتحاد الاشتراكى .

هل عرفت الآن لماذا يموت بعض كتاب المسرح فى سن مبكرة ؟ .. لأنهم يفتقرون لمواهب وعضلات الشاطر حسن . أعود

لموافقة الرقابة على المصنفات الفنية . هذه الموافقة تعتبر موافقة مبدئية على النص نفسه ولا تصبح نهائية إلا بعد مشاهدة التدريب النهائى قبل الافتتاح . فقد يجسد العرض المسرحى أشياء كانت خبيئة بين الكلمات ، وهذا هو الفرق الوحيد بين المؤلف المسرحى والشاطر حسن الذى كان ينتهى من أمنا الغولة فى موقعة واحدة لا موقعتين .

كانت المسرحية تتكلم عن عبدالرحمن المهلب رئيس مجلس إدارة شركة الملح . كان مزوراً كبيراً وشريراً بطبعه وطبيعته . يرتكب كل الموبقات والأخطاء بينما سجله ناصع البياض بسبب خبرته التى لا حد لها بكل القوانين واللوائح والقواعد الادارية وبراعته فى تسخيرها هى نفسها للافلات من كل المحظورات والمحاذير . يستفز عبدالرحمن أحد العاملين لديه فيضربه الأخير بمنفضة سجاير ثقيلة على رأسه ضربة شديدة فيفقد الوعى . يغمى عليه للحظة واحدة . فى هذه اللحظة الواحدة ، تحدث أحداث المسرحية كلها ، ومن وجهة نظره هو بالطبع .

ينتقل عبدالرحمن إلى العالم الآخر فيجد هناك شخصين فى انتظاره ، الأول ملاك الحسنات والثانى ملاك السيئات . كانت لعبدالرحمن حسنة واحدة مسجلة فى نوتة صغيرة ، فقد قال ذات يوم لأحد الناس « السلام عليكم » فاحتسبت صدقة باعتبارها كلمة طيبة ، أما سيئاته فقد بلغت أرقاماً فلكية وكانت مدونة فى سجلات ضخمة احتاجت فى تخزينها لمخازن كبيرة امتلأت عن آخرها .

ولكن عبد الرحمن بخبرته الواسعة فى الاستشكلات تمكن من اقناعهما بأن هناك خطأ فى تسجيل حسناته وأن حسناته أكثر من ذلك بكثير، فلقد كان ينام أثناء العمل، فإذا طبقنا قاعدة نوم الظالم عبادة وبما أنه رجل ظالم كان يجب عليهم احتساب ساعات النوم هذه حسنات وليست سيئات. طلب منهما أن يقوما بمراجعة سيئاته مرة أخرى. احتجا بالطبع لأن الملائكة لا تخطىء،عند ذلك واجههما بأن أبليس كان ملاكاً ثم... ... أخطأ.

يتركه الملاكان بعض الوقت فى مكان اسمه «المكان» بعيداً عن الجنة وبعيداً عن النار. حيث يستطيع فى هذا المكان أن يطلب كل ما يشتهيه إلى أن تحين لحظة حسابه الأخير بعد المراجعة النهائية لسيئاته، غير انه، حتى فى هذا المكان الطاهر النظيف لم يستطع أن يكف عن إيذاء الآخرين، المهم إن عبد الرحمن يعود لوعيه ليكتشف ونكتشف معه إنه لم يمت وأنه ما زال حياً وبالتالى يعود لنفس ممارساته السابقة.

كان هدفى بالطبع أن أثبت بوقائع فنية وفى إطار ضاحك أن مهادنة الشر لا نتيجة لها إلا الشر،وإن هناك أشخاصاً يعشقون الشر لذاته وأنه لا أمل منهم ولا فائدة فيهم، وأنهم على استعداد لخديعة الملائكة لو وجدوا لذلك سبيلا.

قانون الرقابة فى مصر قانون مريح جداً ومتعب جداً لكل الأطراف، فهو فضفاض بما فيه الكفاية ليتم تفسيره لصالح المؤلف أو ضده فى الوقت المناسب، المهم هو الوصول لعمل فنى ليس

مضاداً ولا متعارضاً مع «النظام العام والآداب العامة» .. أما ما هو بالضبط النظام العام أو ما هي بالتحديد الآداب العامة فلا أحد يعرف . فهذا يتوقف على المناخ السياسي السائد في مرحلة ظهور العمل الفني ويتوقف أيضاً على ثقافة الرقيب وتفتحه أو درجة خوفه من وجع الدماغ . من حسن حظي أن الرقيب الذي تصدى لمناقشتي ، كان مثقفاً واسع الاطلاع ، يريد أن يساعدني ويريد في الوقت نفسه أن يساعد جهاز الرقابة على الافلات من المسئولية في حالة حدوث مسئولية .

وقف الشاطر حسن في مواجهة أمنا الغولة ، كانت بحجم الجبل ، ذراعها في طول القطار وفمها بحجم الخليج وعيناها براكين ... ولكنه تقدم منها في هدوء .. فقالت له ..

قال لي الرقيب : المطلوب هو التخلص من ظهور الملائكة في المسرحية .

— هؤلاء ليسوا ملائكة حقيقيين .. إنهم مجرد أشخاص يمثلون دور الملائكة في مسرحية ، وهذا ليس العالم الآخر، بطل المسرحية هو الذي «يتخيل» أنه انتقل للعالم الآخر.

قال : ولكنه يخدعهم .. ليس مسموحاً لأحد أن يخدع الملائكة .

— هو لا يخدعهم ، هو يتصور إنه قادر على خداعهم ، بينما هم يسهلون له ما يريد القيام به من تزوير ويثبتون له في نهاية المسرحية أنهم يعرفون ما يفكر فيه وما كان يفكر فيه وما سيفكر فيه .

قال : إذا كان هذا الرجل يتخيل ... فلماذا لا يتخيل أنهم أبالسة ؟

ــ يعنى مسموح بظهور الأبالسة وليس مسموحاً بظهور الملائكة ؟

قال : نعــم .

ــ هل المطلوب منى أن أجعله يخدع الأبالسة ؟

قال : نعم .. الحل الوحيد أن تجعله يخدع الأبالسة ومن ثم يتعدل إسم المسرحية إلى الرجل الذى الذى ضحك على الأبالسة .

ــ هذه مسرحية أخرى مضادة لمسرحيتى ، فبطلى شرير لأنه لا يتورع عن خديعة الملائكة ، أما عندما يخدع الأبالسة فمعنى ذلك أنه رجل فاضل وصالح .. ثم إن الأبالسة لا يحاسبون أحداً .

قال : أليس خيالاً فى خيال ؟ .

ــ نعم ... ولكنه ليس خيالاً سابحاً فى الهواء .. هو خيال مرتبط بأفكار واقعية وطبيعية .. من الطبيعى أن الإنسان عندما يتخيل إنه مات فلا بد أن يتخيل أن الملائكة هى التى تحاسبه .

وصلنا إلى طريق مسدود . ماذا نفعل ؟ .. مرت دقائق عصيبة قبل أن يقول بحماس :

اسمع ... وجدتها ....

ـ خيـــر . . .

عبد الرحمن سيخدعهم باعتبارهم ملائكة . سيظن أنه خدع الملائكة ، بينما المتفرج (يعرف) إنهم أبالسة .

ـ أشرح لى من فضلك .

ـ بما إنه من وجهة النظر الرقابية ، مسموح بظهور الأبالسة ... ومن وجهة نظر المسرحية لا بد أن يحاسبه الملائكة .. لذلك ستلجأ لحيلة فنية بسيطة لا يترتب عليها سوى تعديل طفيف جداً فى المسرحية .. عبد الرحمن سوف يقابل أبالسة متنكرين فى هيئة ملائكة ، يعنى هم أبالسة يلعبون على عبد الرحمن دور الملائكة ... هذا مسموح به رقابياً ...

ـ فهمت ... يعنى المطلوب منى إضافة مشهد نرى فيه مجموعة من الأبالسة فى اجتماع مثلاً يتفقون فيه على التنكر فى هيئة ملائكة .

ـ بالضبط .

ـ لماذا ... ؟ لماذا يتنكرون ... ؟ وماذا يريدون من البطل ؟

ـ لا يريدون شيئاً ... أليسوا أبالسة هم يفعلون ذلك لأنهم أبالسة ...

ـ حتى الأبالسة فى المسرح لا بد لهم من دافع قوى ومنطقى لما يفعلونه .

ـ هذه مشكلتك كمؤلف . أبحث عن هذا الدافع .

لمعت فى ذهنى على الفور فكرة المشهد فقلت :

ـ مثلاً ... مثلاً ... أقول مثلاً ... أن الأبالسة تعقد اجتماعاً لمناقشة مجىء عبد الرحمن المهلب لأن كمية الشر بداخله تفوق ابداعاتهم الإبليسية التقليدية.

ـ بالضبط.

ـ وإنهم سيتنكرون فى هيئة ملائكة، ليطمئن إليهم فلا يأخذ حذره منهم، عند ذلك يتمكنون من دراسة مكونات الشر بداخله عن قرب...

ـ بالضبط.

ـ فى هذه الحالة لا بد من اضافة مشهد آخر فى نهاية المسرحية يعودون فيه إلى طبيعتهم الإبليسية فيسخرون منه على طريقة (هاها ... عاعا .. ضحكنا عليك يا حدق وماكناش ملايكة ولا حاجة ... ده إحنا أبالسة زيك) ..

ـ ممتاز ... كما ترى، مشهدين فقط ينقذان المسرحية ولا يخلان ببنائها الفكرى والجمالى .. عند ذلك يصبح اسمها «الرجل اللى ضحك ع الأبالسة».

ـ ولماذا لا نسميها ... الراجل اللى ضحك ع الأبالسة الذين يمثلون دور الملائكة.

ـ لا ....

ـ حسناً .. هل من الممكن أن نحتفظ باسمها الأصلى، الراجل اللى ضحك على الملائكة ثم نكتب بعد ذلك بخط صغير لا يكاد يقرأ، ثم اكتشف إنهم أبالسة ...

ـ لا ...

ـ طيب لو كتبت الليلة هذين المشهدين ... هل سأحصل على موافقتكم غداً صباحاً .

ـ بالتأكيد .

سهرت طول الليل أتعذب بشدة وأنا أكتب المشهدين السخيفين المطلوبين (فيما بعد اكتسبت مزيداً من التدريب والقدرة على كتابة مشاهد أشد سخفاً بعذاب أقل) وفى الصباح ذهبت لمبنى هيئة الرقابة وخرجت بعد ساعة واحدة أحمل نسخة المسرحية المرصعة بأختام الموافقة المطلوبة ومعها الجملة التقليدية ، ولا تعتبر هذه الموافقة نهائية إلا بعد مشاهدة التدريب النهائى .

فى الطريق إلى المسرح أخذت أفكر فى التعديلات الجديدة . أصبح واضحاً الآن أن هناك مجموعة من الأبالسة يمثلون دور الملائكة ، وأحسست بالفزع ، إن هواة التفتيش بين السطور والكلمات والمشاهد وهواة البحث عن « المضبوطات » فى الأعمال الفنية سيعثرون على شيء ثمين يقدمونه لمن يهمهم الأمر. سيكون من السهل إتهام المسرحية بأنها تقول إن رجال الحكومة هم مجموعة من الأبالسة الذين يمثلون علينا دور الملائكة .

صارحت سعد أردش بمخاوفى فطلب منى عدم الحديث فى هذا الموضوع مع أى مخلوق ، وأخذ المخرج المرحوم نجيب سرور يعمل ليل نهار فى اعداد العرض للافتتاح بعد اضافة ممثلين جدد للقيام بدور الأبالسة ، وفى ليلة التدريب النهائى ، أو كما يسميها

رجال المسرح «البروفة الجنرال» وهى الليلة التى تسبق الافتتاح مباشرة، وقعت الواقعة، فبالرغم من إننى لم أبح بمخاوفى لجنس مخلوق (أو لعلى بحث لمخلوق أو مخلوقين) إلا إن الوسط الفنى والثقافى والمسرحى والرقابى جميعه عرف أن هناك قنبلة زمنية موقوتة على هيئة مسرحية، ستنفجر الليلة على خشبة مسرح الحكيم بشارع محمد فريد. من بين الحاضرين كان هناك حوالى خمسة وعشرين رقيباً ورقيبة، طلب منى سعد أردش أن اسكت تماماً نظراً لموهبتى الفريدة فى تحويل الأصدقاء إلى أعداء عندما يستولى على الغضب. وبعد انتهاء عرض المسرحية فى جو مشحون بالقلق والتوتر واسدال الستار قال سعد أردش: حسناً أيها السادة... هذا هو العرض المسرحى، قدم أمامكم بالأبالسة كما تريدونه وكما وافقتم على نصه.. إذا كنتم تريدونه كما شاهدتموه الآن فعليكم أن تتحملوا مسئولية النتائج السياسية الخطيرة التى ستترتب على ما سيثار حوله من أقاويل (بالطبع عمنا سعد أردش يعلم جيداً أنه لانتائج سياسية .خطيرة أو غيرخطيرة ترتبت على ظهور مسرحية فى التاريخ كله).. وإذا كنتم تريدونه بدون أبالسة فنحن جاهزون لذلك، فكروا جيداً، هل تريدونه بالملائكة، أم تريدونه بالأبالسة..؟

اشتعل حريق النقاش، تطايرت شظايا الكلمات العنيفة فى كل اتجاه بينما أنا لائذ بالصمت اتفرج. وأخيراً وقبل الفجر بقليل تم فض الاشتباك بين الأطراف المعنية بعد أن اكتشف كل الفرقاء

بوضوح أن ظهور الملائكة سيغضب الرقابة ، أما ظهور الأبالسة فقد يغضب الحكومة .. فأى الغضبين نتحمل ؟

ولذلك . وللوصول إلى حل وسط ، طبقاً لقاعدة لا غالبَ ولا مغلوب . تم الاتفاق على أن يكون الاسم بالأبالسة على الأفيشات فقط ، بينما يحتفظ العرض بالملائكة ، وبذلك تعود المسرحية لأصلها . وانصرفنا جميعاً من المسرح نكاد نموت من التعب والاجهاد العصبى .

بعد كل أهوال الرحلة ، أخذ الشاطر حسن دشاً ساخناً لذيذاً أراح أعصابه ، وارتدى الحرير والديباج وتعطر بعطور الهند والسند واستعد للدخول بالأميرة ، نظرت الأميرة من نافذة القصر العالية بينما الفجر يستيقظ فى رفق مضيئاً الحقول المحيطة ، نظرت من النافذة إلى البحيرة القريبة المليئة بأسماك القرش المفترسة وقالت لحسن فى دلال : بقى اختبار واحد ، لن تقترب منى إلا بعد أن تعبر البحيرة .

وبدأت المعركة مع الممثلين والمخرج والمتفرجين والنقاد ... ولكن تلك قصة أخرى ...

•

عبر الشاطر حسن البحيرة بعد أن تغلب على أسماك القرش المفترسة ، قتل منها ما قتل وأصاب ما أصاب بصعوبة بالغة . صعد سلالم القصر وعندما وصل للأميرة وجدها وقد استولى عليها النوم بجوار النافذة .

ـ يا أميرتى ...

فتحت الأميرة الجميلة عينيها فى تثاقل وردت وهى تتثاءب : نعم يا أبوعلى ...

ـ هل شاهدتينى يا أميرتى وأنا أعبر البحيرة وأصارع أسماك القرش المفترسة ... ؟

ـ لا للأسف ... غلبنى النعاس ...

كان جسمه كله مرصعاً بالجروح والتمزقات وقد غطته الدماء .. صرخ من الألم .. استيقظ طبيب القصر فغطاه بالمراهم والأربطة والشاش وقال له : ستشفى هذه الاصابات بعد قليل .

وهذا ما حدث بالفعل ، استعاد عافيته بعد أيام فلبى رغبة الأميرة مرة أخرى وعبر البحيرة وعندما عاد وجدها نائمة . صرخ ، استيقظ طبيب القصر، غطاه بالمراهم والأربطة والشاش وقال له : ستشفى بعد أيام .

ومنذ ذلك الوقت وهو يعبر البحيرة مصارعاً أسماك القرش ثم يعود ممزقاً للأميرة فيجدها نائمة ، عند ذلك يصرخ مستدعياً طبيب القصر الذى يأتى ليغطيه بالمراهم والأربطة والشاش ويقول له : ستشفى بعد أيام .

ومنذ ذلك الوقت وهو يعبر البحيرة مصارعاً أسماك القرش ويعود ممزقاً للأميرة فيجدها نائمة عند ذلك يصرخ موقظاً طبيب القصر .

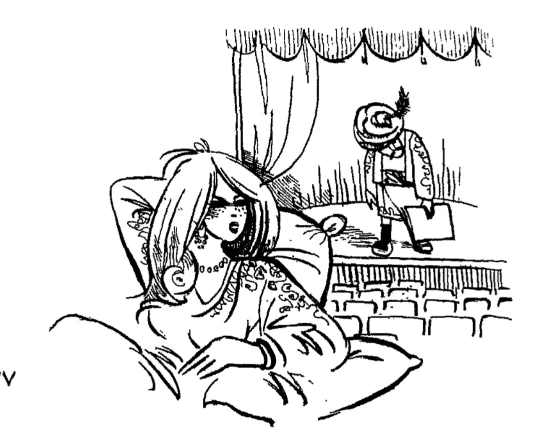
وذات فجر. قال للطبيب: ألا يوجد لديك منبه قوى تتناوله الأميرة فينعشها ويبعد عنها النوم حتى ترانى وأنا أعبر البحيرة وأصارع أسماك القرش المفترسة؟

عند ذلك فغر الطبيب فاه وقال مصعوقاً: أميرة.. أية أميرة؟

ـ ابنة السلطان الكبرى.

ـ ليس للسلطان ابنة كبرى ولا صغرى، ليس بالقصر أميرات ولا وصيفات ولا حتى خادمات... أنا أعمل فى هذا القصر منذ عشرات السنين.. لم أشاهد به أنثى قط.

شعر برغبة قوية فى البكاء ولكنه تماسك فى كبرياء وصرف الطبيب فى أدب ثم استسلم للنوم. عندما تشفى جروحه، سيعبر البحيرة مرة أخرى. حتى لو كانت الأميرة من صنع خياله. إلا أنه يجب أن يلبى رغبتها. لأنها أميرة... وجميلة.



ثلاث فتيات فى الإصلاحية !!

فى عددها الصادر يوم الأربعاء ١٢ مارس ١٩٨٦ وفى صفحة الحوادث ، نشرت جريدة الأخبار القاهرية الخبر التالى :

«قضت محكمة جنح أحداث الصف بالجيزة برئاسة القاضى فاروق اسماعيل وحضور محمد البارودى وكيل أول نيابة مركز الصف بإيداع ثلاث فتيات قاصرات إحدى مؤسسات الأحداث لممارستهن الرقص والغناء خلف مطرب شعبى بدون ترخيص. وكان الرائد علاء أبو عقيل رئيس مباحث مركز الصف ضبط المتهمات الثلاث ١٥ ، ١٦ ، ١٧ سنة أثناء قيامهن بالرقص والغناء خلف مطرب شعبى فى أحد الأفراح بالصف وتبين أنهن غير مقيدات بجدول المهن الموسيقية والتمثيلية وأحالهن جمال فزاع مدير النيابة إلى المحكمة فعاقبتهن بالحكم المتقدم» .

انتهى الخبر. وانتهت معه مرحلة طويلة ، يقدر طولها بآلاف

السنين من تاريخ الفن فى مصر، كان يسمح فيها للبالغين والقصر بالغناء والرقص بدون عضوية النقابات الفنية، لتبدأ مرحلة جديدة لم نتبين بعد كل ملامحها، وليكن واضحا للجميع أننى لا أتعرض الآن للحكم الذى أصدرته المحكمة. فهذا أمر يجرمه ويحرمه القانون، كما أنى ـ كما سيتبين لكم بعد قليل ـ لست أرفضه، بل على العكس من ذلك أنا أرحب به وأؤيده وأطالب ببذل المزيد من الجهد المبدع الخلاق من أجل القضاء على بقية الخارجين على القانون الذين يغنون ويرقصون فى طول البلاد وعرضها بدون ترخيص من نقابة المهن الموسيقية، فهذا الأمر ـ بصراحة ـ لم يعد من الممكن السكوت عليه، بعد أن بلغ السيل الزبى وبعد أن لم يعد فى قوس الصبر منزع، آلاف الأطفال، بل الملايين، من الصبيان والبنات فى الأربعة آلاف قرية وفى الكفور والنجوع والعزب والشفالك وفى الواحات ومضارب البدو، فى كل شبر من أرض هذا البلد، يغنون ويرقصون منتهكين القانون وسيادته فى كل لحظة، ماذا نفعل لهم وبهم؟.. هل نتركهم يملأون السماء بأغانيهم والأرض برقصاتهم؟ لقد بذلنا الكثير وضحينا بالأكثر من أجل سيادة القانون. فهل نترك بعد ذلك مجموعة من الصبية حتى لو كان عددهم يقدر بالملايين، هل نتركهم يفسدون حياتنا برقصهم وغنائهم بلا وازع من ضمير أو رادع من القانون؟ لا مفر إذن من أن نفتح لهم أبواب الاصلاحيات والإفساديات أيضاً إذا تطلب الأمر.

وإذا كانوا هم ـ بلا أدنى احساس بالمسئولية ـ سيغنون

ويرقصون في القرى والمراكز بلا ترخيص وبلا عضوية نقابة ، فماذا يفعل أعضاء النقابات الفنية المساكين ؟..

إذا كانوا سيرقصون في مركز الصف والبدرشين ونجع حمادى وكفر سعد وزفتي وميت غمر.. فماذا تفعل نجوى فؤاد وسحر حمدى وسهير زكي.. أين سيرقصون ؟.. في الشيراتون مثلا ، أمام الأجانب أو الطبقات القادرة من الطفيليين وبعيدا عن جماهيرهن العريضة في المدن والمراكز والقرى البعيدة ؟ ثم إلى متى نسمح لهؤلاء الصبية بمحاربة أعضاء النقابات في أرزاقهم ؟

وإذا كان هؤلاء الأولاد والبنات الذين يهينون ويرخصون الفن والفنانين بالقروش القليلة التي يحصلون عليها أو لعلهم يرقصون مجانا أو في مقابل طعام العشاء ، أقول إذا كانوا سيحولون الأربع آلاف قرية إلى مناطق محرمة على فنانينا النقابيين ويقيمون بينها وبينهم ستارا حديدياً ، فمن أين يأكل محرم فؤاد ومحمد ثروت وابراهيم عبد اللطيف وأحمد عبدالمقصود وفتحية ابراهيم وسميرة أحمد خليل وفاطمة عبد البارى ؟ إذا لم يغن مطربونا في مركز الصف ونجع حمادى وفارسكور.. أين يغنون ؟.

هل سيكتفون بالغناء في الكباريهات وعلب الليل وحفلات الأثرياء والاذاعة والتليفزيون وملء شرائط الكاسيت ؟ هل نترك هؤلاء الصبية الأوغاد يحرمون مطربينا النقابيين ، المسددين لرسوم النقابة ، المحافظين على تقاليدهم ، المحترمين للقانون وسيادته هل نتركهم يحرمونهم من الالتحام بجماهيرهم في تلك القرى ، لا كنا ولا كان الفن ولا كانت الدنيا إذا سمحنا بذلك .

ولكن فرحتنا بقراءة الخبر المنشور لا يجب أن تنسنيا أن الرقص والغناء مجرد فرعين فقط من فروع الفن، ماذا عن بقية الفروع؟ ماذا عن الفنون التشكيلية من رسم ونحت وخلافه. هل سنغض الطرف عن المخالفات القانونية التي ترتكب بحقها لمجرد أن أعضاء نقابتهم صوتهم خافت وشوكتهم منكسرة؟

إن معلوماتي الخاصة التي استقيتها من مصادر عديدة، سرية وعلنية، تؤكد أن عشرات الآلاف من الأطفال القصر ــ والبالغين أيضاً ــ يعملون بالرسم والنحت بلا ترخيص من نقابة التشكيليين. هل سنتركهم يقيمون معارضهم كل يوم في المدارس وقصور وبيوت الثقافة، هكذا، عيني عينك، ماذا ننتظر؟.. هل ننتظر إلى أن نستيقظ ذات صباح أسود فنجدهم قد علقوا لوحاتهم على جدران منازلنا، وتماثيلهم في غرف صالوناتنا؟.. بدون تصريح من النقابة.

وإذا احتج أحد بأنهم يعملون في هذا المجال مجانا على سبيل الهواية، وأنهم لا يبيعون إنتاجهم الفني، عند ذلك نرد عليه: ومن أدرانا أنهم سيلتزمون بذلك في المستقبل، أليس من الممكن أن يتحولوا في قادم الزمن إلى فنانين تشكيليين على درجة عالية من الإبداع تؤهلهم للإحتراف؟ لماذا لا نقضي على الفتنة في مهدها ونحاسبهم عند المنبع؟!

وهل هم حقا لا يحصلون على مقابل؟ ألا يحصلون في معظم الأحيان على جوائز مادية وعينية من مدارسهم ومناطقهم

التعليمية وآبائهم وأمهاتهم. ألا يحصلون على مصروف يومى من أهلهم؟ وحتى لو سلمنا جدلاً بأن هؤلاء الأطفال يعملون فى مجال الفنون التشكيلية بلا مقابل مادى.. وأنهم يكتفون بكلمات التشجيع ونظرات الإعجاب..ألا تحدث هذه الكلمات والنظرات أثراً طيباً فى نفوسهم؟ وهل تحدث الفلوس فى المحترفين من أعضاء النقابة شيئاً أكثر من الأثر الطيب.

ومع ذلك، ولكى نفوت الفرصة ونغلق الباب فى أوجه دعاة السفسطة والحجج الفارغة ودعاة الهدم والتدمير، نقول لهم ببساطة: إن القانون يجرم الفعل نفسه ولم يتعرض من بعيد أو قريب للمقابل المادى. هل ألقمناكم حجرا الآن؟.. اعتقد أننا قد ألقمناكم هرما.

أحدثكم الآن عن كبيرة الكبائر وجريمة الجرائم.. قرية الحرانية، وهى أيضاً ــ مثل الصف ــ قرية من قرى محافظة الجيزة. فى هذه القرية ترتكب أفظع جريمة جماعية عرفها تاريخ الفن فى مصر.. كل الأطفال فى هذه القرية يصنعون نوعا خاصا من السجاد الجميل عرف فى العالم كله باسمهم، سجاد أطفال الحرانية. ماذا تكون فكرة العالم كله عنا عندما تتسرب إليه المعلومات بأن كل هؤلاء الأطفال يمارسون مهنتهم بلا عضوية نقابة وبلا ترخيص؟.

فى العام الماضى جاء إلى مصر واحد من أشهر فنانى أمريكا التشكيليين النقابيين. وكان أول شىء طلب رؤيته هو قرية

الحرانية وانتاج أطفالها ، فأخذته إلى هناك وأعجب بهم وبإنتاجهم اعجابا شديدا وقرر أن يشترى عدداً من السجاجيد يقدر ثمنها بمائة ألف دولار. ولكنه قبل أن يوقع الشيك تحدث مع فتاة صغيرة فى حوالى الثانية عشرة من عمرها. سألها: أنت عضو النقابة يا شاطرة ؟

فردت عليه : أنا بنت عم محمد أبو سليم .

فعاد يسألها : يعنى معاكى تصريح ..

لم تفهم الفتاة عن أى شىء يتحدث صديقى وأرادت أن تنهى النقاش بسلام فقالت له : ثانك يو. وقامت قيامة الرجل ، وأنت تعرف الأمريكى عندما تقوم قيامته ، أخذ يصرخ ويمزق شعره وملابسه ويخبط رأسه فى الحائط وعندما تمكنت من تهدئته قال لى ، أنا آسف يا صديقى ، هذه جريمة لن أشارك فيها. لقد كان فى نيتى أن أقوم بعرض هذه السجاجيد فى أشهر صالات العرض فى نيويورك . ولكن لنفرض أن أحد النقاد سألنى : هل الأطفال الذين صنعوا هذه السجاجيد أعضاء فى نقابة التشكيليين .. بماذا أرد عليه ؟!

ــ أكذب عليه يا أخى .. أكذب عليه من أجلى .. قل له نعم .

ــ أنت لا تعرف النقاد فى بلادى ، إن لديهم كشوفا بأسماء وأرقام العضوية النقابية لكل الفنانين فى العالم ، لو أدليت لهم ببيانات خاطئة ، سوف يكشفونها على الفور، ويفتحون على أبواب الجحيم .

ولم يشتر الرجل السجاجيد. وخسرت مصر مبلغا كبيرا من العملة الصعبة بسبب هؤلاء الأوغاد الذين لا يقدرون المسئولية فضلا عن أننى قضيت الليلة كلها أتوسل إليه ألا يخبر أحداً فى بلاده بهذه الحقيقة المفزعة. ولم أتركه إلا بعد أن وعدنى بذلك ولكن، هل سيفى بوعده؟ هذا هو السؤال.

هل أحدثكم عن أخميم؟.. هى أيضا قرية يرتكب أطفالها نفس الجريمة، يصنعون سجادا من الحرير الطبيعى يصدرونه للعالم كله بلا ترخيص بمزاولة المهنة من النقابة، إنه مخطط يا سادة، فأفيقوا وتنبهوا قبل فوات الوقت. ومع ذلك وبالرغم من فداحة ما يحدث فلا زال الأمر بأيدينا، فبالرغم من أن مصر تفتقر ــ حاليا ــ للعدد الكافى من الإصلاحيات التى تستوعب ذلك العدد الكبير من أطفال الحرانية، إلا أنه يمكن بسهولة، بناء سور كبير حول القرية وتحويلها هى نفسها إلى اصلاحية، وليستمر إنتاج السجاد بشرط أن يتم البيع لصالح النقابة. تحت اسم سجاد إصلاحية الحرانية، ويكتفى بإعطاء كل طفل قرش صاغ واحد يوميا. أنا شخصيا فى مثل سنهم كل مصروفى اليومى نصف قرش فقط.

انتقل إلى النحاتين والفخارين وصانعى التحف والتماثيل الفرعونية المقلدة. كلهم يبيعون منتجاتهم بلا عضوية نقابة فى الوقت الذى يعرض فيه فنان نقابى عظيم مثل مختار تمثاله نهضة مصر فى الشارع (أى والله فى الشارع) أمام الجامعة دون أن يتقدم أحد لشرائه بالرغم من مرور عشرات السنين.

إن صفحات الدنيا كلها لن تكفينى إذا أردت أن أسرد كل الأمثلة على انتهاك قوانين النقابات الفنية فى مصر. ولذلك سأكتفى بذكر هذه الأمثلة الواضحة ثم انتقل للجزء الثانى من حديثى، وهو الجزء التطبيقى الذى ينصب أساسا على وسائل الكشف والتحرى والقبض والاحضار.

ولكن قبل أى تحرك عشوائى لابد من التنبيه بأنه لا يمكن تنفيذ أى قانون فى الدنيا مادمنا لا نملك القدرة والوسائل اللازمة لتنفيذه، فإذا كنا جادين حقا فى إيقاف هذه الجرائم فإن علينا أن نجيب على السؤال التالى:

هل جهاز الشرطة عندنا بامكانياته الحالية قادر على متابعة هؤلاء المخربين فى طول البلاد وعرضها؟ الاجابة بصراحة ووضوح: لا.. ليس قادرا.. ولن يقدر، حتى لو تفرغ لهذه المهمة وترك مهامه الأساسية مثل القبض على اللصوص، والمرتشين، والقتلة، والنصابين.. الخ.

إذن مهما بذلنا من مجهود فسوف يفلت منا حتماً العدد الأكبر مواصلاً انتهاك القانون فى أماكن بعيدة لذلك لامفر من إنشاء جهاز شرطة جديد للردع الفنى يتميز بالقدرة على سرعة الانتشار ويتم تزويده بكل الامكانيات، وعندما أقول الامكانيات فأنا أعنى تكنولوچيا العصر، إن عدة أقمار صناعية مجهزة لهذا الهدف، بكاميرات فضائية عالية الكفاءة، وأجهزة تسجيل من نفس النوع. هذه الأقمار تستطيع أن ترصد بجهاز خاص يعمل بأشعة الليزر

.. زغاريدوأغانى ورقصات البشر حتى لو كانوا فى بروج مشيدة، فى مغارات الجبال فى قنا مثلا، ويعاد التقاط هذه التسجيلات فى محطة ارضية خاصة تنطلق منها طائرات الهليوكبتر والمدرعات والسيارات المصفحة إلى أبعد قرية وأقصى عزبة. عند ذلك نواجههم بجرمهم المشهود مسجلا على شرائط عند ذلك ينهارون ويعترفون.

لابد أيضا من عدة لنشات سريعة نخصصها للقبض على الصيادين فى النيل والبحيرات الذين يظنون أن غناءهم ورقصهم بعيدا عن اليابسة يجعلهم بمنأى عن يد القانون.

واسمحوا لى أن اقترح فى هذا المجال طريقة مقتبسة من صيد الوحوش فى الغابة، وهى الشباك، تقف الطائرة الهليوكبتر المركّب عليها جهاز كاتم للصوت ــ حتى لا يكتشف وجودها أحد ــ فوق الفرح تماما. ثم تنزل منها شبكة من الحبال المتينة، تلقى على المغنيين والراقصين فتشل حركتهم فى ثوان وترتفع بهم إلى جوف الطائرة وبذلك لا نسبب ازعاجا للمدعوين فقد يكون من بينهم شخصيات هامة. من الممكن أيضا استخدام أسلوب الشفط إذا كان المطلوب القبض عليه مطرباً واحداً أو راقصة واحدة، تتدلى أنبوبة من البلاستيك القوى بحجم الإنسان من جسم الطائرة فوق المغنى ثم تشفطه فى ثانية واحدة. وعموما هناك أساليب عديدة للتنفيذ المحكم بشرط أن تخلص النوايا..

أما إذا ارتفعت أصوات بعض المثقفين الذين لا يعجبهم العجب

قائلين : إن هذا القانون جائر، وإنه فى ظاهره يحمى الفنانين ولكنه فى الحقيقة يقضى على الفن ويحول الأمة إلى وحوش. وإننا لو كنا طبقناه منذ زمن بعيد لما كان لدينا سيد درويش وأم كلثوم ومحمد عبدالوهاب فقد غنوا جميعاً فى نفس السن ونفس الظروف التى غنت فيها فتيات الصف. عند ذلك نرد عليهم قائلين :

ـــ ونحن أيضا نحب الفن مثلكم ، ولكننا أيضا نحب القانون ، فإذا تعارض الفن مع القانون ، فمع من نقف ؟ لنضع القضية فى اطارها الفلسفى الصحيح. نحن نحب الحق ونحب أرسطو، فإذا تعارض أرسطو مع الحق فمع من نقف ؟.. مع الحق طبعا ، والحق كما تعلمون هو القانون.

وقد يقول قائل : أنت لست جاداً فى حديثك ، لماذا لا تنصحهم بإعادة النظر فى القانون نفسه ؟

والرد على ذلك هو: سنوات طويلة وأنا أنصح الآخرين إلى أن توصلت بالصدفة لمثل شعبى يقول « انصح صديقك من الضحى للعصر، وآخر النهار غشه ، وقيل ضلله ، وقيل وافقه » فقلت لنفسى : حسنا .. هذا هو آخر النهار، فلماذا لا أطبق المثل بحذافيره وأقول لمن يخطىء خطأ مروعا .. عظيم .. هايل .. عفارم عليك .. بخ بخ .. برافو.. أحسنت .. يا حلاوتك .. الله عليك .. استمر فى هذا الطريق ، فإنه سيوصلك ويوصلنا معك حتماً إلى الجحيم .. ألا تريد الذهاب إلى هناك ؟

مندبة القمر الصناعى

واقمراه .. واأخطاراه .. واصناعاه .. وارقاباه ..

كانت الصرخات حادة متتالية سريعة مزقت سكون الليل فى حينا الهادىء، فأضيئت النوافذ وأطل منها البشر فى ذعر وفضول .

لم استطع فى البداية أن أتبين حقيقة الكلمات التى تغلفها الصرخات، غير إننى استطعت أن أتبين أخيرا مصدر تلك الصرخات الملتاعة، كانت منبعثة من الڤيلا المجاورة لى .

ارتديت الروب والشبشب على عجل كما يحدث دائما من أبطال الأفلام فى تلك المواقف وخرجت مسرعا مقتحما باب الڤيلا الخارجى لأجد مجموعة أخرى من الجيران قد وصلت فى نفس اللحظة . ضربت بقبضة يدى بقوة علي باب الڤيلا وأنا أصيح فى حزم : إفتح الباب .

وفى داخل الڤيلا شاهدت منظرا لن أنساه ما حييت، كان الرجل الوقور صاحب الڤيلا الذى يعمل موظفا كبيرا فى الدولة والذى لم يسمع له أحد صوتاً من قبل، كان يلطم وجهه بيديه

ويشد شعره ويمزق ملابسه. كانت زوجته أيضاً تفعل نفس الشيء. المؤلم أن الأطفال أيضاً استولت عليهم نفس حالة الفجيعة وفقدان العقل. بذلنا جهداً كبيراً فى تهدئتهم ثم بدأنا نوجه لهم الأسئلة لمعرفة نوعية المصيبة التى حلت بتلك الأسرة.

ــ ماذا حدث يا سيدتى.. ماذا حدث يا سيدى؟

* مصيبة، كارثة، فاجعة، واخطراه..!

ــ هل خسرتم أموالكم فى شركات توظيف الأموال؟

* يا ريت.. أفظع.. أشنع.. أفظع من ذلك بكثير.

ــ هل مات عزيز لك فى حادث؟

* أفظع من ذلك بكثير..

ــ هل لكم أقارب فى السودان، فقدوا أرواحهم فى الفيضان؟

* أفظع من ذلك.. آه.. واقراه.

ــ هل لكم أقارب من الشباب، ماتوا فى الضفة الغربية فى أحداث الانتفاضة؟

* يا ريت.. أفظع من ذلك بكثير.. واقراه..

ــ هل لكم طفل اسمه قمر، أصيب فى حادث؟

* يا ريت.. أفظع من ذلك..

عند ذلك صحت فى وجه الرجل وزوجته بعنف: بس.. هس.. نريد أن نعرف ماذا حدث؟

هدأ الرجل وزوجته قليلاً وبدآ يتكلمان من خلال الدموع وبأنفاس متقطعة:

• القمر الصناعى !

ـ ماله .. هل سقط على بيتكما فاحترق أم إنه سقط على نافوخ سيادتك ؟

قال الرجل فى تعاسة : القمر الصناعى سوف يبدأ قريبا فى بث ارساله فى المنطقة .

ـ وأنت مالك أنت ومراتك ؟

ـ أنا أعمل رقيبا على النشر والمسرح والسينما والأغانى والأحاديث .. وهذا القمر الصناعى سوف يبث برامجه دون أن تمر علينا ، ولقد عقدنا اجتماعات عديدة لدراسة (الأخطار) المترتبة على ذلك .. ولكننا لم نصل حتى الآن لوسيلة ندرأ بها هذه الأخطار .

ـ هل من الممكن أن تتفضل وتحدثنى عن هذه الأخطار بالضبط ؟

عند ذلك صرخت زوجته وهى تمزق وجهها بأظافرها : يا لهوى .. يا لهوتى .. يا مصيبتى . ألا تعرفها .. أفلام مليئة بالقبل والأشياء الأخرى .. والأفكار المدمرة الهدامة .. شيوعية على رأسمالية .. وراقصات باليه .. يا خرابى .. من ذلك النوع الذى يثير الغرائز !

ـ هل حقاً يا سيدتى ، يثير الرقص بكل أنواعه الغرائز أم هو يخمدها .. لو إنك يا سيدتى قادرة على إثارة الغرائز عند زوجك أو عند أى أحد آخر ، لعرفت أن مسألة اثارة الغرائز هذه أكذوبة

كبرى من اختراعكم أنتم ، الاخفاء وليس العرى هو الذى يثير الغرائز ولو كانت لزوجك غرائز أخرى غير العدوان لما شعر للحظة واحدة أن هناك أخطاراً من القمر الصناعى .. من أين سيأتى القمر الصناعى بالمواد التى سيبثها ، هل سيأتى بها من الجحيم ؟ تطبخها الأبالسة والشياطين لتفسد بها البشر فى مشرقنا العربى ؟ وهل الإنسان فى شرقنا العربى الذى انتقل فى أعوام قليلة إلى العصر الحجرى بكل قضاياه وخلافاته وأفكاره ومذابحه .. هل هذا الإنسان قابل للمزيد من الافساد .. هل هناك شىء تحت الشمس لديه القدرة على إكسابنا المزيد من الجهل والشر والوحشية ؟ لا القمر الصناعى ولا القمر الطبيعى ولا الشمس ولا النجوم بقادرة على ذلك .

انتى أعرفكم جيدا .. أنتم الذين ارتجفتم من أخطار جهاز التلغراف ، واستولى عليكم الرعب من أخطار التليفون ثم من أخطار الموتور .. كل ما يجعل المنطقة جزءا من العالم ومن العصر ، تقفون أمامه فى ضراوة وتنطع .. وتفشلون فى النهاية بعد أن يتضح للناس أنه لا أخطار هناك ولا يحزنون .. وإنما هى الوحشية المرضية والرغبة فى العدوان على الآخرين ترتدى ثياب الخوف عليهم من أخطار لا وجود لها .

هدأ الرجل وزوجته وأطفالها ، انصرف الجيران وهم يضربون كف بكف قائلين : لا حول ولا قوة إلا بالله .

غير أننى بقيت فى اصرار لكى أعرف بالضبط كيف يفكر هذا

الرجل ، ما الذى جعله يعتقد حقا أن فاجعة فى الطريق إلينا عبر القمر الصناعى الذى سوف يبث برامجه إلينا عما قريب .

لما لاحظ الرجل وزوجته اصرارى على البقاء لمعرفة الحقيقة ، أخذ يتكلم بهدوء :

* أنا أحد الأفراد المهمين فى قبيلة « بنى رقيب » ، وهى القبيلة التى تحمى الحكومات والأنظمة من الأفكار.

ــ تقصد الأفكار الهدامة ؟

* هذا مانشيعه بين الناس .. الواقع أننا نحمى الحكومات والرؤساء والأنظمة من الأفكار أية أفكار ، نحن ضد أن يفكر البشر أصلا .. وكل الأنظمة فى المنطقة تعاملنا ليس بوصفنا موظفين مثل زملائنا فى وزارة الصحة مثلا ، ولكن تعاملنا بوصفنا جهازا أمنيا على درجة فائقة من الخطورة ، ولذلك فهى تغدق علينا .. ماذا يحدث إذا اتضح لهذه الحكومات أن هناك أفكاراً وأفلاما ، وأحاديث ومناظرات وأخباراً و .. و .. و .. سوف تصل للمواطنين دون أن تمر علينا ؟

ــ نعم ، ماذا سيحدث أعزك الله ؟

* بالقطع سوف نفقد كل أهمية لنا .. فتضيع مكانتنا ، كما ستضيع المكافآت والمرتبات والمنح ، والعطايا والهبات ، ستضيع قبيلة « بنى رقيب » ستذبح ويتفرق دمها بين الأقمار الصناعية .. إن كل المبدعين يكنون رعبا خاصا أو احتراما خاصاً لقبيلة « بنى

رقيب » . لا تصدق أن أحداً منهم لا يخشانا ، هو يخافنا ويفزع منا ويتقى شرنا بكل الطرق مهما تظاهر بغير ذلك ، ومهما كانت درجة الانتشار لأغانى حرية التعبير.. الآن ظهرت « جهة » لا يمكن الوصول إليها « لمراقبة » ما تقدمه.. فكانها السماء بين السحب.. وهذا القمر اللعين المشئوم ، سيحرص على الحصول على أكثر أنواع الفن جودة وابداعا ، عند ذلك لن يخشانا أحد .. سوف يذهبون بانتاجهم إلى ذلك القمر وهم يخرجون لنا ألسنتهم ..

بدأت أشعر بالحزن فعلا لمصيبة الرجل وقلت له : ألا يمكن مراقبة البث من المنبع .. أقصد من القمر الصناعى نفسه ؟

أجاب فى تعاسة : فكرنا فى ذلك .. طلبنا من المسئولين سرعة تدبير مركبة فضاء سريعة مع اعداد جيل كامل من الرقباء الفضائيين يجيدون السباحة فى الفضاء الخارجى .. يركبون هذه السفينة ثم يخرجون منها وينقضون على القمر الصناعى نفسه ليراقبوا ما يقدمه ..

ــ جميل .. وماذا كان رد المسئولين ؟

ه وافقوا بحماس ، وبالرغم من الأزمة الاقتصادية والعجز فى الميزانية إلا إنه ثم تدبير مبلغ خمسين مليار دولار لإنشاء مركبة فضاء رقابية بالاشتراك مع وكالة (ناسا) كما تم تدبير عشرة مليارات أخرى لاعداد جيل شاب من رواد الفضاء الرقباء ولكن المشروع توقف .

ــ لماذا ؟

* اتضح أن السماء ليست تابعة لوزارة الثقافة، أيضا اعترضت على المشروع هيئة الطيران المدنى وهيئات أخرى ..،

ــ هل فكرتم فى تقديم شكوى للأمم المتحدة ؟

* قدمناها بالفعل، فرد علينا السيد «كويلار» بأن هذا الموضوع خارج اختصاص الأمم المتحدة .. فى الغالب هو متواطىء معهم .

ــ هل فكرتم فى مصادرة كل أجهزة التليڤزيون فى مصر؟

* نعم .. وبعد دراسة الموضوع اعترضت وزارة الخزانة لارتفاع حصيلة الرسوم الجمركية ورسوم الاستهلاك التى تحصلها من دخول هذه الأجهزة، كما إن وزارة الصناعة اعترضت هى الأخرى على الفكرة فلديها مصانع بها آلاف العمال سوف يتشردون، كما قيل لنا أن هذه الفكرة ليست عملية، لأنه حتى اذ صادرنا أجهزة التليڤزيون، فسوف تنشأ سوق سوداء سرية يشترى المواطن منها جهازاً آخر.

ــ هذه المسألة حلها سهل .. اعداد قوات انتشار سريعة لاقتحام البيوت واعادة مصادرة هذه الأجهزة.

* قلنا لهم ذلك .. ولكنهم لم يوافقوا ..

ــ لماذا .. ؟

* قالوا أن ذلك ضد الاستقرار والأمن الاجتماعى ..

ــ وما رأى وزارة الإعلام، أقصد المسئولين عن التليڤزيون العربى .

* اعترضوا على فكرة المصادرة على اطلاقها، ووافقوا على مصادرة الأجهزة التى يثبت من التحريات أن أصحابها قد شاهدوا برامج القمر الصناعى.

ــ فكرة جيدة...

* وزارة الداخلية هى التى اعترضت هذه المرة.. فجهاز التحريات لديها غير قادر بوضعه الحالى على أداء هذه المهمة.. كما أن الشكاوى الكيدية التى سيقدمها الناس فى بعضهم البعض سوف تجعل مهتمهم أكثر صعوبة..

ــ يعنى لا أمل ؟.

ــ لا أمل..

قالها وأجهش فى البكاء..

بدأت أشعر بالفعل بحجم الكارثة التى تعيشها قبيلة «بنى رقيب»، هم محاصرون بالفعل، محاصرون بتكنولوچيا العصر واختراعاته، لقد كانت الاختراعات الجديدة، هى فرصة الإنسان الوحيدة لاكتساب المزيد من الحرية وهم يعرفون ذلك جيدا ولذلك هم ضد كل اختراع، ماعدا الميكروفونات والكاميرات، التى تنقل إلينا أصواتهم وأوجههم القبيحة. تذكرت فى تلك اللحظة دخول «الترام» إلى القاهرة، لقد وجهت إليه فى ذلك الوقت تهما كثيرة ليس أقلها شأنا، أنه سيسبب (أخطاراً) فظيعة بسبب «سرعته الفائقة»، ولكن القمر الصناعى ومائة قمر صناعى آخر سوف تذيع برامجها على المنطقة حاملة الابداع البشرى من كل مكان، فاتحة

باب الاختيار على أوسع أبوابه أمام الإنسان العربى.. أما قبيلة (بنى رقيب) فلا بأس من أن نستمع قليلاً لصرخاتها، احذروا أخطار الترماى أقصد القمر الصناعى.



كان فى بيتنا ڤيديو

عندما شاهدت صديقى المؤلف (ع . ص) فى إحدى الندوات الأدبية لم أعرفه . لقد تحول لشخص آخر فى أيام معدودة .. كنت أعرفه ممتلىء الجسم فى بدانة . يتفجر بالحيوية والنشاط ، سألته فى قلق : مالك ؟ هل تشكو مرضاً ما .. أم إنك تتبع رجيماً قاسياً ؟ .

قال بهمس وكأن مجرد النطق يتعبه : الڤيديو.. لقد فقدت عشرين كيلو جراما من وزنى بسبب الڤيديو..

ولما كنت أعرف أن مشاهدة الڤيديو بكثرة ليس لها صلة بشحم الإنسان ولحمه ، عدت لأسأله : هل هناك إشعاعات معينة فى جهاز الڤيديو تؤثر فى جسم الإنسان ؟ .. وتفقده الوزن ؟ .. أو لعلك تقصد إنك اشتريت جهاز الڤيديو بآخر ما تملك من نقود ولم تعد تجد ما تأكله ؟

سكت صديقى قليلاً ثم بدأ يقص على قصته التى هى أغرب من الخيال :

لقد قاومت كثيراً شراء هذا الجهاز الذى دخل الآن كل بيت وكل حارة، فقد علمتنى التجربة أن كل اختراع تكنولوچى جديد يدخل فى بيتى يسبب لى من المتاعب أكثر مما يجلب لى من الراحة. غير أننى بعد طول إلحاح من زوجتى وبعد حملة تحريات مكثفة بين أصدقائى من مهندسى الإليكترونيات والمتخصصين فى أسرار الڤيديو، اشتريت جهازاً قوياً من النوع الذى نادراً ما يتعطل. فأنا أخشى المرمطة فى مراكز الصيانة.

اشتركت فى عدة نـوادى للڤيديو لتأمين عدد من الأفلام شهريا. وبعد فترة اكتشفت أو (بمعنى أصح، زوجتى هى التى اكتشفت) أن النوادى لا توفر الأفلام الجيدة وأن هناك سلوكا وتقاليد ڤيدياوية أو ڤيديوية لابد من اتباعها للحصول على أفلام جيدة من خلال شبكة محكمة من الأصدقاء والمعارف والأقارب. كانت الأوامر تصدر لى من زوجتى بالتليفون قبل انصرافى من الجريدة التى أعمل بها بدقائق تصدر تعليماتها من أجل إعادة الأشرطة التى شاهدناها ثم ترسل لى خطة استحضار الأشرطة التى سنشاهدها.

ــ ألو يا حبيبى.. لا تنسى أن تمر على عمتى عنايات لتعطيها فيلم طرازن فى نيويورك ولكى تأخذ منها فيلم الزلزال.. وفاجعة فوق السحاب.. ثم تمر على منزل خالى لتعطيهم فيلم الزلزال وتأخذ منهم فيلم «روعة الحب».. عند ذلك ستجد نفسك قريبا من منزل بنت أختك.. اعطها (فاجعة فوق السحاب) وهات منها

فيلم الشبح الرهيب .. وعند عودتك مر على عمتى ، ستكون قد انتهت من مشاهدة طرزان يجد ابناً .. هاته منها .. أما إذا لم تكن قد شاهدته فاطلب منها «طرزان لا يجد أحداً» .. قل لها أن تبحث عنه فى ثانى درج على الشمال فى المطبخ .. لقد خبأته بنفسى حتى لا يشاهده الأطفال .

وهكذا كنت أسير على قدمى يومياً حوالى خمسة عشر كيلو متراً لاستحالة التنقل بالسيارة فى زحام القاهرة وبالرغم من كميات الطعام الكبيرة التى التهمتها إلا أن المجهود الكبير الذى أبذله يفوق بكثير ما أحصل عليه من طعام . وهكذا بدأ وزنى يتناقص بسرعة واصبحت كما ترانى .

سكت برهة ثم نظر فى ساعته وانتفض واقفا وهو يقول : عفوا .. لدى موعد مع صديق سيعطينى فيلما جديداً .. قالها وانصرف مسرعاً ..

مر اسبوعان والتقينا مرة أخرى فى ندوة للدفاع عن حقوق المرأة ، ففوجئت به وقد استعاد بعضاً من وزنه وبدت عليه الحيوية والنشاط فسألته : هل تعطل جهاز الڤيديو .. ؟

أجابنى وعيناه تلمعان ببريق سار : لا .. لقد سرق .. اقتحم اللصوص شقتنا وسرقــوه وحده .. لم يسرقوا شيئاً آخر .

عندما رآنى انظر له فى غير تصديق همس فى أذنى : لقد انتهزت فرصة غياب زوجتى فى زيارة لأهلها وسرقته .. سرقته

بنفسى وألقيت به فى النيل .. ولقد أبلغت زوجتى الشرطة .. وجاء أحد الضباط وعاين الشقة ورفع البصمات .. وأعطيناه كل أوصاف الجهاز وأرقامه المسجلة عليه .. انتابت الحيرة ضابط الشرطة لأنه لم يعثر على دلائل تشير لاقتحام الشقة .. غير إنه اقتنع بأن السارق لابد قد أتى من النافذة .. وانصرف بعد أن وعدنا خيراً ..

هنأت صديقى على فقده جهاز الڤيديو وانصرفت بعد أن أحسست بالارتياح لهذه الخاتمة السعيدة لقصة صديقى المؤلمة .. ولكن للأسف اتضح فيما بعد أن حكاية صديقى لم تتم فصولاً .. وأن لها بقية .. وبقية محزنة حقاً قرأتها فى جرائد الصباح . كان رجال الشرطة النهرية يمسحون قاع النيل عقب حادث تصادم بين مركبين ففوجئوا بجهاز الڤيديو وبالبحث فى قوائم وبلاغات مسروقات الڤيديو أمكن الاستدلال على أصحابه . وتسليمه إليهم . ويقال إن الجهاز عاد للعمل مرة أخرى بمجرد وضعه فى الشمس لعد دقائق .. ومضى الخبر يقول إن أساتذة علم النفس الجنائى مشغولون الآن بتحليل شخصية ذلك اللص المجنون الذى سرق جهاز الڤيديو وألقى به فى النيل .. كما أن الشركة المنتجة للجهاز، استغلت الحادث فنشرت إعلانا تقول فيه (اشتر الجهاز الذى يعود للبيت دائماً) ..

مسكين صديقى .. مرة أخرى سيفقد وزنه ... !

ساعات الرعب الجميل

كنت حريصاً على مشاهدة ذلك الفيلم في عرضه الأول في حفل الساعة العاشرة صباحاً. فقد اشتركت في كتابته مع واحد من أهم كتاب السيناريو في تاريخ السينما المصرية. إن لم يكن أهمهم على الإطلاق وهو المرحوم الاستاذ على الزرقاني.

وكان مخرج الفيلم واحداً من أهم المخرجين. وابطاله، مغن شهير ثم أجمل إمرأة في الكون. وأماكن تصويره كانت مصر ولبنان القديم، لبنان عندما كان جنة وقبل أن يتحول لجحيم تتجول في ارجائه الزبانية حاملة كل ما اخترعه الإنسان من أدوات الدمار. ثم تركيا.

كان الفيلم هو محاولتي الرابعة التي أخوضها لكي أفهم ماذا يريد السينمائيون منا نحن كتاب الدراما.

وبدأ الفيلم.. أشخاص يتحركون على الشاشة، لا أحد يدري من هم. ولا ماذا يفعلون. وظهرت البطلة كانت جميلة جداً إلى

الدرجة التى أنست فيها المخرج الإخراج، كما أنست مدير التصوير التصوير، كما أنست بقية الممثلين فن التمثيل.

ولكن جمالها الأخاذ لم يفلح فى أن ينسى أحداً من المتفرجين إنه لافيلم هناك. بدأت تتوالى الصور. البطلة مع البطل. البطلة مع الشرير. البطلة على البحر. البطلة فى السيارة. البطلة فى اللنش. البطلة نائمة بجسدها اللدن الجميل. مستيقظة. البطلة نائمة. البطلة تبتسم. البطلة تكشر.

صور تعقبها صور، كما لو إن مصوراتى ميدان الأوبرا. كون ميليشا مسلحة. حاصرت كل العاملين فى الفيلم وأخذتهم رهائن وحبستهم فى مكان بعيد، لكى يتمكن من الانتهاء من عمل الفيلم.

ومرت الدقائق ثقيلة رهيبة تنذر بالخطر. ساد صمت ثقيل قاعة سينما أوبرا. لم تكن الناس تصدق ماتراه. لابد أن هناك خطأ ما.. خطأ مروع وقع فيه المؤلف والمخرج.. لم يبدأ بعد فى تقديم الحدث الرئيسى فى الفيلم بالرغم من مرور ساعة ونصف على عرضه، لابد أن صناع الفيلم يستعرضون فى البداية كل مواقع الحسن والجمال فى البطلة. لكى يتفرغوا بعد ذلك لسرد أحداث الفيلم نفسه.

الصبر طيب.. الصبر جميل.. الصبر مفتاح الفرج.. وهو أيضاً مفتاح هذا الفيلم.

وصبر الناس صبرا جميلا .. غير أن الفيلم انتهى بعد عدة دقائق وأضيئت أنوار الصالة. نظر الناس لبعضهم البعض فى بلادة وكأنهم لا يصدقون ما حدث. إنتظروا أن تطفأ أنوار الصالة مرة أخرى غير ان ذاك لم يحدث. لا مفر من الاعتراف أن الفيلم قد انتهى.

قاموا فى تراخ من على مقاعدهم. أخذوا طريقهم للخارج بإحساس من تعرض لعملية نصب مروعة قامت بها قوى خفية لا قبل لهم بمواجهتها.

بدأت أشعر وأنا أتسلل خارجاً بينهم بالرعب يملأ قلبى وأنا اسمع تعليقاتهم الحزينة المحبطة. قال أحدهم بتعاسة لا حد لها .. مش قلت لك نروح أحسن ياعبده.

شخص آخر إلى جوارى كان يكلم نفسه: الله يخرب بيت أبوكم يا ولاد الكلب.. حانروح منكم فين ؟.

لقد اكتشف المسكين أن الحصار حوله قد بلغ درجة من الإحكام، يستحيل معها الإفلات. ثم قال عدة تعليقات تمس الآباء والأجداد والأمهات...

وبدأ يلح على خاطر مخيف، فجأة سيصيح شخص ما: المؤلف أهو.. !

عند ذلك سينقضون على.. ألف شخص على الأقل.. سيمزقوننى إرباً إرباً.. ويضيع دمى متفرقاً بين القبائل. يا لها من

ميتة حقيرة وضيعة .. وبدأت أتخيل المانشيتات. الجماهير تمزق مؤلفا فى دار للعرض. قوات الأمن تتمكن من العثور على فردة حذاء وبعض أجزاء من البنطلون.

المسافة من قاعة سينما أوبرا إلى الشارع لا تتعدى عدة أمتار. قطعتها فى عدة ساعات من الرعب أو لعلها سنين. كانت أطول فترة فى حياتى أشعر فيها بذلك الإحساس الذى يسمونه الهلع.

تشجع .. اصمد .. بقيت خمس خطوات .. احمنى يارب .. لا تسرع فى خطواتك لكى لا تلفت إليك الأنظار. ولا تبطىء أيضاً فقد يتعرف عليك أحد .. يارب .. نجنى هذه المرة .. هذه المرة فقط بعد ذلك لن أكتب للسينما، ولا لأى شىء آخر، لن أكتب حتى خطاباً لأحد .. أعاهدك أن أتوب .. !

بقيت ثلاث خطوات. سبحانك يارب. لم يتعرف على أحد بقيت خطوتان. يابركة السيدة زينب .. خطوة واحدة .. شى الله ياأم هاشم. يارب. خطوة واحدة.

هذا هو السلم. هذا هو الشارع. أحمدك يارب. هأنذا فى الشارع.

إنعطفت يمينا فى أول منعطف وأخذت أجرى .. أخذت أجرى بكل ما أملك من قوة.

ذهبت إلى صديق من كبار كتاب السينما وقصصت عليه ما حدث، استولى عليه القلق، وبدأ يحكم إغلاق الباب والنوافذ،

ثم سألنى باهتمام : هل أنت متأكد أن أحداً لم يتبعك إلى هنا ؟!

بعد أن استرددت رباطة جأشى قال لى : أنت اتجننت تروح تشوف فيلمك مع المتفرجين ؟ .. أمال العروض الخاصة اتعملت ليه ؟ حد يروح للموت برجليه ؟ .. إوعى تعملها تانى .. !

فيما بعد وعقب احداث يناير ١٩٧٧ شاهدت بالصدفة مجموعة صور فوتوغرافية لمجموعة كبيرة من المخربين الذين كانوا يحرقون ويدمرون ويخربون ، وتعرفت على وجوههم . إنها نفس الوجوه التعسة المحفورة فى ذاكرتى ، والتى شاهدتها خارجة من قاعة سينما أوبرا فى ذلك اليوم المرعب .

الحمد لله ، لقد وجدوا أخيراً متنفسا لغضبهم وغلّهم الذى كبتوه طويلا .. وبعد ذلك عدت للكتابة .



إقرأ الورقة :

صيحة الرعب القديمة

اقيمت الديكورات فى البلاتوه. تأكد المخرج أن كل الممثلين قاموا بحفظ أدوارهم وحركتهم..أجريت التدريبات الكافية أمام الكاميرات ولم يبق إلا التسجيل. وتمر الثوانى والجميع يقرأون الفاتحة فى همس وقد استولى عليهم إحساس غامض بالخوف من اقتراب لحظة التسجيل. يصيح المخرج من غرفة التحكم فيصل صوته من السماعات المركبة فى البلاتوه: بسم الله الرحمن الرحيم.. حانسجل.. وتمر عدة ثوان قبل أن يصرخ: إقرأ الورقة!

عند سماع صرخة (اقرأ الورقة) يكون الرعب قد وصل بالجميع إلى أقصى درجاته، يتقدم من الكاميرا أحد المساعدين واضعا أمامها ورقة عادية مدون عليها كل المعلومات عن مادة التصوير، رقم الشريط، اسم المخرج، اسم التمثيلية.. الخ ثم يقرأها بصوت مرتفع ليبدأ التمثيل.

فى هذه الأيام لم نكن نعرف شيئاً عن (المونتاج) فى القيديو،

بمعنى أن التسجيل كان يمضى فى طريقه دون توقف إلى أن ينتهى تصوير التمثيلية بكاملها ، وإذا حدث توقف لأى سبب من الأسباب كان لابد من إعادة ما سبق تصويره مرة أخرى. لنفرض أننا نقوم بتسجيل تمثيلية مدتها ساعة ، هذا يعنى ببساطة أن هذه الساعة لابد أن تمر دون أن يرتكب أى مخلوق أى خطأ فى الاستوديو. فإذا حدث أن أحد الممثلين تلعثم فى جملة فى الدقيقة التاسعة والخمسين. عند ذلك لابد من اعادة التسجيل كله مرة أخرى ، ولكن بالطبع بعد أن يفترس الممثلون زميلهم المسكين بنظراتهم أو بعد أن يسلقوه بألسنة حداد على حد التعبير العربى الشهير.

ويصرخ المخرج : إقرأ الورقة .. وتبدأ دورة الرعب من جديد.

ومنذ أعوام طويلة . كان أول دور لعادل إمام فى التليفزيون هو قيامه ببطولة مسلسل « الفنان والهندسة » من تأليفى وإخراج محمد فاضل . وفى المشهد الأخير من إحدى الحلقات كان عادل يلتقى بالبطلة فاطمة مظهر بجوار عربة يد فى حى شعبى تبيع « البليلة » .

كل منهما كان يجلس وقد أعطى ظهره للآخر، ويدور بينهما حوار قصير سريع بينما هما يأكلان البليلة.

ــ طالب ؟

ــ كنت .

ــ ودلوقتى ؟ . .
ــ زى ما نت شايفه . . باكل بليلة .

بدأ تسجيل الحلقة فى العاشرة صباحاً وفى كل مرة كان يتوقف لسبب ما . وفى الساعة الثانية بعد منتصف الليل كنا قد وصلنا لمشهد التقاء البطل بالبطلة . أخطأ عادل فى الحوار فتوقف التسجيل ليبدأ من جديد وعندما وصلنا للمشهد أخطأت فاطمة فبدأنا من جديد . . وعندما وصلنا للمشهد ، مر بسلام وتنفسنا جميعا الصعداء فى ارتياح . غير أن الممثل الذى يلعب دور بائع البليلة قدم الطبق فارغا لعادل ، والتقطت الكاميرا بوضوح شكل الطبق الفارغ ، لقد نفدت كمية « البليلة » أثناء الاعادات المتكررة .

توقف التسجيل وأرسل مدير الإنتاج أحد مساعديه على عجل لاحضار كمية أخرى . بدأ التسجيل والجميع فى قمة التوتر ، وعندما وصلنا للمشهد سيء الحظ حبس الجميع أنفاسهم فى انتظار أن يمر بسلام ، ولكننا فوجئنا بعادل وفاطمة ــ من فرط الاجهاد ــ ينطقان الحوار مقلوبا فأصبح هكذا :

: طالب ؟
: لا . . باكل بليلة .
ولقد حاولا أن يصلحا الموقف بالتأليف الفورى فسألته :
: أنا بأسألك . . طالب ؟ . . تقولى باكل بليلة . .
عند ذلك رد عليها عادل : أيوه . . أنا باكل بليلة فى كلية الهندسة . .

بعدها صاح عادل : مش قادر أكمل ياأستاذ فاضل .. تعبت ..

ورد عليه المخرج بهدوء : معلهش .. ولا يهمك .. حانسجل تاني .

انتهينا من تسجيل الحلقة بعد الفجر بقليل . وعندما نزلنا إلى الاستديو لنشكر الممثلين على مجهودهم ، صرخ عادل فى وجهى بصوت مجهد : حرام عليك ياأخى .. لقد امتلأت كل خلايا جسمى بالبليلة .. هل كان صعباً عليك أن تجعل البطل يتعرف على البطلة فى محل كباب ؟



قلها مرة أخرى .. من فضلك

نشأت منذ نعومة أظفارى على عشق المسرح أو حب التمثيل . لم أكن أتخيل لنفسى مهنة أخرى غير التمثيل . إنها فى نظرى ــ أو كانت فى نظرى ــ الحرفة التى تجمع كل الحرف . فاليوم ألعب دور الامبراطور، وغدا دور المتسول وبعد الغد قائدا للجيوش . فى الشهر القادم قد أكون موظفاً صغيراً، وفى الشهر الذى يليه قد ألعب دور الباشا القاسى المفترى .

حتى قراءاتى فى التاريخ والفلسفة ، كانت بقصد اكتساب المعرفة الكافية لصقلى كممثل . غير ان الباب الذى تمكنت منه إلى دخول المسرح ــ بعد نضال طويل ــ كان باب التأليف وليس باب التمثيل ، ومع ذلك ظللت لسنوات طويلة ، حتى بعد أن اكتسبت بعض الشهرة كمؤلف مسرحى ، أفكر فى التمثيل كهدف أساسى ومحطة وصول نهائية..إلى أن جاء اليوم الذى أقلعت فيه نهائياً عن التفكير فى التمثيل والرضاء بما اختاره لى القدر، كان

ذلك أثناء اجراء التدريبات على مسرحيتى «الراجل اللى ضحك على الملايكة».

وحدث أن وقع خلاف بيْن المخرج وبين أحد الممثلين الشبان، فأراد أن يضعه فى موقف معجز يجعله فى النهاية يعتذر عن قبول الدور المسند إليه. ولكن الممثل ناضل بقوة لكى يحتفظ بالدور. وناضل المخرج أيضاً بقوة لكى يجعله يترك الدور، كان المطلوب من الممثل أن يقول: أهلا ياعبد الرحمن يا مهلب.. أنت جيت. أهلاً وسهلاً.

فقال له المخرج يرشده لطريقة الأداء:

ــ أريدك أن تنقل للمتفرجين فى الصالة احساسك بالضيق الشديد لوجود عبد الرحمن المهلب، وأن تخفى هذا الضيق الشديد عنه، مفتعلا قدراً من الفرحة المزيفة التى تجعله لا يصدقك وفى نفس الوقت تفتعل قدراً من الاهتمام به يتنافى مع ترحيبك به وضيقك بوجوده.. وأرجو أن يبدو ذلك واضحاً جداً فى أهلاً وسهلاً.. إن التنوين فى كلمة سهلاً الأخيرة يجب أن يكون واضحاً لدرجة تلخص كل الانفعالات السابقة. ولكن يجب فى كل الأحوال ألا يشعر المتفرج إنك تكرهه بشدة.. أريدك أن تشعر المتفرج إنك تكرهه كراهية خفيفة فقط.

استولت الحيرة والارتباك على الممثل غير انه تماسك بسرعة وأدى الجملة كما تراءت له فقال المخرج معترضاً:

ــ لم تفهم تعليماتى جيداً ياعزيزى .. هذا ليس ضيقا .. هذا غضب متوتر .. قلها مرة أخرى من فضلك .

رددها الممثل بشكل مختلف فصرخ فيه المخرج :

ــ الترحيب هنا أكثر من اللازم ، وهو لا يدل أبداً على إنك متضايق لوجوده .. قلها مرة أخرى ، رددها ورائى ..
وبعد عدة محاولات من الممثل وعدة تصحيحات من المخرج شعرت بالضيق والتوتر فخرجت من صالة التدريبات بالمسرح وذهبت مع بعض أصحابى لقضاء السهرة فى حى الحسين الذى يسهر حتى الصباح. وقرب الفجر، عند عودتى إلى المنزل. فوجئت عند مرورى على المسرح بأن أنواره مضاءة ، فدخلت .

كانت جلسة التدريبات لازالت مستمرة ، والمخرج لازال يلقى بإرشاداته للممثل الصاعد لأداء نفس الجملة : حاول ياعزيزى ألا يكشفك المهلب ويعرف أنك مستاء منه ، بشرط أن يعرف المتفرج إنك مستاء منه بالفعل .. هيا ياعزيزى .. قلها مرة أخرى .

أدى الممثل الجملة بنفس الطريقة التى أداها بها فى أول الليل. ولم يعترض المخرج فقال الممثل بأدب جم :

ــ هل هذه هى الطريقة المطلوبة ؟

عند ذلك قال المخرج وهو يتثاءب : اعترف أنك اقتربت جدا من المطلوب .. ردد ورائى .. أهـ .. لا وقبل أن يكمل الجملة كان قد استغرق فى نوم عميق .

وفاز الممثل بالدور أداه بشكل ممتاز وأخذ يلمع بسرعة حتى أصبح من نجوم الصف الأول. أما أنا فقد أدركت فى ذلك اليوم أن التمثيل ليس حرفتى ، فليست لدى قدرة هذا الممثل على الصمود ، لذلك أخذت أفرغ شحناتى التمثيلية فى الكتابة ، فعلى الأقل لا يوجد فى غرفة مكتبى من يقول لى : من فضلك أكتبها مرة أخرى .



الثمرة العطنة

توافق الرقابة على المصنفات الفنية على العرض المسرحى على مرحلتين، المرحلة الأولى، هى النص المكتوب. والثانية والأخيرة هى جلسة التدريبات النهائية للعرض المسرحى، التى يسميها المسرحيون «البروفة الجنرال». فى تلك الليلة يتأكد الرقباء أن المخرج والممثلين التزموا بتقديم العرض المسرحى نصا وروحاً مع التجاوز بالطبع عن عدة ألفاظ متناثرة هنا وهناك. المهم هو تحقيق تلك القاعدة الرقابية الهلامية وهى «الالتزام بالآداب العامة والنظام العام».

وفى جلسة التدريبات النهائية فى أحد العروض فوجىء الرقباء بسيل جارف من الألفاظ الخارجة عن الأدب والحياء ينهمر من أفواه الممثلين. احتج الرقباء واعترضوا معلنين أنهم لن يوافقوا على ظهور العرض مالم يتعهد الممثلون بالالتزام بالنص الذى تمت الموافقة عليه. الغريب فى الأمر أن موقف مخرج العرض كان مع الرقباء وليس الممثلين.

وبدأت المساومات مع الممثلين، وبعد نقاش طويل ومفاوضات منهكة، تمت الموافقة على ظهور العرض فى الإطار الذى وصلت إليه المفاوضات.

وفى ليلة الافتتاح، فوجىء الرقيب بنفس تيار قلة الأدب يندفع منهمراً كالشلال من فوق خشبة المسرح ليصب على المتفرجين فى الصالة، اجتمع رئيس الرقابة وهدد بإيقاف العرض المسرحى ما لم يحترم الممثلون تعهداتهم. ولم يصدق الممثلون بالطبع إنه جاد فى تهديده، فمن غير المعقول أن يوقف عرضا تكلف مئات الآلاف من الجنيهات بسبب عدة ألفاظ تثير الضحك فى الصالة، وعليه، فقد استمروا فى قول ما يحلو لهم، بالإضافة لسخريتهم من الرقابة والرقباء من خلال مشاهد العرض المسرحى نفسه.

فى خلال أيام قلائل تم افساد العرض المسرحى كلية إلى الدرجة التى جعلت المخرج يقف على باب المسرح ليمنع أصدقاءه من مشاهدته: حاتشوف إيه يا راجل؟ تعال؟! ثم يأخذهم إلى مقهى قريب ليحتسوا الشاى وليتمتعوا بقضاء وقت طيب.

انتقلت المعركة إلى الصفحات الفنية فى الجرائد والمجلات، الرقيب يهدد والمخرج يشد شعره فى يأس والمنتج يتوسل فى فزع طالبا الرحمة من الرقباء، ومن الممثلين، ان إيقاف العرض سيترتب عليه خراب بيته، والممثلون يقولون: وإيه يعنى؟

وأخيراً حملت لنا الصحف النبأ الطيب التى يتلهف الجميع على سماعه. حدثت المصالحة بين الرقيب والممثلين، وشاهد القراء

صورة تاريخية لبطل العرض وهو يطبع قبلة حارة على خد رئيس الرقابة .

هذه أول وآخر مرة تحدث فيها هذه القبلة فى تاريخ الفن فى العالم كله . ولكن بما إن ريمة لا تستطيع التخلص من رغبتها فى العودة إلى عادتها القديمة لذلك فقد عاد الممثلون إلى ما يحلو لهم .

عند ذلك أقدمت الرقابة على ذلك القرار المؤلم للجميع : أوقفت العرض المسرحى لخروجه عن الآداب العامة . بكل ما يترتب على ذلك من خسائر مادية وفنية وأدبية للأطراف جميعها .

الجميع مظلومون فيما حدث : المؤلف والمخرج والمنتج والممثل والمتفرج والرقيب .

لابد من الاعتراف بأن الموهبة وحدها لا تكفى فى الفن ، فن الموهبة ما قتل ، لابد له من « سبب » .. أعنى أنه لابد من قضية داخل الفنان نفسه وليس داخل العمل الفنى فقط..إن اعظم الأعمال الفنية يتحول إلى ثمرة عطنة عندما يقدمها أشخاص لا يؤمنون بعظمة الفن وجلاله .

هل تتخيل أم كلثوم والسنباطى وفاتن حمامة ونجيب الريحانى وزكى رستم وأمينة رزق وغيرهم وغيرهم .. هل تتخيلهم وقد خرجوا عن الآداب العامة فى عمل فنى ؟

مستحيل .

لماذا ؟

لأن قضية الفن نمت بداخلهم وليست خارجة عنهم، هم يحملون بين جوانحهم كل قيم الحياة الجميلة الرائعة المسئولة التى بدورها تجعلهم قادة مبدعين و.. محترمين لمجتمعهم العربى كله.

ولذلك لامفر من عمل تعديل بسيط لمثلنا الشعبى الشهير الحكيم، لنطبقه على كل فروع الفن:

الفن من غير سبب... قلة أدب!



العبقرية بالفرامل

كان موضوع الفيلم موضوعا مهما لمؤلف كبير، وكان المخرج لامعا يحتل درجة عالية في ميدان السينما المصرية،وكان المنتج هو مؤسسة السينما بكل إمكانياتها الهائلة بالإضافة إلى أن رئيسها في ذلك الوقت كان فناناً مشهوراً بسرعة الانجاز، ومع ذلك تعثرت خطوات انتاج الفيلم لأسباب غير واضحة، ففي كل يوم كان المخرج يفاجيء المؤسسة بطلبات جديدة أو يقوم بالتعديل في عناصر قديمة، وتأجل التصوير عدة مرات إلى أن تتم إجابة كل طلبات المخرج. وأخيراً تم تحديد الغد موعداً لبدء التصوير.

وفجأة دخل المخرج على رئيس مؤسسة السينما ليعلنه بالخبر الصاعق: لن أقوم بالتصوير غداً.. هناك عناصر كثيرة تنقصني.. لن أغامر بسمعتي الفنية.. ولن أستسلم لضغوطكم.. فهذه اللهوجة سوف ينتج عنها بالقطع فن رديء.. فإذا كنتم تريدون فنا رديئاً.. فعليكم بغيري..

عند ذلك قام رئيس المؤسسة بهدوء وأغلق الباب بالمفتاح من الداخل ووضع المفتاح فى جيبه . ثم فك ربطة عنقه وعلقها على مقعد قريب . ثم خلع چاكتته وأخد يشمر أكمام القميص فظهرت عضلاته المنتفخة ، كل ذلك كان يحدث بينما المخرج ينظر له فى ذهول ، وأخيراً تكلم رئيس المؤسسة : اسمع أيها الوغد .. سوف تخرج من عندى لتوقع أمراً بالتصوير غداً صباحاً ، وإذا لم تفعل ، فسوف أضربك الآن علقة ساخنة أدشدش فيها عظامك وأسحق بها كبرياءك .. وأخلص السينما المصرية منك .. ولن ينقذك أحد من يدى .. **فاهم ؟!**

نظر المخرج إلى عضلات رئيس المؤسسة النافرة وإلى نظراته المليئة بالشر ثم قرر أن يتم التصوير فى موعده ، ولكنه بعد ذلك كان يتحدث كثيراً عن البيروقراطية التى «ترغم» الفنانين المبدعين على عمل أشياء لا يرضون عنها مستخدمين فى ذلك وسائل غير حضارية .

نموذج آخر ..

فرقة مسرحية قطاع خاص ستقدم عرضها فى الاسكندرية ، ولأن المؤلف كبير ، والمخرج عبقرى ، والمنتج فنان يعشق المسرح الجيد ، لذلك كان لابد أن تستغرق التدريبات فترة طويلة ، لم يبخل المنتج على العرض المسرحى بشىء ، كان يستجيب لكل طلبات المخرج العبقرى .

ومع ذلك لم يظهر فى الأفق ما يشير إلى أن يوم الافتتاح سوف يأتى ، فالأيام تمضى والتدريبات مستمرة ، مضى شهر مايو ، وشهر يونيو ، وشهر يوليو وها نحن الآن فى الأسبوع الثانى من شهر أغسطس..الموسم الصيفى على وشك أن ينتهى ولما تفتح المسرحية أبوابها بعد ، وبعد عدة اجتماعات صاخبة تطايرت فيها الألفاظ والاتهامات تعهد المخرج أخيراً بأن يتم الافتتاح بعد خمسة أيام . وفى ليلة ما قبل الافتتاح ، وقف المخرج فى صالة المسرح وصاح : اسمعوا يا سادة .. لن أفتح غداً .. لست جاهزاً .. طلباتى لا تجاب فى هذا المسرح ، لا أحد يهتم بطلباتى التى لابد منها لعمل عرض مسرحى ممتاز .. ولن أغامر بسمعتى الفنية .. و .. و .. وإلخ .

عند ذلك قال له المنتج بهدوء : ماذا تريد ؟ .. ماذا ينقصك ؟

عند ذلك توقف المخرج مفكراً ثم صاح فى غضب : فردة كاوتش .. طلبتها عدة مرات من مسئول الإنتاج ولكنه لم يأت بها ..

عند ذلك نظر المنتج إلى أحد مساعديه ومد له يده بمفاتيح سيارته : روح هات فردة الكاوتش « الاستبن » من سيارتى .

عند ذلك صاح المخرج : فردة واحدة لا تكفى .. أريد أربعة ..

فقال المنتج : هات له خمسة .. وإذا أراد أكثر من ذلك . فك له كل فرد الكاوتش من سيارات الممثلين .

وتم الافتتاح فى الغد .

القلق فى عملية الإبداع الفنى أمر طبيعى وصحى ومطلوب ، والمبدع الذى لا يشعر بالقلق هو نصاب بليد . ولكن فى أحيان كثيرة يتحول هذا القلق الطبيعى والواجب إلى رعب حقيقى .. رعب يتسلط على عقل الفنان فيجعله يؤجل لحظة « المواجهة » مع العمل الفنى إلى ما شاء الله ، مخترعا من الأسباب والعلل الشىء الكثير ، وهو لا يكتفى بذلك ، بل يستخدم علمه وذكاءه فى إلباس ذلك « الرعب » ثوبا من العبقرية والاحترام ، وفى النهاية يتوقف عن الابداع نفسه ، وعند ذلك يقول لمن حوله فى كبرياء .. تطلبون منى أن أعمل فى هذا المستنقع ؟ كيف ؟ إننى أريد أن أقدم فنا عظيماً والمعطيات الموجودة الآن لا تسمح لى بتقديم هذا الفن .

عند ذلك يؤمّن من حوله على أقواله وهم يمصمصون شفاههم .

من الغريب أن هذا المرض « العبقرية بالفرامل » لا يصيب إلا الموهوبين الحقيقيين ، أما أرباع الموهوبين أو غير الموهوبين على الاطلاق فلديهم من جرأة الجهل وشجاعة البلاهة ما يجعلهم لا يقلقون ولا يشعرون بالخوف من لحظة المواجهة مع الجمهور . لذلك هم يقدمون انتاجهم بغزارة شديدة ، ولا تكاد تلاحق أعمالهم من كثرتها . إن عربة الانتاج عندهم تسير مندفعة فى طريقها تسحق الجميع من متفرجين وقراء ، لأنها بدون فرامل أصلاً .

زيارة لمكتب رقيب

سيدى الرقيب، من فضلك لا تطلب لى القهوة. سأنصرف بعد قليل. بالأمس حضرت لمشاهدة مسرحيتى ومعك طفلك الصغير الذى يبلغ العاشرة من عمره. واليوم صباحاً قدمت تقريرك عن مشاهدة المسرحية، والذى تطلب فيه عدم الموافقة على تصويرها وبالتالى عدم اذاعتها. ولست أزورك اليوم لأناقشك فى قرارك. فكلانا يعلم أنه قرار خاطىء، وكلانا يعلم إنه لا فائدة من مناقشة هذا الأمر، فعندما يتفق بعض الموظفين على معاداة الجمال والجدية، وعندما يتفقون على تقديم كل ما هو أبله وقبيح من خلال الشاشة الصغيرة، فلا فائدة عندئذ من مناقشتهم فى أى شىء. لقد أتيت لأحدثك فى أمر آخر. سأحدثك عن طفلك الصغير الذى شاهدته معك فى صالة المسرح. طفلك يا سيدى الرقيب هو طفل نظيف تشع عيناه بذكاء نادر، ومتابعته لمسرحيتى باستمتاع واهتمام يدل على أن أجهزة الاستقبال لديه تعمل بكفاءة عالية.

ولقد اصطحبته معك إلى المسرح بالطبع لأنك تعلم مقدما أن ما أكتبه سوف يحمل إلى عقله وقلبه وروحه كل ما هو جميل ونبيل وجاد وعفيف. إنك كأب كنت حريصاً على أن يشاهد ابنك المسرحية، ولكنك كمسؤول كنت حريصاً على حرمان كل الناس فى بلدى من مشاهدتها. لابد أن لديك أسباباً وظيفية تجعلك تخشى الفن الجاد الذى يناقش قضايا حقيقية، ولست ألومك ولكنى جئت لأخبرك بوضوح أن ما فعلته ـ يا سيدى ـ هو عمل لا أخلاقى فى الدرجة الأولى. واسمح لى أن أتجاوز حدودى وأقول لك بل هو عمل اجرامى أيضاً. ولست أنا، ولن أكون الضحية، بل طفلك وعندما يحدث ذلك بعد عدة أعوام، تذكر ذلك أنت ورؤساؤك وزملاؤك المسؤولون. طفلك سينمو بأسرع مما تنمون أنتم، سيكون شابا بأسرع مما تلحظ عيونكم الكليلة القاصرة، سينمو جسمه، ولكن للأسف سيضمر عقله ويمتلىء قلبه بالظلام وتتفتت روحه إلى شذرات صغيرة تذروها رياح الحياة الباردة. لأنكم لم تسمحوا له بمشاهدة الابداع الفنى الحقيقى الذى يملؤه بالكبرياء الإنسانى.. الكبرياء الإنسانى الذى هو نفسه الرجولة بمعناها الحق، لن يعرف طفلك شيئاً اسمه المثل العليا. بل سيمتلىء بكل المثل السفلى، لأنك ترضعه البلاهة والقبح من خلال الأعمال التى توافق على اذاعتها. هى أعمال بليدة لا تحدثه عن حياته أو مشاكله أو بيئته، هى أعمال منعزلة عنه تماماً وبالتالى سينشأ هو أيضاً منعزلاً عن كل ما هو جميل وجاد فى الحياة.

إن الحياة صعبة هذه الأيام ياسيدى الرقيب وقاسية وشرسة ، ومالم يكن الإنسان محصنا بمجموعة من القيم الجميلة والقوية فسوف يسقط حتما فى براثن الشر. وأهم مصدر ياسيدى لهذه القيم فى هذا العصر، هو ذلك الجهاز الصغير الخطير الذى تعمل به بدون ادراك لأهميته .

لن يستمع ابنك للحن جميل . لن يشاهد مسرحية جيدة ، لن يشاهد مسلسلا صادقا ، لن يسمع متحدثا يتكلم بجرأة وصدق . وبذلك تضمر بداخله كل قوى الخير والجمال والمعرفة وتنمو بدلاً منها كل قوى الشر. لن تهمه قضايا مجتمعه أو بلده أو وطنه أو بيئته ، سيصبح فرداً بالمعنى الوحشى للكلمة . ذئبا وحيداً ، وحشاً صغيراً يرتدى بدلة أنيقة ، مصدراً متحركاً للعدوان على كل ما ومن حوله .

كل ما أطلبه منك هو ألا تصيبك الدهشة عندما يدمن ابنك المخدرات والأقراص المخدرة ، لا تفاجأ عندما يقبضون عليه مشتركاً فى عصابة لسرقة السيارات أو المنازل أو ما هو أسوأ .

عندما يحدث ذلك ــ وأطلب من الله ألا يحدث ــ أطالبك بألا تصنع الدهشة والحيرة والألم . أطالبك بألا تلف أو تدور على أصدقائك شارحاً لهم مأساتك طالبا منهم المعونة والرأى فى الأسباب التى أوصلت ابنك للحضيض .

إنه أنت ياسيدى ..

واصل عملك ياسيدى ، لا توافق إلا على كل ما هو ردىء ومسطح من الأعمال غير الفنية . واصل عملك فى رفض الفن الجيد . حول شاشتك الصغيرة لبئر يعطى فقط الماء الآسن ...

واصل خوفك على نفسك وعلى الناس لتحولنا جميعاً لجبناء خائفين مثلك .

واصل عملك فى تدمير طفلك وأطفال الآخرين ..

تستطيع الآن أن تطلب القهوة لتشربها أنت ، لتعدل مزاجك الذى عكرته وقاحتى . سأتركك الآن ، ولكى لا أتهم نفسى بالنفاق فلن أقرئك السلام . فلا سلام عليك ولا تحية لك .. !



تقريـــر سرى

كنا نعرف أن الفنان (ع . ن) قادر على إثارة زوبعة هائلة فى الاوساط الأدبية والفنية بعد طرده من مرسمه وتمزيق لوحاته، وفى تقديرنا أيضاً أن المذكور سوف يلجأ إلى قوى الشيوعية الدولية المتمركزة فى الولايات المتحدة وانجلترا والكويت وذلك من أجل الضغط علينا لإعادته لمرسمه لكى يواصل منه مؤامراته التخريبية. ولكن هيهات.. هيهات.. إن القاء نظرة واحدة على تحركات ذلك الفنان المخرب ــ الذى يتنكر دائماً وراء صوته الخافت ورقته المصطنعة وأفعاله فى يوم واحد، تجعلنا نحس بالأسى الشديد لأن الديمقراطية فى بلادنـــا تمنعنا من أن نفعل به أكثر مما فعلنا.

استيقظ المذكور فى السابعة صباحا، وبعد أن قرأ صحيفة البرافدا التى تصله بالطائرة فى الصباح الباكر يومياً، أخذ يقرأ باهتمام شديد مجلة الطليعة ومجلة روز اليوسف ثم أخذ يتصفح باستهتار شديد بقية مجلاتنا وصحفنا.

وخرج المذكور إلى الشارع ، وعلى محطة الأتوبيس الهادئة ، وبين الناس الطيبين القانعين الهادئين الممتلئين بالرضا والسلام الاجتماعي ، وقف وهو يزفر فى سخط ويفكر فى أشياء تبعث التعاسة فى القلوب والحزن فى الأفئدة ، فكانت النتيجة أن الأتوبيس لم يجيء فى هذا اليوم .. (علشان نيته السودة) ، وانفجر الناس على المحطة شاتمين وساخطين بقيادته ، وهكذا بعد أن وصل إلى هدفه ومراده تركهم وسار وحده لا يلوى على شيء .

تظاهر المذكور أنه سار لا يلوى على شيء ، واتضحت الحقيقة ، لقد كان يلوى على شيء .

ففى شارع هادىء من شوارع مدينة المهندسين أخذ يتلفت حوله ثم أخرج من جيبه آلة صغيرة سوفيتية الصنع (من انتاج مصنع مالينوفسكى دفعة ١٩٧٥/٩/٥) ثم انحنى على أرض الشارع ، وعندما اقتربت لكى أرى ما يفعل ، فوجئت إنه يمزق أرض الشارع الأملس الجميل ويحوله فى دقائق إلى مطبات وحفر بآلته الجهنمية الصغيرة ، ثم انتقل إلى شارع آخر وهكذا .. أخذ ينتقل من شارع إلى شارع مكررا فعلته الشنعاء ، وبعد أن انتهى من تحويل كل شوارع مدينة المهندسين الملساء الجميلة إلى مطبات وحفر ، أخرج من جيبه آلة صغيرة أخرى سوفيتية الصنع (من انتاج مصانع مجاريفسكى فى ١٩٧٦/١١/٦) واقترب بها من كشك المجارى الموجود بجوار نادى الترسانة ، واختفى بداخله لمدة دقيقة واحدة ، وعلى الفور انفجرت مواسير المجارى فى شبرا ومصر الجديدة والسيدة زينب وفى أنحاء أخرى من البلاد لم يتم حصرها بعد .

ولكن إجرام المذكور لا يتوقف عند حد.. فقد أخذ بعد ذلك يمر على دكاكين وأكشاك السجائر ليشترى الكليوباترا السوبر، لقد اشترى المذكور فى ذلك اليوم وحده ــ بمساعدة العناصر إياها ــ علبة كليوباترا سوبر كاملة.

وجاء دور الكستور، لقد تمكن المذكور من المرور على كل محلات القطاع العام واستولى ــ برضه بمساعدة العناصر إياها ــ على كل ما بها من كستور.

كانت الساعة قد اقتربت من الثانية والنصف عندما ذهب إلى مقهى ريش حيث جلس هناك مع أصدقائه من العناصر الماركسية اللينينية، والتروتسكيين والمنشفيك والبلشفيك والشيكابيك والسيكالولو.. والترالولو.. والترالم لم.

عند ذلك عدت لمكتبى فى الجريدة لكى أواصل كتابة مقالى الأسبوعى..ولكننى تركت مكتبى على الفور أثر مكالمة تليفونية شديدة الأهمية، وهذا الذى حدث بعد ذلك لم أكن لأصدقه لولا أننى رأيته بنفسى، لقد شوهد المذكور وهو يسير فى شارع عماد الدين، برفقة الاتحاد السوفيتى.. نعم، كانا يسيران معا فى وضح النهار وقد وضع كل منهما ذراعه فى ذراع الآخر، كانا يتضاحكان ويتغامزان ويتآمران ويلحدان، كان الاتحاد السوفيتى يعزم عليه بالأوامر وكان المذكور التعس يتقبلها منه على الفور بالرضا والحبور.

إن الادارة كانت تطالبنى دائماً أن آتى بدليل واحد على وجود صلة مباشرة بين ما يسمى بالعناصر الاشتراكية الديموقراطية الوطنية

من المثقفين المصريين وبين الاتحاد السوفيتي.. وهأنذا أقدم هذا الدليل الدامغ الذى ما بعده دليل، ومع ذلك ولكى يطمئن قلبى، قمت بمحاولة أخيرة من أجل المزيد من التأكيد، إنتهزت فرصة جلسا فيها على مقهى بلدى صغير، فى مكان منعزل وجلست بالقرب منهما مبتسماً (آسف لأن هذا يتجاوز دورى وهو المتابعة فقط) ووقفت وجها لوجه أمام الاتحاد السوفيتي وقلت له:

ــ أهلاً وسهلاً.. كيف حالك أيها الرفيق الاتحاد السوفيتي.. حمد الله على السلامة هل هى زيارة رسمية لمصر؟.. أم هى زيارة خاصة بالأخ (ع. ن)؟

وهنا اصفر لونه اصفراراً شديداً (الاتحاد السوفيتي وليس (ع. ن) لأنه فنان تشكيلى يفهم فى الألوان جيداً وقادر على اخفاء اصفرار وجهه فى الوقت المناسب).

واصطكت ركبتاه من الخوف (الاتحاد السوفيتي برضه)، وأخذ يلهث ثم تمالك نفسه أخيراً وقال لى:

ــ هل تعرفنى ياعزيزى؟

نعم ياسيدى الرفيق.. إننى أعرفك منذ أن كنت تأتى فى زيارات خاصة لأصدقائك فى المنطقة.

فاستولى عليه اكتئاب شديد ونظر لى متوسلا وقال بقلق:

ــ وماذا تريد الآن؟.. هل ستقبض على؟ إنك بذلك ستتسبب فى كارثة دولية.

ـ لا يا سيدى الرفيق .. لم تصدر الأوامر بذلك..فقط أريد منك بعد إذنك أن توقع على قرار بإنك قد شوهدت هنا فى القاهرة بصحبة الفنان (ع . ن).

ـ وإذا رفضت .. ؟

ـ ياعزيزى الرفيق ، لن ترفض ، لأنك عاقل بما فيه الكفاية ، وتعلم أننى ـ بوسائلى الخاصة ـ أستطيع أن أنتزع منك ما هو أكثر من الاقرار.. استطيع أن أجعلك توقع على استنكار للماركسية اللينينية .

عند ذلك تدخل (ع.ن) فى الحديث، تكلم بعد أن ظل صامتا فترة طويلة :

ـ ياعزيزى هذا ليس الاتحاد السوڤيتى ، إنه فنان صديق من الأقاليم .. والاحمرار الذى يعلو وجهه لا صلة له بالماركسية ، إنها حمرة الخجل مما يحدث فى الحقل الفنى والأدبى هذه الأيام .

عند ذلك صرخت فيه :

ـ اخرس أنت .. عندما تتحدث القوتان الأعظم سويا .. فلا شأن لك أنت بما يحدث .

عند ذلك اكتشفت الخطأ الذى وقعت فيه ، لقد انشغلت بالحديث معه لثانية واحدة ، ولكن هذه الثانية كانت كافية لأن يهرب الاتحاد السوڤيتى ويختفى تماماً .. لقد خرج من المقهى بخفة واختفى فى الزحام ، واستشهدت بالجالسين على المقهى ولكنهم

كانوا من العناصر إياها ، فأنكروا بإصرار أنهم شاهدوا أحداً مع الفنان المذكور.

وخرجت مسرعاً من المقهى مصمماً على العثور عليه .. ذهبت إلى كل الأماكن الحمراء التى يحتمل تردده عليها ، الدرب الأحمر الزاوية الحمراء ، الـ « ردكاربت » الصالون الأحمر بالممر التجارى ، فلم أجده .. فص ملح وداب .

وهكذا فقدت الدليل مرة أخرى ، والحل الوحيد لهذه المشكلة ، هو أن ترسلوا لسفيرنا بموسكو ليسأل الاتحاد السوفيتى سؤالاً واحداً محدداً .. أين كان وماذا كان يفعل فى الوقت ما بين الثانية والنصف والثالثة والنصف من بعد ظهر ذلك اليوم .. أنا متأكد إنه سيعترف إذا واجهتمونى به !



حمال الأسى

الإنسان الذى يحمل هموم العالم على كتفيه ويتعذب فى صمت، يسميه المصطلح الشعبى «حمال الأسية» يعنى الحمال الذى يحمل الحمولات الثقيلة المليئة بالأسى والأحزان، أما الحمال العادى فهو الشخص القادر على حمل بضائع الناس وأشيائهم الثقيلة.. ماذا يحدث إذا انصرف الحمال عن حمل أثقال الناس إلى حمل فلوسهم؟.. ما هو الخلل الذى ينتج عنه ذلك؟ هذا هو السؤال الصعب الذى واجه المحقق قبل أن يوجه سؤاله الأخير.

س : هل لديك أقوال أخرى؟

جـ : نعم يا سيدى المحقق. حتى الآن لست أفهم تهمتى بالضبط، هل أنا متهم بأننى غنى جداً؟ لا أعتقد أن هذه تهمة فهناك من هو أغنى منى بكثير.. أو أن التهمة هى أننى كونت ثروتى فى فترة وجيزة؟ لا أعتقد أن القانون يجرم السرعة.. إن السرعة أمر محمود فى كل شيء، عدا قيادة السيارات. هل جمعت

ثروتى بأساليب ملتوية وبطرق غير مشروعة ؟ .. غير صحيح .. لقد جمعتها طبقا لكل القوانين واللوائح الشرعية التى اشتركت وزملائى فى صنعها . إن هذه القوانين واللوائح مصنوعة بطريقة تحتم سرعة تكوين الثروات بشكل شرعى وقانونى وعادل تماماً .. صدقنى ياسيدى المحقق ، هذه القوانين هى التى ترغم الضحايا أمثالى على الثراء .. أنا المجنى عليه فى هذه القضية ، أنا الضحية . أسأل عنى فى قريتى .. لقد عشت شهما عفيفا طيلة عمرى .. هل تتصور أن يتحول الإنسان لمجرم فى لحظة بدون مقدمات واضحة فى ماضيه ؟ لقد تركت قريتى وجئت لكى أعمل حمالاً فى الميناء . وغاية ما أطمع فيه .. شقة من غرفتين وثلاث وجبات فى اليوم وعلبة دخان وعدد محدود من أكواب الشاى الأسود الثقيل .. فهدمتم أحلامى ياسيدى وأرغمتمونى على الثراء والجاه والمناصب .. سأشرح لك كيف حدث ذلك .. ياسيدى أنا مدرب على حمل الأثقال . خبير فى التعامل معها . عضلاتى تتأهب وحدها لحمل أية أثقال من أى نوع دون تدخل من عقلى .. إنها عملية تتم بشكل لا إرادى تماما .. عندما أرى ثقلا ما ، أو طردا ما ، أو حمولة ما .. فأننى أحملها على الفور. كنت ممتلئا بكل شرف وأخلاق القرية ، وفوجئت بأخلاق الميناء ، بوابة البلاد الرئيسية ، كل الناس تحمل شيئاً واحداً ، الفلوس .. الفلوس فقط ، الفلوس تملأ كل مكان على أرصفة الميناء : فلوس داخلة وفلوس خارجة . فلوس واقفة وفلوس قاعدة ، ماذا أفعل أنا ؟ .. هل أعود لقريتى أم أتقدم لحملها ؟ .. بدأت عضلاتى كعادتها تعمل وحدها .. وبما أننى

أكثر الجميع خبرة فى حل الأثقال لذلك نجحت ، وبسرعة ، بدأت أحمل كل شيء ، الفلوس ، والمناصب ، والأرض ، وأصحاب النفوذ . حتى الأشخاص الذين كان مجرد ذكر اسمهم يصيبنى بالرعب فى قريتى ، حملتهم ووضعتهم فى جيبى بسهولة .

هل تحققون معى لأننى أحمل الأشياء والناس والمناصب فى خزانتى وفى جيبى بدلا من أحملها على كتفى ؟ فى قريتى كانوا يقدسون العمل ، لذلك كنت أعمل ، وعندكم يقدسون الكسب ، والشعار المرفوع هو «لتكسب كل الناس» وليس «لتعمل كل الناس» وأنا مواطن صالح ياسيدى ، أصدق الشعارات المرفوعة وأعمل على تنفيذها فورا . الناس فى قريتى يحترمون العاملين الكادحين الصادقين من ذوى النزاهة والأخلاق الفاضلة . والناس هنا يحترمون الفلوس فقط . إن أكثر الأشياء احتراما الآن هى وزارة الخزانة . لذلك قررت أن أتفوق عليها ، وكنت فى طريقى لتحقيق ذلك قبل القبض على . إننى أوجه سؤالاً لضميرك ياسيدى المحقق . هل تشعر انك تكرهنى أو تحتقرنى ؟ هل تؤمن فى أعماقك أننى مجرم أو آثم ؟ إننى فقط كنت أسرع الناس وأكثرهم كفاءة فى تنفيذ الشعار المرفوع .. «لتكسب كل الناس» . لذلك أنا واثق من براءتى وأطلب منكم إصدار الأمر بالإفراج عنى لمواصلة طريقى لمنافسة وزارة الخزانة فى الحصول على احترام الآخرين . أما إذا تغير الشعار وأصبح «لتعمل كل الناس» فسوف أعمل مرة أخرى ..

سوف أحمل كل أثقالكم .. لأننى ــ ككل البسطاء ــ فى هذا البلد .. نفعل مايفعله ويطلبه منا الكبار .. سيدى المحقق ، أعطنى سيجارة واطلب لى «شاى ثقيل سكر زيادة» .. !



المجلس العالمى للطرق الكتانية

كنا مجموعة من رجال الصحافة والإعلام ، قذفت بنا عواصمنا أو قذفنا بأنفسنا إلى لندن ، فى رحلة بحث طويلة ومضنية عن مستقبل أفضل للأمة العربية ، كل من خلال منهجه الفكرى والسياسى الخاص. وبعد مرور عدة أعوام من الاختلافات الجوهرية والشتائم وتبادل الاتهامات من كل نوع ، وصلنا إلى اكتشاف هام ، بل إلى أكثر الاكتشافات أهمية فى العصر الحديث ، إن المستقبل الأفضل لكل منا على حدة ، سوف يشكل على المدى البعيد المستقبل الأفضل للأمة العربية كلها .

لذلك انحصر نشاطنا فى نهاية المطاف فى البحث عن كل المصادر المتاحة والمحتملة للاسترلينى والدولار والفرنك بكل أنواعه ، والريال والدينار والدرهم بكل جنسياته.. بالإضافة لكل ما يمكن تحويله إلى حساباتنا الخاصة فى لندن هكذا بلا اتفاق مسبق أو معلن ، وزعنا الأدوار على أنفسنا .. نجلس إلى مكاتبنا نهارا لنطلق

النار على كل الجبهات (الامبريالية والرجعية والتقدمية والتأخرية والرأسمالية والاشتراكية .. الخ) وفى الليل فى نفس اللحظة التى تدور فيها ماكينات المطابع راصة قذائفنا على الورق ، كنا ننصرف على الفور إلى منازلنا أو إلى أماكن السهرة ، بحثا عن لذائذ ومتع انجليزية ، أو تابعة لأية جنسية أخرى تعيننا على هذه الحياة الشاقة .

وذات ليلة مع بداية الربيع الانجليزى الرائع ، أخذنا نتناقش باحثين عن مكان جديد نقضى فيه عطلة نهاية الأسبوع ، وفجأة صاح أحدنا : ما رأيكم فى قضاء العطلة عند سماحة الدكتور الكتانى ؟

ــ ومن هو سماحة الدكتور الكتانى ؟

ــ هو شخص كريم جداً ، بابه مفتوح للجميع ، ومثقف ، وغنى ، غنى جداً وهو أيضاً مؤمن بمستقبل الأمة العربية .

كرمه وثقافته وغناه وبابه المفتوح للجميع ، كلها أمور لا تهمنا فى شىء ، المهم حقاً هو إيمانه بمستقبل الأمة العربية . دعونا نذهب إليه يا سادة ، لعلنا نقوى إيماننا بإيمانه ، ولكن ماذا يعمل ، ما هى وظيفته ؟ .

ــ هو رئيس المجلس العالمى للطرق الكتانية فى أوروبا .. ومقره اسكوتلاندا .

ــ اسكوتلاندا .. ؟ هل سنضيع الأجازة فى التردد على مكاتب الطيران وفى السفر؟

نظر لى محدثى مبتسما فى إشفاق..ثم إنتحى ركنا قصيا من القاعة وأجرى محادثة تليفونية بصوت خافت جاء بعدها ليقول : بعد نصف ساعة بالضبط ، ستأتى ثلاث سيارات رولز رويس حمراء لتنطلق بنا إلى مطار هيثرو حيث نستقل طائرته البوينج الخاصة التى ستنطلق بنا إلى العاصمة الاسكوتلاندية ، وهناك سنجد فى انتظارنا ثلاث سيارات أخرى تقلنا إلى القصر.. وهناك تنبيه أو بمعنى أصح رجاء ، ممنوع اصطحاب أى ملابس أو مهمات من أى نوع ، كل ما سنحتاجه سنجده هناك فى انتظارنا .

● سماحته

استولى على فضول شديد ، من هو سماحة هذا الشخص صاحب الإمكانيات الواسعة ، وما هى بضاعته ؟

وجهت السؤال لصاحبى فأجابنى : الدكتور الكتانى ، حاصل على دكتوراه فى المنسوجات الكتانية ، وهو صاحب نظرية جديدة فى تنجيد الطرق بالكتان وليس رصفها بالأسمنت أو بالأسفلت ، وهذا الاختراع يمثل آخر صيحة فى عالم رصف الطرق فى الدول الغنية ، وخاصة ممرات الهبوط للطائرات ، لقد حقق هذا الاختراع لسماحته عدة مليارات من الدولارات ، وفى كل لحظة تدخل خزانته عدة مليارات أخرى لأنه يمتلك مصانع الكتان فى العالم كله .. أما الأمر الأكثر أهمية من كل ذلك فهو أنه مخاوى .

ــ نعم ؟ .. ماذا تقصد إنه مخاوى ؟

ـــ سترى بنفسك ، إنه يجلس على الأرض فوق سجادة فخمة من الكتان .. الذين زاروه وقالوا إنه يستطيع اخراج أى شىء من تحت هذه السجادة .

ـــ هل تعنى إنه يصادق الجان ؟ .

ـــ نعم .. الجن الطيب ، كل من قابلوه ، ظهرت عليهم دلائل العز والأبهة .. وهذا بالقطع من صنع الجن الطيب .

على خيرة الله .. لنذهب إليه ، عسى أن يكون العز والأبهة من نصيبنا نحن أيضاً ، حتى لو كان من صنع الجن الشرير .

وانطلقت بنا السيارات الرولزرويس الثلاث إلى المطار .

● نعيمـــاً :

وهناك ، فى اسكوتلاندا ، وسط الجبال التى تكسو الخضرة هاماتها ، أخذت السيارات تنهب الطريق صاعدة إلى القصر الكتانى الذى يسكنه سماحته ، وعند بوابة القصر الحديدية أوقفتنا عدة فتيات جميلات مسلحات بالرشاشات والمسدسات والخناجر ، وبعد التأكد من هويتنا فتحت البوابات الحديدية اليكترونياً ودخلنا بالسيارات إلى مبنى الاستراحة القريب الذى تعلوه القباب .

قابلتنا مسئولة الاستراحة بابتسامة رائعة ، الواقع أن كل شىء فيها كان رائعاً بما فى ذلك مسدسها الذى كان يهتز برفق حول خصرها وهى تتحرك فى دلال..اشارت لكل منا إلى غرفة مغلقة فدخلنا كالمسحورين . ولم تكن غرفاً مغلقة وإنما حمامات ساونا ذات طابع شرقى جميل . ومن خلال البخار والبخور ، استطعت أن أتبين

ملامح مدلكة فلبينية حسناء تبتسم لى فى ترحيب وهى تشير لى أن أخلع ملابسى. ترددت قليلاً.. ولكنها حسمت ترددى هامسة : لا تخشى شيئاً ، لن أقتلك . سوف أقوم بتدليكك فقط .

وهذا ما حدث فعلاً ، لم تقتلنى ، قامت بتدليكى فقط ، ولكن يا له من تدليك .. هل يوجد هذا النوع من النعيم على الأرض ... شكراً يا سماحتك .

بعد الحمام ـ والذى منه ـ قدمت لى ملابس داخلية ووسطى وخارجية وخفا كلها مصنوعة من الكتان الفاخر.. بعد ذلك التقيت بزملائى فى قاعة القهوة فوجدتهم مسحورين بذلك الحمام المدهش : وقال أحدهم : الآن فقط عرفت معنى كلمة نعيماً .

من قاعة القهوة إلى قاعة العصائر. ومن قاعة العصائر إلى قاعة العشاء . ومن قاعة العشاء إلى قاعة الحلويات.. ثم إلى قاعة القهوة مروراً بقاعة التدخين .. إلى أن وصلنا إلى القاعة الخضراء المقر الرسمى لسماحته .

● البراهين :

كان سماحته يجلس على سجادته الكتان الصغيرة ، بينما تحلقنا جميعاً حوله ننظر له فى فضول ورهبة.. ولكن ابتسامته التى تشع بالضياء أزالت جزءاً كبيراً من رهبتنا ، وأخيراً تكلم كبيرنا : يا سماحة الدكتور نشكرلك هذه الدعوة إلى قصر النعيم ، لقد جئنا إلى هنا لكى نحسم الشك باليقين ، فقد قيل إن سماحتك تصادق الجن الطيب .. وإنك تستطيع اخراج كل شىء من تحت هذه

السجادة المباركة، وأنا لست أشك أو أشكك فى ذلك..غير إنى أطلب البرهان على ذلك ليطمئن قلبى..لا بد أن أرى ذلك بنفسى...

ابتسم سماحته فى رقة وقال فى صوت ملائكى هامس: ماذا تريد أن أخرج لك من تحت السجادة؟ قال كبيرنا: شيك لحامله على بنك لندن بمبلغ ربع مليون دولار امريكى مقبول الدفع. نظر سماحته إلى السجادة وقال آمراً فى همس ولكن فى حزم: هاتوا له الشيك.

ثم مد يده ورفع طرف السجادة واخرج الشيك وأعطاه لكبيرنا الذى تأمله ثم قال:

هل تسمح لى سماحتك بأن أذهب إلى البنك بنفسى وأصرفه لكى أتأكد من صحته؟

أجاب سماحته ضاحكاً طبعاً.. طبعاً وتستطيع أن تضعه فى حسابك أيضاً لكى يطمئن قلبك.. عند ذلك بدأت أشك فى صحة ذلك التعبير العربى الشهير هل هو حسم الشك باليقين أم حسم الشيك باليقين؟

بعد ذلك قال زميل آخر: أما أنا يا سماحتك. فلن أؤمن بهذه الصلة الروحية بينك وبين الجن الطيب إلا إذا أخرجت لى من تحت السجادة سيارة مرسيدس سوداء آخر موديل. إستولى علىّ الذهول.. ولا كبير مهندسى شركة مرسيدس نفسه يستطيع اخراج سيارة من تحت هذه السجادة الصغيرة ولكن سماحته استطاع

إخراج ورقة كبيرة من تحت السجادة هذا هو عقد شراء السيارة باسمك. وهذا إيصال بدفع النولون الخاص بنقلها لبلدك.وهذه هى بوليصة التأمين عليها.وهذا شيك بمقدار الجمرك المستحق عليها، وهذه رخصتها باسمك وهذه هى مفاتيحها الذهبية..!

إستولى عليَّ الفزع..هل ما يحدث أمامى الآن حقيقى؟ أم الرجل استطاع أن يخدرنا بطريقة ما واستولى على عقولنا بحيث يجعلنا نرى ما نريد، أو ما يريده هو؟

عند دلك صاح زميل ثالث متحدياً: أما أنا يا سماحتك فإننى أريد شقة فى لندن هذا هو السبيل الوحيد لكى يطمئن قلبى إلى حقيقة ما أراه.

همس سماحته ورفع طرف السجادة ثم أخرج عدة مستندات: هذا هو عقد شراء الشقة باسمك وهذه هى بوليصة التأمين عليها وهذا هو عقد شراء مفروشاتها..

بدأت أشعر بالفزع ولكننى استنجدت ببقايا عقلى وأخذت أفكر بهدوء طبقاً لعلم الاحتمالات، من المؤكد إن سماحته يعرف مقدماً ماذا يمكن أن نطلب منه لذلك فهو جاهز بالمطلوب.ولذلك سوف أطلب منه شيئاً بعيداً عن كل الاحتمالات، عند ذلك اكشفه أمام كل زملائى. تشجعت وقلت أما أنا يا سماحتك فأننى أطلب طبق لحمة رأس ساخناً من الناصرية وطبق طرشى وعدداً من الأرغف البلدية...!

ابتسم سماحته وفى اللحظة التى انتهيت فيها من كلامى

وجدته يرفع غطاءً من الكتان الأبيض إلى جواره وعلى الفور ظهرت صينية كبيرة من الذهب الخالص وفوقها عدة أطباق من لحمة الرأس والطحال والبمبار والفشة والكرشة والسمين.. وكلها ساخنة يتصاعد منها البخار. أؤكد للقارىء إن الأطباق كانت هى نفسها التى كانت تقدم لى فى محلات الناصرية ...

لم يعد هناك مجال للشك ومع ذلك استمر زملائى يطلبون المزيد من الأدلة والبراهين كانت فى الغالب بواكى من الاسترلينى والدولارات. لم يطلب أحد جنيهات مصرية. فى الغالب الجن الطيب لا يحبها ولا يتعامل معها ...

● النهاية :

ونحن نستعد لمغادرة القصر محملين بالأدلة والبراهين قال لنا سماحته بنفس الابتسامة الجميلة التى تشع ضياء : تعلمون أنه لا يوجد شىء مجانى على الأرض لقد طلبتم من الجن الطيب أشياء والآن جاء دوره لكى يطلب منكم أشياء ..

صحنا جميعاً فى نفس واحد : أؤمر يا سماحتك .. نحن تحت أمر سماحتك وسماحة الجن الطيب.

فقال سماحته : ستكتشفون انكم لا ترون ولا تسمعون جيداً ... فلا تعبأوا بذلك ، فرددنا عليه : حاستا البصر والسمع ليستا مهمتين لنا يا سماحتك . المهم هو قدرتنا على الهضم .

عدنا إلى جرائدنا ومجلاتنا ومواقعنا الحساسة ويوم بعد يوم كنا نفقد حاسة السمع والبصر، حتى انتهى بنا الأمر إلى العمى

والصمم الكاملين. ولكننا جميعاً حرصنا على أن نلعب الدور جيداً
دور الذى يرى ويسمع جيداً. وحتى الآن لم ننكشف ..



الأسلحة الجديدة

قنبلة «النيوترون»، قنبلة جديدة ونظيفة، نظيفة جداً، فهى تقتل الكائنات الحية وتترك الجماد سليماً بغير سوء. وإشارة البدء بإنتاجها تنهى إلى الأبد عصور القتال والمقاتلين وتفتح باب التاريخ واسعاً لعصر جديد هو عصر القتل والقتلة، وبدلاً من أن يدرس الطالب فى الأكاديميات العسكرية أن الحرب هى تدمير معدات العدو وعتاده كما يقول «كلاوزفتز» أبو الاستراتيجية فى التاريخ، سوف يدرس أن الحرب هى قتل العدو وكل كائناته الحية.. حيواناته وطيوره وحشراته وبكترياه، مع الاحتفاظ بكل ممتلكاته وأشيائه سليمة لكى يستولى عليها هو. وهذا هو ما يمكن أن نسميه ـ بحق ـ حرب اللصوص وقطاع الطرق.

إن كل إكتشاف أو اختراع يصل إليه البشر، تترتب عليه تغيرات عديدة فى طريقة تفكيرهم وفى تركيبتهم الاجتماعية والوظيفية.

فمثلاً، بعد اختراع الطائرة ظهرت مهن ووظائف لم يعرفها البشر من قبل، طيارون، ملاحون جويون، ضباط لاسلكى، عمال مراقبة أرضية، مضيفون، مضيفات ... إلخ ... إلخ.

وبما إننى أتوقع ــ بغير خيال جامح ــ إن الاتحاد السوفيتى سيصل لنفس الاختراع قريباً، لذلك فإننى موقن بأنه سوف تحدث تغييرات هامة فى وظيفة الجندى المقاتل ــ أقصد القاتل ــ فى هذه الجيوش. بأقل قدر من الخيال أستطيع أن أؤكد أن جيوش القوى الأعظم ستتحول كلها إلى كتائب وفصائل وتشكيلات من الحانوتية. لإن وظيفتها بالتحديد سوف تكون إخلاء المدن من الجثث ودفنها، هل يتصور أى عاقل أن تكون لها وظيفة أو مهمة أخرى؟

وكما اختفى سلاح الفرسان من قبل وحل محله سلاح المدرعات، سوف يختفى سلاح المشاة والمدفعية، والبحرية، والطيران، إلخ ... وسوف تظهر الفصائل والكتائب والأسلحة الآتية:

أ ــ سلاح القتل النظيف:

أخطر أسلحة الجيش، يرتدى أفراده الملابس البيضاء النظيفة المكوية دائماً، يختارون من الحاقدين والأشرار والمعقدين نفسياً ثم يتم تدريبهم على كراهية الحياة، كما يتلقون دورات ودراسات تنمى حبهم للجماد والأشياء وتقلل إلى حد العدم من حبهم للكائنات

الحية، وهذا السلاح هو المكلف بإلقاء قنبلة «النيوترون» على المدن والقرى وشعاره هو: **ياعم موت بلا زحمة!**

ب ــ سلاح النشل الأرضى:

ووظيفة أفراده هى تجريد جثث القتلى فى المدن والقرى المضروبة من الأموال التى يحملونها فى جيوبهم، يختار أفراده من بين المعروفين بخفة اليد، وشعاره: **مش كنت تصرفهم أحسن لك.**

جـ ــ فرقة النشل الذهبى:

مهمتها هى تجريد الضحايا مما يرتدونه من ذهب وفضة، قلادات ذهبية، أساور، أقراط، دبل خطوبة، خواتم، إلخ.. وملحق بكل فرقة طبيب أسنان لخلع الأسنان الذهبية والفضية، وشعارها هو: **بعد إذنك أوامر علينا.**

د ــ كتائب طليعة الحانوتية:

ومهمتها إخلاء الطرق من الضحايا ووضعها فى عربات نقل كبيرة تمهيداً لدفنها فى مقابر جماعية خارج المدن، شعارها هو: **إنا لله وإنا إليه راجعون.**

هـ ــ كتائب الشفط النيوترونى:

وهى تستخدم سيارات نقل كبيرة مزودة بشفاطات عملاقة على هيئة زلومة طويلة «نظرية المكنسة الكهربائية»... وهى تمد

زلوماتها إلى الشقق من خلال النوافذ والبلكونات والشرفات لشفط ما بها من ضحايا توفيراً للجهد والوقت ... وهذه الشفاطات ، نظيفة أيضاً لأنها تشفط الآدميين فقط ولا تشفط الموبيليا ، وشعارها : لسة حانطلع سلالم ؟!

و ــ فصائل التحفجية :

هذه الفصائل تتكون أساساً من خبراء التحف العالميين وكبار المثمنين والسماسرة واللصوص المتطوعين لحصر الأشياء والتحف الثمينة ذات القيمة الإنسانية والتاريخية لتسجيلها فى الدفاتر لحفظها للأجيال القادمة إلى أن يتم ضربها بقنبلة النيوترون هى الأخرى فيما بعد .

س ــ سلاح الندابات :

أفراده من المجندات اللاتى يجدن البكاء والعويل ومهمتهن هى لطم الخدود وشق الجيوب ، وعملهن يبدأ بعد إنتهاء عمل الأسلحة السابقة . وشعار هذا السلاح هو: **ما كانش يومك يا إنسان .**

تصورت نفسى أسير فى شوارع لننجراد أو سان فرنسيسكو بعد ضربها بقنبلة « النيوترون » .. تصورت نفسى أسير فى شوارع المدينة الساكنة الخالية ، وفجأة سمعت صوتاً عالياً يصيح بابتهاج ، إنه رصيف الشارع يحادث زميله الرصيف الآخر: هل رأيت ياعزيزى ؟! ... إنها قنبلة نظيفة فعلاً ... لقد أماتت الناس جميعاً ، دون أن تصيبنى بخدش واحد .. أخيراً تخلصنا من أقدامهم اللعينة .

ويرد عليه الرصيف الآخر، ويبدو إنه كان أكثر منه حكمة وخبرة: أيها الرصيف الأحمق.. لا تفرح... انتظر قليلاً... إنني اسمع أصوات أقدام أخرى قادمة... إنها أقدام ثقيلة جداً هي أقدام الأغبياء يسيرون على عقل العالم.

وبكت شجرة وهي تموت، فقد قتلت القنبلة أيضاً فراشة كانت تداعب أغصانها.



المهندس التعس

طردت السلطات الإسرائيلية مهندساً أمريكياً كان يعمل فى بناء قاعدة فى صحراء النقب بتهمة معاداة السامية . قال المهندس لأحد العاملين معه فى القاعدة التى تبنيها أمريكا لإسرائيل : كان يجب على هتلر أن ينهى المهمة التى بدأها . (وكالات الأنباء) .

مثل هؤلاء الذين يستحضرون العفاريت والجان إذا كان لهم وجود ، قررت استحضار المهندس المطرود فى خيالى لكى أستوضحه ظروف الواقعة التى ذكرتها وكالات الأنباء فى اقتضاب شديد وكأنها تخشى هى الأخرى أن تتهم بمعاداة السامية .

بعد الحاح شديد من خيالى ، جاء الرجل ، فواسيته وهنأته بسلامة الوصول إلى أمريكا وسألته :

ــ إن نشر الواقعة بهذه الكيفية يعطى انطباعاً قوياً بأن ظروف

العمل الشاقة فى صحراء النقب فى حر يوليو، بالإضافة لتعرضك لاستفزاز دائم من جانب ذلك العامل جعلك تنفجر فى النهاية لتقول هذه الجملة التى لا أظنك تعنيها بالفعل . ففى تقديرى ، إن أعدى أعداء إسرائيل لا تخطر لهم مثل هذه الفكرة البشعة على بال .. ما هى الظروف التى قيلت فيها هذه الجملة ، إذا كانت قد قيلت ؟

تنهد الرجل فى حرقة ثم أخذ يتحدث فى حزن شديد وكأنه مازال مذهولاً لما حدث :

... كل هذا غير صحيح ، لم تكن ظروف العمل شاقة بحيث تؤدى لذلك كما إننى لم أتعرض لاستفزاز من ذلك الرجل ، ولم أكن أقصد اهانته على أى وجه . لقد كنت أمزح معه . ألا تمزحون فى الشرق أحياناً بهذه الطريقة ؟ ألا يقول الواحد منكم لصديقه أحياناً .. ربنا ياخدك يا شيخ .. أو يا رب تموت ... أو يا رب أمشى فى جنازتك ... هذا هو ما قلته بالضبط ... ولكن بشكل أكثر تركيباً . كنت أتصور أن الرجل سيضحك للنكتة ويرد علىّ بنكتة مثلها ، فيقول لىّ مثلاً : كان يجب على الهنود الحمر أن يدافعوا عن بلادهم بشكل أفضل . غير أننى اكتشفت للأسف الشديد أن الاحساس بالنكتة منعدم لديه تماماً .. ولكن بعد فوات الوقت .. فقد أجرى مكالمة تليفونية سريعة فوجئت بعدها بأحد رجال الأمن يأتى ليجرى معى تحقيقاً قصيراً سريعاً..ثم أعطونى عشرين دقيقة مهلة لتحزيم حقائبى وحاجياتى ، وأفقت من ذهولى لأجد نفسى على مقعد فى طائرة .

لم تقدم لى المضيفات أى شىء خلال الرحلة الطويلة . لم يكتفين بذلك ، أمسكت أحداهن المايكروفون وقالت : أيها السادة .. نرحب بكم على متن طائرتنا المتجهة إلى نيويورك .. وننبهكم إلى وجود شخص معاد للسامية بينكم ، ونحن نأسف لذلك .

أصفر وجه الركاب فقد ظن كل منهم أنه المقصود بالتهمة وعندما لاحظت المضيفة ذلك ... عادت تقول .. إنه للأسف السيد الجالس بجوار النافذة فى المقعد ٢٥ج .

أثمر هذا الإيضاح ثمرته بسرعة ، فقد عادت الدماء مرة أخرى إلى وجوه الركاب ونظروا إلىّ جميعاً باحتقار شديد وغل حتى ظننت أنهم على وشك أن يلقوا بى خارج الطائرة فأحكمت حزام المقعد حول وسطى .

فوق المحيط خفضت الاضاءة داخل الطائرة ، وانتهز جارى فرصة الظلام وأعطانى نصف بيضة مسلوقة وقطعة جبن وقطعة شيكولاتة فشكرته بصوت هامس ورد على بضغطة خفيفة على يدى مشجعاً .

عندما وصلنا إلى مطار كيندى فى نيويورك اكتشفت ضياع حقائبى وحاجياتى ورفض كل سائقى التاكسى توصيلى..فمشيت من المطار إلى منزلى فى مانهاتن . وفى منزلى وجدت زوجتى وأولادى يجلسون فى الظلام فالمياه والغاز والكهرباء مقطوعة منذ عدة ساعات . وفى الصباح جاءت فاتورة الغاز والكهرباء تطالبنى بمبلغ خمسة وعشرين ألف دولار مقابل استهلاك الشهر الماضى ، أما

شركة التليفونات فقد جاءتنى منها فاتورة تطالبنى بعشرين ألف دولار مقابل المكالمات بعيدة المدى ... لا بد أنها كانت بعيدة المدى جداً.. فى الغالب كانت زوجتى طوال الأربعة والعشرين ساعة تحدث أشخاصاً يسكنون المريخ.. أو لعل الشعب الأمريكى كله كان يتحدث فى التليفون على حسابى.. أرسلت لى المدرسة تطلب منى أن أبحث عن مدرسة أخرى لأولادى.. وقالت لى زوجتى كلمة واحدة، طلقنى، أشهد أنها قالتها برقة، اكتشفت ان كل أصدقائى فى الحمام، كلما اتصلت بصديق يقولون لى انه فى الحمام.وظل كل أصدقائى فى الحمام ولم يخرجوا حتى الآن.

استدعانى رئيسى فى العمل وطلب منى أن أستقيل حرصاً على سمعة الشركة وسمعة الشعب الأمريكى، طالبنى البنك بأن أسدد أقساط المنزل كلها دفعة واحدة. لحاجة البنك إليها لمكافحة التضخم وحماية الدولار الأمريكى من الهبوط، اكتشفت فجأة أن كل المقاعد والأماكن فى المطاعم ودور السينما والمسارح والمقاهى والنوادى محجوزة مقدماً وليس لى مكان. تركت الولاية، ذهبت لولاية أخرى.. التحقت بأحدى شركات المقاولات الصغيرة التى تبنى حظائر الماشية علماً بأن تخصصى هو حظائر الطائرات، بعد يومين استدعانى صاحبها وأخبرنى أن لديه من المتاعب ما يكفيه وطلب منى الانصراف بهدوء. حاولت أن أشرح لكل من أقابله أننى لست معادياً للسامية، لسبب بسيط، أننى لا أعرف ما هى السامية بالضبط ولا ما هى معاداتها... إن سامى ديفز صديقى. فكيف أكون معادياً للسامية؟ وإذا كنت معادياً للسامية لماذا

ذهبت للعمل فى إسرائيل؟ لقد كنت أعتقد لآخر لحظة أن السامية تعنى أمريكا بدليل أننا نرمز لأمريكا بالعم سام.

تجولت فى ولايات عديدة بحثاً عن عمل فلم أوفق. نفدت مدخراتى. كل ذلك أمره يهون، واستطعت أن أتحمله بجلد وشجاعة، أما الكارثة الحقيقية التى وقعت على رأسى كالصاعقة فقد كانت عندما وصلنى خطاب من الجامعة التى تخرجت منها تسحب منى شهادة البكالوريوس. فقد اكتشف مسجل الجامعة أن الدرجات التى حصلت عليها فى الرياضيات فى شهادة اتمام الدراسة الثانوية العامة لم تكن تؤهلنى لدراسة الهندسة. وهم يطلبون منى الالتحاق بالجامعة من جديد لدراسة التدبير المنزلى أو علم تنسيق الحدائق.

المؤلم أن الجامعة نشرت اعلاناً بهذا المعنى فى كل الجرائد الأمريكية فى الصفحة الأولى وفى محطات التليفزيون، وأرسلت صورة من خطابها إلى كل شركات البناء التى تعمل على ظهر الكرة الأرضية.

انتهى حديث الرجل.. أخرجت كل ما كان فى جيبى وهو قليل وأعطيته له، كما تركت له علبة سجائرى وحذائى وبلوفر صوف ثقيل، وتركته حزيناً مهموماً.

عزيزى القارىء:

إذا كانت ظروف عملك تتيح لك أن تتجول فى صحراء

أريزونا أو نيڤادا أو أية صحراء أمريكية ، فهناك احتمال كبير أن تقابل ذلك المهندس التعس . إذ التقط القمر الأمريكى الصناعى المكلف بمراقبة النمل ، صورته وهو يتجول فى البرارى والصحراء والغابات ، ممسكاً بعصاه ، عارى الجسد ، تكسو عورته قطعة من جلد البقر الوحشى ، مطارداً الأرانب البرية والماعز الجبلى .



حـرب الياميش العظمى

معركة أم القطايف

لعل السبب الحقيقى لخروجه من الخدمة، سيظل فى طى الكتمان لأمد طويل. ذلك هو اللواء المتقاعد «بندق الحموى» الذى كان يعمل رئيساً للأركان فى قوات الأمن الغذائى. فقد قيل أنه أحيل للمعاش قبل الأوان لخلافه الدائم مع رؤسائه ومرؤوسيه. وقيل أنه طرد من الخدمة لصرامته الزائدة عن الحد فى تطبيق القواعد القتالية فى شئون الأمن الغذائى، وقيلت أشياء كثيرة، ولكنها كلها ــ والحق يقال ــ لا تمس شرفه الشخصى أو الطعن فى نزاهته العقلية وكفاءته المهنية، لذلك كان هو أول شخص توجهت إليه بالسؤال عن كيفية حظر دخول الياميش إلى البلاد. عند ذلك اعتدل فى جلسته وأغلق كتاباً كان يقرأه. فى الغالب كان آخر ما أخرجته المطابع فى شئون الحرب. قال سيادته:

أن التعبئة الفعلية والحقيقية لقوى المجتمع التعبوية وأجهزته

الإدارية، التموينية والتنفيذية مع الاستعانة بتكنولوچيا العصر كفيلة بتوجيه ضربات سريعة وموجعة للعدو من مهربى الياميش لمنعه من الدخول إلى البلاد. كما أن متابعته ومطاردة فلوله والمتعاونين معه من أفراد الطابور الخامس من تجار وبقالين ومستهلكين، أمر تحتمه طبيعة المعركة. الأمر الذى يتطلب إنشاء جهاز «ردع ياميشى» خاص يتميز بسهولة الحركة والقدرة على الانتشار السريع للوصول إلى مواقع العدو وتطويقها بوسائل غير تقليدية، كما أن مراقبة أماكن تصديره خارج البلاد من خلال شبكة تخابر قوية، تتيح لنا مراقبة عمليات الشحن وخطوط السير ثم القبض عليه بمجرد وصوله لأى منفذ من منافذ البلاد، ولا بأس من أجل ذلك، من الاستعانة بأجهزة الدول الصديقة. من أجل ذلك.. لا مفر من إتباع الآتى:

(١) البدء فوراً فى تركيب أجهزة كشف الياميش الاليكترونية والرادارية فى المطارات والموانى.

(٢) تزويد قوات الردع الياميشى بنفس الأجهزة بعد أن يتم تركيبها فى السيارات والموتوسيكلات وأى وسائل أخرى من وسائل التمويه والاخفاء. مع استبعاد طائرات الهليكوبتر عند مهاجمة أحياء القاهرة المزدحمة، والاكتفاء بالخيالة والمشاة، فهى أقدر على الحركة والانقضاض فى تلك الأحياء.

(٣) للحرب النفسية آثار هامة فى معركتنا تساعد على الفوز

السريع . لذلك فلابد من التعاون الوثيق بين أجهزة الاعلام مع التنسيق بينها لوضع شعارات وبرامج تساعد على تحقيق الهدف ولا مانع من التشهير فى التليفزيون . فعند إلقاء القبض على أسير متلبس ، نستطيع تقديمه لجمهور التليفزيون هكذا :

هذا الخائن قبض عليه وهو يأكل كنافة بالمكسرات (زوم) هذه هى الكنافة ... وهذه هى المكسرات ... هل لديك ما تدافع به عن نفسك يا وغد ؟

أو أنظروا إلى هذا الرجل (كلوز أب على وجهه) .. إن وجهه أحمر، ليس حمرة الخجل ، فهو لا يخجل ولكنها الحمرة الناشئة عن شرب شفشق كبير من قمر الدين .

كما يمكن الاستعانة بالمنولوجات والأغانى فى هذا المجال مثل :

«أنا كان لى فى حبيبى أمل
لكن الخاين ظبطته بياكل عين جمل»

أو ...

كل اللى حصل مكتوب على الجبين
مش حرام عليك تسقينى قمر الدين

وفى نفس الوقت فان على هذه الحملات الاعلامية ، أن تمجد هؤلاء الذين يأكلون البلح فقط عن طريق الريبورتاچات المنشورة

والمسموعة والمرئية على طريقة «ومعانا دلوقت عم عبده، الذى كان يعمل فى تهريب الياميش وربنا تاب عليه»:

* قل لنا ياعم عبده... أمّال بتشرب إيه دلوقت على الفطار؟

ـ مايه ياست هانم.. هو ربنا خلق مايه فى الدنيا، أحسن من بتاعتنا؟

* قصدى الخشاف... بتعمله من إيه؟

ـ من البلح طبعاً... والعرقسوس.. أحسن خشاف فى الدنيا...

* يعنى بذمتك.. ما بتبقاش عاوز تحط شوية مكسرات؟

ـ أعوذ بالله.. استغفر الله.. قطع وقطعت سنينه..!

* مش عاوز توجه كلمة لزملائك اللى شغالين فى الياميش... ولسة ما تابوش.

ـ أيوه ياست هانم... عاوز أقول لهم توبوا... وابعتوا اللى اتفقنا عليه..!

* شكراً ياعم عبده البرنامج بيشكرك... ومعانا دلوقت... إلخ.

كما إنه يمكن فى اطار الحملة، نشر عدة أخبار مدروسة جيداً فى كل الجرائد والمجلات مثل «علماء الكنافة يحذرون من اضافة المكسرات اليها، لإنها تسبب السرطان» أو «أعلن فلان خبير القطايف العالمى بجامعة «باكلاوا» أن القطايف المحشوة بالفول السودانى تطيل العمر» أما صفحة الحوادث فن الممكن أن ننشر

«عاد الرجل إلى منزله فوجد زوجته قد حصلت على ياميش بوسائلها الخاصة، فقتلها وأخذ يصيح أمام وكيل النيابة في هيستريا... الله يخرب بيت اليامبش واللى عاوز ياكله... كنت سعيداً يا سعادة البيه قبل أن يدخل اللوز حياتى».

فجأة توقف الچنرال عن الكلام ونهض واقفاً ثم سار قليلاً ليقابل أحد الأشخاص. من مكانى على المقهى استطعت أن أتبين شخصاً يحمل عدة أكياس كبيرة تناولها منه الچنرال فى اهتمام وحرص. مر من أمامى معتذراً بأنه لا بد أن يعود لمنزله الآن.

كانت الأكياس بالطبع ممتلئة بالمكسرات..!



ســفاح التليفونات

بعد الانفتاح ، إنهالت عليّ البواكى والأساتك والأرانب . (الباكو= ألف جنيه ، الأستك= عشرة آلاف ، الأرنب= مليون) وأخذت أتمسك بالفضيلة أكثر وأكثر، وبدأت كراهيتى للصوص تزداد وتعنف . لذلك سعدت جداً بالقبض على سفاح التليفونات فى بورسعيد ذلك الذى كان يفرض أتاوات على المتعاملين مع مكتب التليفونات والتلغـراف من أهالى بورسعيد وخاصة التجار الودعاء ويحيل حياتهم الفاضلة إلى جحيم .

وقصة القبض على هذا الجرم منشورة بكل تفاصيلها فى صحيفة قومية ، بل لقد بلغت بها القومية إلى أن تنشر اسم الرجل قبل أن يحاكم وقبل أن يدان ... ويبدو أنها اضطرت لذلك ضد أخلاقيات النشر فى العالم كله لفداحة الجرم الذى ارتكبه .

لقد أعد له كمين اشترك فيه اللواء فلان واللواء علان ومن العمداء فلان وفلان ومن النقباء فلان وفلان ، ومن الملازمين فلان

وفلان وفلان ومن أمناء الشرطة فلان وفلان وفلان ومن المخبرين فلان وفلان وفلان، ومن المؤكد أنه قد استخدمت فى هذا الكمين أكثر وسائل التكنولوچيا رقياً وتعقيداً.

وأخيراً كللت جهودهم بالنجاح وتم القبض على السفاح متلبساً باغتصاب ثلاثة قروش ونصف من أحد الزبائن ــ تحت زعم إنه ليست هناك فكة ــ وبجرد عهدته، تبين أن فيها زيادة مقدارها أربعون قرشاً عجز عن تبيان مصدرها، ولكن مصدرها معروف بالطبع، بديهى أنها مبالغ اغتصبها السفاح من ضحاياه زبائن المكتب.

وقد سمعت تعليقاً يقول:

«ألم تكن هناك طريقة أخرى لردع هذا الرجل دون تدمير حياته بمثل هذا الكمين وهذه القضية؟... ألم يكن يكفى أن يستدعيه مسئول فى مباحث بورسعيد ويطلب منه ــ برقة ــ أن يكف عن سرقة البواقى الفكة.. وأنا أؤكد إنه كان سيمتثل على الفور.. ويتمسك فى عمله بالشرف والنزاهة والأمانة» ونحن نقول لهؤلاء الرومانسيين من أصحاب القلوب الحنونة:

ان الفضيلة لا تتجزأ، واللصوص سواسية أمام القانون.. من يسرق ثلاثة قروش ونصف يتساوى مع هذا الذى يسرق ثلاثة ملايين ونصف. وكمية الأموال المنهوبة ليست مهمة، المهم هو الفعل الاجرامى.. وهناك مسألة أخرى.. إذا لم نمسك هذا الرجل

أمال حانمسك مين؟.. إحنا عارفين نمسك حد....؟ ما كل ما نيجي نمسك واحد يطلع إنه.. ثم إن هذه المبالغ ليست بسيطة لقد استطاع أن يجمع فى ليلة واحدة أربعين قرشاً، يعنى اتناشر جنيه فى الشهر، يعنى ماية وعشرين جنيه فى السنة، يعنى ألف ومائتين جنيه فى عشرة أعوام، يعنى اتناشر ألف جنيه فى المائة سنة، وهذا مبلغ كبير. عندما يحصل عليه، سيترك مصلحة التليفونات ويتجه لعمليات اجرامية أوسع وأكبر، سيستورد البلوبيف واللحوم الفاسدة.. وسوف يستورد زبالة العالم كله ويبيعها لنا هنا فى بورسعيد بوصفها أحدث ما أخرجت أوروبا.. و.. و.. هل كنتم تريدون أن نتركه ليفعل ذلك كله..؟

فى تلك الليلة، نامت المدينة الباسلة وعلى شفتيها ابتسامة هانئة، لقد تخلصت سوق الأوراق المالية من سفاح التليفونات. وتمت المكالمات عبر التليفون مع أسواق الكانتو فى عواصم العالم كله لاستيراد المزيد من السلع التى لا يحتاجها أحد، ولم ينس السماسرة الودعاء فى تلك الليلة أن يعيدوا ترتيب البواكى والأساتك والأرانب فى خزائنهم بلا أدنى خوف من الكمائن أو التشهير فى الصحف.

لأنهم لم يسرقوا ثلاثة قروش ونصف، ولأن خزائنهم ليس بها أربعون قرشاً زيادة عما هو مثبوت فى دفاترهم.

ـــ ادينى بورسعيد من فضلك.. مكالمة شخصية...

* معاك بورسعيد... عاوز تكلم مين هناك..؟

ـ سيادة القانون .. !

* معاك سيادة القانون .. !

ـ آلو.. سيادة القانون .. أنا أبوعلوة ، بأكلمك من مصر.. لا خير انشاء الله.. كنت عاوز أقول لك .. آه .. كنت عاوز أقول لك .. صباح الفل .. اقفل السكة !



أرفعــوا أيديكم عـن الفكـاهة

نشر خبر فى جريدة الأحرار يقول :

(قرر الدكتور محمود داود وزير الزراعة والأمن الغذائى ، تصفية الشركة العامة للتسويق والخدمات الزراعية ، وإحالة موظفيها إلى النيابة . كان الوزير قد أنشأ الشركة للإسهام فى مشروعات الأمن الغذائى .. أقامت الشركة ١٥ كشكاً لبيع منتجاتها للمواطنين استولى عمال الأكشاك على حصيلة البيع ، وقاموا بإغلاق الأكشاك وانصرفوا !!! أثناء قيام المسئولين بالشركة بالمرور على الأكشاك ، اكتشفوا اختفاء العاملين واختلاس العهد والبضائع . كما اكتشف المسئولون بالشركة أن عناوين العاملين الهاربين ، وهمية ومزورة !! تبين للجان الحصر ، وجود عجز يقدر بـ ١٥٠ ألف جنيه !! تولى حسام لطفى وكيل نيابة الدقى التحقيق وأمر بالقبض على العاملين الهاربين) .

بعد أن تقرأ هذا الخبر ، ستبتسم ، وقد تنفجر ضاحكاً من

أعماقك ، معنى هذا أن الفعل الذى ينطوى عليه الخبر، خرج من حدود الفعل الاجرامى إلى دائرة أخرى هى الفعل الفكاهى أو الكوميدى .

ولما كانت الكوميديا هى مهنتى التى آكل منها عيشى وأفتح بها بيتى وأطعم بها أطفالى ، فأننى على استعداد للدفاع عنها حتى الموت ضد الدخلاء الذين يريدون قطع أرزاقنا مستخدمين فى ذلك أفعالاً كوميدية أمنية غذائية تتسم بالابداع الشديد بحيث يتضاءل إلى جوارها كل ما نكتبه للمسرح أو التليفزيون .

إن مؤلف الكوميديا يجهد ذهنه ويعتصر ملكات ابداعه ويضيع عمره من أجل تأليف «فعل درامى» غير متوقع وغير مألوف وغير معقول لكى يسبب صدمة خفيفة لعقل ووجدان المتفرج أو القارىء ليجعله يضحك .

فإذا جاء بعض العاملين فى وزارة الزراعة والأمن الغذائى وارتكبوا هذا الحدث المضحك غير المألوف وغير المتوقع وغير المعقول فهذا معناه أن الهدف لم يكن السرقة فى حد ذاتها ، ولكنه الدخول فى منافسة غير شريفة مع مؤلفى الفكاهة ، دلنى بربك على مؤلف فكاهى واحد فى مصر يجنح به خياله إلى تأليف مثل تلك الواقعة .

إن المسئولين فى أى مكان إذا استمروا يعملون بهذه الطريقة فمن المؤكد أنه سيقضى نهائياً على كتاب الفكاهة فى مصر .

إن الهزار ـــ حتى الثقيل منه ـــ والدعابة والمرح والضحك والابتسام والهلس، كلها عناصر تتكون منها مهنتنا التى نأكل منها خبزنا، أرجوكم، ابتعدوا عنها.. لا تقطعوا أرزاقنا.. كونوا جادين، دعوا الهزار والهلس لنا، لأننا إذا فقدنا عناصر مهنتنا فسوف نضطر آسفين لكتابة أشياء تغمكم كثيراً.. خليكوا حلوين معانا..!

لم يكن هناك مبرر لتصفية هذه الشركة، فالرقابة على مثل تلك المشاريع سهلة للغاية ولا تحتاج لجيش من المسئولين والمفتشين والمراقبين، إنها تحتاج لموظف واحد يجلس فى غرفة واحدة فى مبنى الوزارة، يراقب منها كل ما يحدث داخل هذه الأكشاك بواسطة دائرة كهربية مغلقة وهى شىء آخر غير الدائرة التليفزيونية المغلقة التى تتكلف أموالاً طائلة.. وأشرح لكم فكرتها.

أنظر إلى تابلوه سيارتك... ماذا ترى؟ عدة خانات وعدة لمبات مختلفة الألوان متصلة بأسلاك تنتهى بعوامات فى التنك وعلبة زيت الفرامل وزيت الموتور والرادياتير، إذا نقص الزيت تضىء لمبة حمراء فى التابلوه، إذا نقص البنزين تضىء لمبة أخرى، إذا شددت الشفاط تضىء لمبة صفراء.. وهكذا.. إلخ.. إلخ.

هذه هى باختصار فكرة الرقابة الكهربية على أجهزة الفول والطعمية، شبكة من الأسلاك الكهربية متصلة بقدور الفول وطاسات الطعمية وخزانات سلطة الطحينة، وبراميل الزيت وتنكات الطرشى، هذه الأسلاك تخرج من الأكشاك وتسير فى

كابلات تحت الأرض ثم تتجمع كلها فى تابلوه واحد فى غرفة التحكم المركزى بالوزارة، هذه الغرفة يديرها موظف واحد، يستطيع بسهولة متابعة كل ما يباع أو يسرق فى هذه الأكشاك وبذلك لانفاجأ فى لحظة أن كل الناس سرقت كل حاجة ولم يتركوا عناوينهم.

كما يمكن عن طريق غرفة التحكم هذه أيضاً تحسين الخدمة فى هذه الأكشاك بتركيب محطة لاسلكى صغيرة تعطى تعليماتها للأكشاك.. زيت زيادة.. حط شوية فول.. زود الطحينة.. خف الشطة.. حط شوية سلطة.. حوّل.. هل تسمعنى؟

وقد يقال:

وهل الحرامية يقف فى طريقهم شىء؟.. سوف يلعبون فى هذه الشبكة الكهربية.. هذه المسألة لها علاج أيضاً، شبكة كهربية أخرى عالية الجهد تأخذ كهربتها من السد العالى مباشرة تصعق فى الحال كل من يمد يده للعبث بمحتويات الأكشاك.

وهناك طريقة أسهل من ذلك بكثير وهى أن يدير هذه المشاريع شخص جاد، أى انسان جاد يخشى الله فى وطنه ومواطنيه.. وإذا سألتمونى ما هى مواصفات الإنسان الجاد؟

أقول لكم.. ألا تعرفون مواصفات الإنسان الجاد؟!!.. صباح الفل!

الوقت كالسيف

كان الحديث عصر ذلك اليوم يدور بيننا على المقهى حول أهمية المخترعات الجديدة فى توفير وقت الإنسان وفى سعادته.. وعلى عادة «أبوعلوة» استمع لنا جميعاً فى انتباه ثم قال أخيراً...

سنين طويلة وأنا أحلم بامتلاك سيارة تنقذ لى وقتى الضائع، خاصة وأنا أحد الذين يؤمنون بأن الوقت كالسيف إن لم نقطعه، قطعنا. وتحقق الحلم أخيراً وجاءت السيارة. وبعد عدة شهور اكتشفت انها لم توفر وقتى فقط، لقد نظمته أيضاً. فمن السهل دائماً أن نوفر الوقت ولكن الصعب حقاً هو تنظيمه بحيث يكفينا لإنجاز أمور كثيرة، ولكى أثبت لكم ذلك سوف أقرأ لكم عدة صفحات من مفكرتى الخاصة.

السبت:

قضيت اليوم كله من العاشرة صباحاً حتى التاسعة مساءً عند الميكانيكى الذى تفرغ تماماً هو وأجهزته الاليكترونية باحثاً عن

مصدر تلك الفرقعة الغامضة المنبعثة من المحرك ثم نصحني أخيراً أن ألجأ للكهربائى .

الأحـــد :

نزلت من المنزل بعد الفجر بقليل حتى أتمكن من العثور على مكان خال أوقف سيارتى فيه أمام ورشة الكهربائى . انتظرته على مقهى صغير أمام الورشة حتى جاء فى الثانية عشرة ظهراً . بعد أن فحصها بدقة نصحنى أن أقوم باصلاح ماسورة العادم (الشكمان) أولاً ، فإن بها خللاً يصدر أصواتاً تمنعه من سماع صوت المحرك نفسه وبالتالى تمنعه من التشخيص السليم . عدت إلى المنزل فى الثامنة مساء .. ومن فرط الاجهاد نمت بملابسى حتى الصباح .

الاثنين :

ذهبت فى التاسعة صباحاً لورشة اصلاح « الشكمانات » . كشف على السيارة طفل فى العاشرة من عمره ونصحنى بتغيير « الشكمان » كله وحذرنى من أن الاستمرار فى استخدامه بحالته تلك قد يعرض المحرك نفسه للخطر، بعد بحث مضنى فى كل أسواق قطع الغيار لم أجد المطلوب . نصحنى أحد أولاد الحلال باللجوء للتوكيل الأصلى للسيارة . ذهبت للتوكيل على الفور ولكنه كان قد أغلق أبوابه .

الثلاثاء :

أرجأت التفكير نهائياً فى العمل فى مسرحيتى الجديدة إلى أن انتهى من اصلاح السيارة . ذهبت للتوكيل فى الثامنة صباحاً

وأصررت على مقابلة المهندس الأجنبى المسئول الذى حضر أخيراً بعد ثلاث ساعات وقال لى بهدوء وبرود ذكرنى بثلج أوروبا، «الشكمان» سليم، الخطأ فى المحرك نفسه. لا تتعب نفسك فى البحث عن سر تلك الفرقعة الغامضة، لقد فشل فى ذلك كل مهندسينا. لذلك توقفنا عن انتاج هذا الطراز.. على العموم هذا الصوت مزعج فقط ولكنه غير ضار بالمحرك. أنصحك بأن تتجاهله تماماً.. ودع القلق وابدأ الحياة.

الأربعاء:

فشلت فى تجاهل ذلك الصوت المزعج كما فشلت فى أن أدع القلق وأن أبدأ الحياة. فركنت السيارة على النيل وأخذت أحدق فى مياهه الساكنة فى بلادة حتى غربت الشمس، اشتريت بعض الترمس من بائع متجول يدفع عربة يد خشبية وأخذت أتبادل معه أطراف الحديث. كنت أريد أن أحكى مشكلتى لأى مخلوق.. ركب الرجل إلى جوارى وقدت السيارة عدة مئات من الأمتار. قال لى الرجل: احدى اطارات السيارة هى التى تصدر هذا الصوت، فهى ممتلئة بالهواء أكثر من اللازم، شكرته وانصرفت.

الخميس:

ذهبت لورشة اصلاح الإطارات، اكتشفت صحة تشخيص بائع الترمس، اختفى صوت الفرقعة المزعج وحل محله صرير ناعم مجهول المصدر. بعد عدة ساعات اكتشف أحد المارة الذى تطوع لمساعدتنا أن مصدر ذلك الصرير هو أعوجاج بسيط فى الرفرف الأمامى يجعله يحتك بالاطار.

الجمعة :

المفروض أن أذهب اليوم للسمكرى لاصلاح الرفرف ، ولكننى لم استطع فأنا أشعر باجهاد عصبى وبدنى يمنعنى من مغادرة الفراش . وفى الفراش بدأت أشعر بالحب والتقدير لسيارتى .. لقد نظمت لىّ وقتى طوال الأسبوع الماضى ..

أغلق مفكرته ثم سألنا : .. هل كان من الممكن أن أقوم بانجاز كل ما انجزته بدونها ؟



والرجل ما زال يتكلم

تحلق الجميع حوله ينظرون له باهتمام وينصتون لما يقول بإمعان . كان صوته واضحاً وألفاظه أنيقة ونبراته واثقة شأن أولئك العارفين ببواطن الأمور، وأنا أشعر بضعف شديد تجاه أولئك العارفين ببواطن الأمور، فقد حاولت كثيراً أن أكون واحداً منهم غير أننى فشلت واكتفيت أخيراً بأن أكون واحداً من الملايين الذين يعرفون قشور الأمور. أو بالتحديد الذين يعرفون القشرة العليا السطحية لقشور الأمور.

سألت : من هو.. ؟

جاءتنى الاجابة همساً من واحد من الجالسين إلى جوارى : هو أديب وصحفى ومحلل سياسى ، وخبرته فى التحليل طويلة منذ كان يعمل بأحد معامل التحاليل الطبية قبل أن يعمل فى الصحافة .. وأجهزة المخابرات العالمية والدوائر السياسية العليا وصناع القرار فى الشرق والغرب على حد سواء تدرس بعناية كبيرة كل مايكتبه

وكل مايقوله . فتحت آذانى جيداً وأرهفت سمعى . من المؤكد أننى إذا استوعبت حديثه جيداً فسوف تكون فرصتى الأخيرة للانضمام لجماعة العارفين ببواطن الأمور.

اندفع المحلل يقول :

إن ما يحدث فى المنطقة يدفعنا بشدة لأن نراقب بحذر مشوب بالتفاؤل الجهود الامريكية والغربية لاقرار السلام فى المنطقة بينما يحتم الوضع على أمريكا نفسها أن تدفع الموقف باصرار مشوب بالتفاؤل الحذر فى الاتجاه السليم خاصة وأن الاتحاد السوفيتى يراقب الموقف من بعيد تمهيداً للتدخل الحذر فى هدوء مشوب بالتشاؤم .

والأيام القليلة القادمة سوف تطرح تساؤلات هامة على الأطراف المتصارعة أن تجيب عليها .

ولعل الطرف المؤهل الآن للاجابة أكثر من غيره هو: الدروز والشيعة والموارنة والكتائب والمرابطون وسنة طرابلس وعلويو سوريا والقوات الأمريكية والفرنسية والانجليزية والإيطالية والدول العربية ، غير أننى، أحذر من فهم خاطىء لدى الكثيرين وهو أن اللعبة السياسية هى يد هؤلاء فقط على العكس من ذلك . فهناك أطراف أخرى عديدة ، هامة ومؤثرة أفضل عدم الافصاح عنها إلى أن يتضح موقفها تماماً وكل مانستطيعه حيالها هو أن نترقب موقفها بحذر مشوب بالقلق فى المرحلة الراهنة على الأقل..أما فيا بعد وفى مراحل قادمة فعلينا أن نحول حذرنا المشوب بالقلق إلى قلق

مشوب بالحذر، إننى رجل متفائل بطبعى وطبيعتى غير، أن السياسة علمتنى ــ هذا إذا كنت تعلمت حقاً ــ أن يكون تفاؤلى دائماً مشوبا بالحذر، ولكنه الحذر المحسوب الذى يدفع للبحث عن حلول عملية وليس ذلك الحذر المثبط للهمم. والسياسة لا تعرف السكون والجمود، هناك متغير فى كل عام بل فى كل شهر بل فى كل أسبوع بل فى كل يوم بل فى كل ساعة بل فى كل دقيقة بل فى كل ثانية بل فى كل لحظة، لقد حدثت على الأرض آلاف بل ملايين المتغيرات منذ أن بدأت حديثى اليكم، ومع ذلك يجب أن نكون جميعاً على وعى بتلك المتغيرات التى حدثت بل علينا أيضاً أن نتنبأ بقوة الخيال السياسى بالمتغيرات التى ستحدث فى المنطقة.

ولكن هذا بدوره يبرز بقوة دور كل الدول المصدرة والمصنعة للسلاح فى العالم..كما يطرح سؤالاً صعباً إلى الدرجة التى تجعلنى أنا نفسى عاجزاً عن الاجابة عليه فى الوقت الراهن على الأقل إلى أن تتوافر لدىّ كل معطيات الموقف والتى وعدنى بعض أصدقائى بالحصول عليها وارسالها لى فى البريد.

تركت المقهى والرجل يتكلم، ذهبت إلى المنزل ونمت ساعتين وأخذت دشاً وعدت إلى المقهى وكان الرجل يتكلم، ذهبت إلى المصيف وقضيت شهراً على الشاطىء وعدت فوجدت الرجل يتكلم، ولد ملايين الأطفال وقتل الآلاف بالقصف المركز والعشوائى ودمرت آلاف المنازل والأحياء وامتلأت خزائن كل تجار

السلاح فى الشرق والغرب ومررت،،على المقهى بالصدفة وكان الرجل يتكلم.. كف الطفل بداخلى عن المرح وجف شبابى وبدأت أشعر بالشيخوخة تزحف علىّ بثبات مشوب بالحزن والرجل ما زال يتكلم.

ولكنه ـ والحق يقال ـ كان يتكلم فى تفاؤل مشوب بالحذر.



لصوصيانس كلينك

قال لى صاحبى الذى عرفت فيما بعد إنه يعمل سمساراً للمستشفيات :

مالى أراك شاحباً .. هل ستسكت على هذا الشحوب ؟ كما أن شهيتك لا تعجبنى فبالأمس لم تستطع أن تلتهم أكثر من أربع حمامات محشية ، وأكملت بصعوبة صينية البطاطس وطاجن الأرز المعمر .. لماذا لا تنتهز فرصة الأجازة وتعرض نفسك على مستشفى متخصص فى شحوب الوجه وانسداد الشهية .. إننى أرشح لك لصوصيانس كلينك ... تصور أن أجرة السرير هناك عشرة جنيهات فقط فى اليوم .

وقبل أن أفتح فى بكلمة واحدة كان قد أوقف تاكسياً وقبض على معصمى بقوة وقذف بى داخل التاكسى وهو يقول : أمثالك من الأصدقاء المهملين يجب أن يرغموا على علاج أنفسهم . كل شىء فى المستشفى هادىء ، لامع ، نظيف ، والابتسامات ترتسم

على وجوه العاملين فيه كلهم ... حتى الأشجارُ ونباتات الحديقة والحشائش التى تكسو الأرض، كانت تبتسم أيضاً.

جاءت ممرضة لقياس ضغط دمي وممرضة أخرى لقياس درجة الحرارة، وممرضة ثالثة لا أعرف مهمتها بالضبط، إذ كانت تقف ناظرة لى بحنان وشفقة بالاضافة لابتسامة، تعتبر من أكثر ابتسامات تاريخ المستشفيات المعاصر عذوبة وحلاوة.

أدخلونى فى غرف عديدة تحتوى على أجهزة من مختلف الأنواع .. هذا جهاز يوش ثم يئن ثم يصدر صفيراً. وذاك جهاز يبقبق ثم يزمجر ثم يئز، وأخيراً نمت من فرط الاجهاد .. يبدو أننى تحولت لمريض فعلاً.

فى الصباح شعرت أننى غير قادر على النهوض من السرير، نظرت إلى وجهى فى المرآة. كان شاحباً بالفعل. وحانت منى التفاتة للوحة كبيرة من الورق معلقة بجوار المرآة. إنها لوحة الأسعار، وبدأت أقرأ.

أسعار لصوصيانس كلينك

١٠ عشرة جنيهات ايجار السرير فى اليوم + عشرة جنيهات ايجار المرتبة + ٨ جنيهات ايجار البطانية + ٦ جنيهات ايجار الوسادة + ١٠ جنيهات استخدام الكهرباء + ٩ جنيهات استخدام مياه + ١٢ جنيه استخدام تكييف + ٤٠٠ جنيه ايجار الغرفة نفسها.

١٢ جنيهاً استخدام النافذة والاطلال على الحديقة لمرتين فقط.

٢٥ جنيهاً استخدام الحمام بشكل تقليدى + ١٠ جنيهات فى حالة الاستحمام.

٧٥ جنيهاً ابتسامة ترحيب شديدة العذوبة مضافاً اليها نظرة حنان مركز من رئيسة الممرضات.

- نحن لا نحصل على أجر مقابل استخدام الموكيت أو أجر مقابل استخدام الستائر.
- يتم تحصيل ماقيمته ١٢,٥٪ لصالح حلف الأطلنطى.

وشعرت أننى على وشك أن أموت. كل هذه الأرقام قبل أن نصل لنفقات العلاج نفسه والأدوية، فألقيت بنفسى على السرير.

جاءنى الطبيب المعالج وطمأننى أنى لا أشكو من شىء وإنه من الممكن أن أغادر المستشفى الآن.

وأرسلوا لى الفاتورة، ألقيت عليها نظرة فأغمى على فعالجونى وقدمـــوا لى الفاتورة مرة أخرى بعد أن أضافوا اليها رقماً آخر مقابل تضييع وقتهم فى افاقتى.

لن أقول لكم على المبلغ الذى دفعته، ولكن يكفى أن تعرفوا أننى بعت قطعتى أرض وبيتاً صغيراً وسيارتى الجديدة لكى أتمكن من تسديد مصاريف العلاج. الذى استغرق يوماً واحداً...

وما زلت أعالج من آثار هذا العلاج حتى الآن..

ماهى الحياة

تعبت من الكتب والكتاب. أتخمت بالحروف، الافكار المعجونة سدت كل القنوات فى عقلى. لامفر من الحصول على الحكمة من منابعها الأصلية. من الشارع، تماما كما كان يفعل سقراط.

كان سقراط ــ أعظم فلاسفة التاريخ ــ ينزل إلى الأسواق موجها اسئلته للناس طارحا أفكاره على الجميع لكى يحصل على إجابات تساعده على اقامة بنائه الفلسفى. لماذا لا أفعل ذلك أنا أيضاً.

وصلت لقرار. وأنا ــ مثلك تماما ــ عندما أتخذ قراراً بفعل شىء فأنا فى الغالب لا أفعله مكتفيا ككل البشر بتخيل أننى قد انتهيت من فعله.

فى الصباح الباكر. راسما على وجهى ابتسامة فلسفية جادة

وحكيمة ، اقتربت من مجموعة من البشر تقف على محطة الأتوبيس . وإلى أقرب الواقفين بدأت بالسؤال الذى كان سقراط مغرما بتوجيهه .

● ما هى الشجاعة ؟

نظر الرجل إلى فى خوف ودهشة ثم ابتعد عدة خطوات متجاهلاً السؤال ومتجاهلا وجودى . لا بأس ، هو رجل يفتقر للحس الفلسفى الكافى للإجابة على السؤال . أو لعلى بدأت بسؤال صعب .

اقتربت من ريفى تمتلىء ملامحه بالطيبة (٧٠٠٠ سنة + ٥٠ مليار دولار ديون) .. قلت له بتهذيب :

ــ من فضلك ياعم ... ما هى الحياة ؟

أجاب الرجل بلطف : عفوا .. يابنى .. أنا غريب .. لست من هذه الناحية .

تدخل أحد الموجودين .

ــ صيدلية الحياة لا تفتح أبوابها قبل العاشرة صباحا ، وهى تقع فى الناحية الثانية فى هذا الشارع على اليمين .

ــ لست أسأل عن صيدلية الحياة ، إننى اقصد الحياة نفسها .

ــ ما لها ؟

ــ ما هى .. ؟

نظر إلى بشك ثم ابتعد دون اجابة . مرت لحظات قبل أن اسمعه يهمس فى أذن زميله .

ــ تلاقيه مخبر.

المرأة هى أقرب المخلوقات للحكمة . اقتربت من سيدة فى حوالى الأربعين من عمرها ، تتسم ببعض الجمال .

ــ سيدتى .. ما هى الحياة ؟

ــ أصطبح يا افندى على الصبح .

تحولت السيدة فى لحظة لوحش كاسر. أسعدنى ذلك..لا شىء فى الوجود قادر على ترويض الوحوش مثل الفلسفة . هذه هى ضالتى المنشودة ، على أن أواصل معها بنفس المنهج السقراطى القديم .

ــ ماذا تقصدين ياسيدتى بفعل الأمر اصطبح .. من الواضح أنه فعل أمر جديد ومنحوت .. بعد أن أضفت حرف الطاء للفعل الأصلى أصبح .. ومع ذلك فأنا انسان .. والانسان نفسه لا يصبح بمعنى أن يكون هو نفسه الصباح . بل هو يصبح بمعنى أن يصبح عليه الصباح .. ولكننا إذا فكرنا قليلاً بهدوء برغم التلوث وضجيج الشارع .. فأننا نكتشف بسهولة أن الصباح هو الذى يصبح بينما المساء هو الذى يمسى .. عند ذلك يكون من الخطأ أن نقول فلان أصبح أو علان أمسى .. فماذا تقصدين يا سيدتى عندما تطلبين منى أن أصطبح على الصبح .. ولماذا لم تقولى أصبح .. لماذا أضفت حرف الطاء ؟

صرخت السيدة (لا بأس .. البشر يصرخون دائما عندما يعجزون عن التفكير) :

ـــ أبعد عنى وروح فى ستين داهية .

ـــ أننى مقدر ـــ يا سيدتى ـــ لطلبك بالابتعاد عنك ومقدر لكل دوافعه ، فالبشر عادة يكرهون بشدة هؤلاء الذين يدفعونهم للتفكير .. ولكن لماذا لم تكتف بطلب الابتعاد عنك فقط . لماذا حددت الجهة التى أذهب إليها .. ؟ وهى ستين داهية لماذا الرقم ستون ؟ .. هل له دلالة فى تاريخنا المعاصر أو القديم .. أو لعلك تتفاءلين به .

بدأت الفلسفة تؤتى ثمارها . فقد أخذ الناس فى التجمع حولنا . قدمت عدة أتوبيسات فلم يركبها أحد.استلفت المشهد أنظار ركاب الأتوبيسات المارة فنزلوا جميعا يتفرجون على ما يحدث . وبدأت التعليقات من الجميع .. حمداً لله .. لقد نجحت أخيراً فى الحصول على مشاركتهم الايجابية .

ـــ أفندى قليل الأدب .

ـــ كنت أراقبه طول الوقت ، إنه يعاكسها منذ ساعة تقريبا ..

ـــ بل منذ أن خرجت من بيتها .

ـــ ماذا حدث للأخلاق فى هذا البلد ؟ .. (أعجبنى السؤال .. إن طريق الحكمة يبدأ بطرح الأسئلة) ..

ـــ قليل الأدب والحياء .. فى حاجة لمن يربيه . (لا بأس . كلنا فى حاجة للتربية ، أو لمزيد من التربية أو لإعادة التربية .. وإلا فلماذا يتحدثون كثيراً عن اعادة بناء الإنسان العربى المعاصر فى منطقتنا العربية ؟ .. إن اعادة بناء الإنسان تعنى ببساطة اعادة تربيته .. لذلك لم أغضب من التعليق) .

لا أستطيع أن أرصد بالضبط اللحظة التى انتقلت فيها الجماهير من التعليقات الفلسفية الهادئة المشحونة بالغضب الإنسانى الشرعى والطبيعى إلى الفعل الواضح المحسوس والملموس والممسوس .

تمنيت كثيرا أن يكون معنا فى هذا اللقاء أكبر قدر من القادة السياسيين ليروا على الطبيعة كيف تتم اثارة خيال الجماهير ودفعها (للفعل) الواضح بواسطة الأسئلة الفلسفية .

فى اللحظات القليلة التى سبقت الاغماء العميق الذى رحت فيه ، استطعت بصعوبة التعرف على ما يحدث . كانوا جميعا يضربون ويصرخون فى سعادة غامرة ، الشارع كله ثم كل الشوارع ، كل سكان العاصمة ، ثم كل سكان كل العواصم ، والمدن الصغيرة ، والقرى ، والنجوع ، والموانى ، وسكان البادية ، لم يكتفوا بالقدوم من الحاضر ، جاء أناس من الماضى لينعموا بضربى ، وجاء أناس من المستقبل ، يا الهى ، كيف تحملت وسأتحمل كل هذا الضرب ؟



الدخول فى الأكياس

ظهر شبح الأب وقال لابنه الشاب: هاملت يا بنى.. لم أمت ميتة طبيعية. لقد مت مقتولاً، وضع عمك السم فى أذنى فقتلنى بينما أنا نائم فى الحديقة.. وجلس مكانى على عرش البلاد ولم يكتف بذلك-تزوج من زوجتى التى هى أمك.. أطلب منك أن تنتقم لى.. ولكنى أحذرك أن تتعرض بالأذى لوالدتك. والآن أقسم على سيفك.. أنك ستنتقم لى.. إقسم..!

قالها ثلاث مرات وردد هاملت القسم ثلاث مرات على انه سينتقم من عمه حتى تستريح روح والده المعذبة.

وتتاح لهاملت الفرصة. يدخل على عمه فيجده يصلى والفرصة مهيئة تماما لقتله الآن، ولكن هاملت يقف متردداً، لا يجب أن اقتله وهو يتعبد إلى الله سبحانه وتعالى، فإن ذلك قد ينقذ روحه من الجحيم.. لا.. لابد أن انتهز فرصة أخرى..

هذا المشهد كان مثار جدل طويل بين نقاد المسرح . لماذا لم يقتل هاملت عمه بينما كان يصلى هل هو فى أعمق أعماقه يرفض أن يتحول لقاتل ؟ هل يداخله الشك فى قصة الشبح بأكملها ؟ أو إنها من صنع خياله ؟ كيف ذلك والشبح قد رآه آخرون أم أن شكسبير قد تعمد كتابة هذا المشهد ليثبت أن هاملت شخص متردد بطبيعته لأنه مثقف ، وأن ارتفاع درجة الثقافة يتبعه بالضرورة نقص اليقين وانعدام الحسم ؟ على أى حال .. هاملت لم يقتل عمه فى المشهد لكى تستمر المسرحية حتى نهايتها أما السيدة ساكنة حى الهرم التى ذبحت زوجها وهو يصلى فى الصباح فيبدو أنها كانت أكثر عزماً من هاملت .. فقد أحضرت الساطور بهدوء وانتظرت إلى أن انتهى زوجها من الصلاة وبدأ فى قراءة التشهد ، عند ذلك ضربت ضربتها فى ثبات ، ضربة واحدة على طريقة القتلة المحترفين فى أفلام الرعب ، لم تنته المهمة بعد ، بنفس الهدوء والثبات أخذت (تشفيه) على حد قول أطفالها الصغار الذين شاهدوا الواقعة بأكملها . وعملية التشفية لمن لا يعرف من قرائنا الأعزاء ، هى عملية تقطيع وتوضيب الذبيحة حسب أجزائها النوعية . وبعد التقطيع والتشفية تأتى مرحلة (الامبلاچ) أى وضع هذه الأجزاء فى الأكياس وإغلاقها فى إحكام حتى يمكن توزيعها بسهولة على عدة أماكن متباعدة .. أما الرأس فقد حملتها على رأسها ، وسارت بها فى الشارع رأساً على رأس لتلقى بها فى الترعة بعد أن فقأت العينين . كان الدافع على الجريمة كما جاء فى اعترافها إنه كان يعيرها بدمامتها ، وإنه كان على وشك أن يتزوج

من أخرى. بالطبع هذا الدافع لا يبرر عملية الذبح والتقطيع والفقع والتعبئة فى الأكياس. فلو صدقنا ذلك حقا، فإنه من المؤكد إن كل مصانع إنتاج أكياس البلاستيك على ظهر الأرض لن تستطيع مواجهة الطلب المتزايد عليها لتعبئة أعضاء الأزواج.

أنا آسف لقسوتى فى إعادة سرد الحادث. فما حدث لا يدهشنى، لأننى أحد القلائل الذين يؤمنون بأن هذا السلوك هو الأصل فى النفس البشرية ــ العدوان على الآخر إلى حد الإفناء ــ هذه هى القاعدة، والإستثناء هو الإمتناع عن ذلك تحت ضغط مسيرة الحضارة؛ وما يترتب على ذلك من تحويل للعدوان إلى مسارات أخرى يقبلها المجتمع. ما يدهشنى فى الحادث وما أعده اكتشافا جديدا، جديرا بالبحث. هو عنصر الهدوء والثبات والانضباط والترتيب.. فى القيام بعملية التقطيع «والأمبلاچ» التى قامت بها الزوجة.. فقد تكررت هذه العناصر فى الحوادث الشبيهة فى السنوات القليلة الماضية. فمن المعروف فى مجال علم النفس إن أفضل الشروط لمعرفة حقيقة وأصل السلوك البشرى هى عندما يفقد الإنسان السيطرة على عقله ويتصرف طبقاً لغرائزه، حرة من أى قيد. ولذلك كان إسكات صوت العقل يترتب عليه رفع قشرة الحضارة الهشة الرقيقة جانبا. لذلك يتاح لنا التعرف على «قعر» طبيعة الإنسان من الداخل حتى أعمق الأعماق.

لنترك الآن قاتلة الهرم ونتذكر قاتلة السويس، بعد قيامها بملء الأكياس وإعدادها، سمعت طرقا على الباب، فلم تضطرب، لم تفقد ثباتها، وضعت الأكياس تحت السرير وفتحت لتجد جارتها

فرحبت بها ودعتها لتناول طعام الغداء معها، وأكلت مع جارتها هنيئاً مريئاً بينما أكياس زوجها ترقد على بعد سنتيمترات منها.
وبذلك من خلال دراستنا لتلك الظاهرة، نستطيع أن نقول بيقين أن الأنثى عندما تصل لقرار فإنه لاشىء يثنيها عن تنفيذه وإنها تتمتع بميل غريزى قوى للتنظيم والتقسيم والترتيب والتخزين، وإن جهازها العصبى أقوى من الجهاز العصبى للرجل..وإنها فى مواجهاتها للأزمات والتصرف حيالها تتسم بقدر من الهدوء والانضباط لايتمتع به الرجل.. كلمة أخيرة لزملائى الرجال لا تحتفظ بساطور فى منزلك تخلص من أكياس البلاستيك فى المنزل أولاً بأول لتصعيب مهمة زوجتك..احرص على أن تأتى بحاجياتك فى أكياس ورقية.. عندما تصلى تأكد من أن الباب مغلق عليك من الداخل واحتفظ بالمفتاح فى جيبك الداخلى.لا تقل لها انها دميمة أو انها غير جميلة أو ان هناك من هى أجمل منها، احتفظ بآرائك لنفسك هذه الأمور لا تتحمل الديمقراطية.. أو حرية الرأى..لا تسكن بالقرب من نهر أو ترعة أو بالقرب من أماكن خلوية تصلح لدفن الأكياس.. ولكن ولكى لا نخدع أنفسنا لابد من الإشارة إلى أن كل إجراءات الأمن، لا تمنع وقوع الجريمة، وإن كانت تقلل من إحتمالات وقوعها، وبذلك يكون الضمان الوحيد لعدم الدخول فى الأكياس هو.. ألا تتزوج..

تقدر؟!

تصدير الألم

جاءت جلستهما إلى جوارى فى كافتريا الفندق الكبير، الابنة فى حوالى الخامسة والعشرين من عمرها وأمها فى حوالى الستين، تركتا البوفيه المفتوح بكل ما يحفل من لذائذ وجبة الافطار وطلبتا ساندوتشات جبن بيضاء وعصير برتقال وشايا. لا أهمية لوصف الأم فليس لها دور هام فى حكايتنا مع إنها المسئولة الأولى عن تلك المصيبة التى أنجبتها. الفتاة نحيلة جداً، نحولة القبح وليس نحولة الجمال، متوترة، وضح ذلك من طريقتها فى التدخين وهى تحتسى الشاى، تقاطيعها دقيقة فى غير تناسق، وجهها ممصوص وكأنه مشروع أولى لوجه إنسانى سيتم تشكيله فيما بعد بإضافة المزيد من اللحم والحيوية. نظراتها قلقة بشكل يؤكد أنها لم تعرف الرضا من قبل. قالت للمضيفة: من فضلك.. جاءت المضيفة الرشيقة فى سرعة وهمست فى أدب. أفندم؟

أشارات لها الممصوصة بأصابعها اشارة غير مفهومة فقالت المضيفة: تحت أمرك.

عند ذلك تكلمت الممصوصة . قالت فى ضجر: خلاص ..
خلاص ماذا ؟
ـــ خلاص .. أرفعى الأطباق .
نظرت إليها المضيفة فى عدم فهم ، فقد كانت الساندوتشات كما هى ، لم تمس .
ـــ خلاص .. أكلت .
ـــ الساندوتشات كما هى .
ـــ طعمها ردىء ..
ـــ كيف ؟
ـــ لست أعرف كيف .. هى رديئة .
ـــ هل آتيك بساندوتش من نوع مختلف ؟
ـــ لأ .. لست أريد شيئاً .
ـــ ما هو الشىء الردىء فى الساندوتشات ؟
ـــ لم يعجبنى طعمها .
ـــ لدينا أنواع عديدة من الجبن .. هل آتى لك بـ ..
ـــ لا ..
ـــ لدينا كذا وكذا وكذا .. هل آتى لك بـ .. ؟
ـــ لا .. لا ، لست أريد شيئاً .
قالتها فى استياء .. المضيفة بدأ يستولى عليها إحساس شامل بالعجز والحيرة والخجل ، حوصرت تماما بعد أن فقدت السبيل لإرضاء هذه الزبونة الممصوصة .
هذا هو بالضبط ما تريده الفتاة التى اطلقنا عليها اسم

الممصوصة، أن تشعر المضيفة بحالة حصار، أن تتمتع برؤيتها عاجزة، تائهة، مرتبكة، أو كما نقول، لا تعرف رأسها من قدميها.

خف المشرف على الكافتريا على الفور مسرعا للمائدة، ووقع في الفخ هو الآخر، رفضت الفتاة أن تطلب شيئاً آخر رغم كل توسلاته، كما رفضت أن تفصح بوضوح عن السبب الذى يجعل الساندوتشات رديئة.

إن الفتاة بهذا السلوك حققت لذة خاصة بممارستها ذلك العدوان على الآخرين، واكتسبت شعورا بالأهمية دام للحظات أضيف هو الآخر لمصادر لذتها، لقد اكتسبت فى مواجهة مضيف ومضيفات الكافتيريا موقعاً مرتفعاً يتيح لها اطلاق نيرانها المرضية فيما بعد، وهذا ما حدث بالفعل بعد نصف ساعة. عادت هى وأمها وطلبت قهوة وقال محذرة: بدون وجه.. أريدها قهوة جيدة.. يكفى مقلب الساندوتشات..

هى تستثمر الموقف لحده الأقصى ولا تريد لضحيتها أن تنسى لحظات الألم التى سببتها لها من قبل.

هذا النوع من البشر منتشر جداً فى حياتنا، بشر تحولوا إلى مؤسسات تصدر الألم. فاضت أعماقهم بالشعور بالضآلة، وانعدام الأهمية، فساروا فى الأرض ينصبون فخاخ الألم للآخرين، والغريب فى الأمر إن الضحية لا تنتبه لطبيعة الفخ إلا بعد أن تكون قد وقعت فيه بالفعل.

والشخص من هذا النوع يتمتع بدرجة عالية جدا من الذكاء وغالباً بقدر من الكياسة واللطف، مما يجعلك تفقد حذرك وتنساق مغمض العينين إلى الفخ الذى ينصبه لك وفجأة تجد نفسك مندفعا فى الدفاع عن نفسك فى مواجهة تهم غامضة وغير محددة، مفسرا وشارحا ومبررا لكى تحصل على صك البراءة الذى لن تحصل عليه ابدا. وبعد أن يتأكد أنه قد استمتع بما فيه الكفاية بتعذيبك يطلق سراحك مؤقتاً إلى أن ينصب لك فخاً آخر. ما هو الحل فى مواجهة هذا النوع ؟

الحل يكمن فى تقاليد الفرسان والنبلاء «والچنتلمان»، فهم ليسوا مطالبين بتقديم مذكرة تفسيرية لما يفعلونه، وليسوا مطالبين بالدفاع عن أنفسهم إلا فى ساحة المبارزة، ولذلك فاننى أنصحك بالابتعاد فوراً عن ذِلك النوع من البشر، أما إذا أوقعك فيه سوء الحظ، فعليك أن تقول له بشكل جاد لا هزل فيه: ابعد عني يا جدع أنت.. اطلع من نافوخى..

عند ذلك سيخرج من نافوخك ليبحث عن نافوخ ضحية أخرى.

بلاد الله لخلق الله

ذات صباح، نظرت فى المرآة، فوجدتنى : عجوزاً.

اذهلتنى المفاجأة، وشلت تفكيرى للحظات، متى حدث ذلك؟ بالأمس فقط قبل أن أنام، كنت ــ مع التجاوز الشديد ــ كهلاً فقط، اننى أذكر ذلك جيداً فقد تعودت أن أحلق ذقنى فى المساء.

كيف حدث ذلك؟

لست أتحدث عن الشعر الأبيض، فهو ليس دليلا على الشيخوخة، ولست أتحدث عن الصلع، فهو لا يدخل ضمن الأدلة التى تؤكد حدوث الشيخوخة، حتى الزيادة فى الوزن لا صلة لها بذلك. إننى أتحدث عن أمر آخر هو دليل على الشيخوخة لا يقبل الشك : نظراتى.

كانت نظراتى مجهدة خالية من الأحلام والتحدى والمرح. كما

كانت ملامح وجهي عاقلة وجادة أكثر من الحد المسموح به لكاتب فنان. كانت ــ ويا للكارثة ــ تقترب من الوقار.

جلست أفكر بهدوء محاولا الاستعانة بأكبر قدر من صفاء العقل لكي أتعرف على الأسباب الحقيقية التي أدت لتلك الكارثة، وبدأ يداخلني شعور غريب بأنني ضحية لخدعة متقنة.

لو تصورنا العمر مطعماً كبيرا وتخيلنا الأيام جرسونا فلابد أن هناك بالقطع خطأ في الحساب، استدعيت الجرسون على الفور وسألته: من فضلك.. يخيل إلى أن هناك خطأ في الحساب.

قال لي بأدب: لماذا يا سيدي؟.. ألم نقدم لك طبق الطفولة والصبا والشباب والكهولة؟

فصحت فيه: لا يا سيدي.. هو طبق واحد، «ماكس جريل» اختلطت فيه الطفولة بالصبا بالشباب بالكهولة.

حياتي كانت طبق «تورلي»، لذلك لم تتح لي فرصة تذوق كل طبق على حده، ثم أنت تتكلم عن طبق الطفولة. هذه هي الخدعة، أنا لم أكن طفلا يوما ما.. فقد ولدت ناضجاً بالمعنى السيء للكلمة، لقد قرأت ديستوفسكي وتولستوي في سن العاشرة، وأذكر أنني كنت رجلاً كبيراً في ذلك الوقت.. فهل هذه طفولة؟ لست أذكر أنني امتلكت لعبة يوما ما.. وحتى الآن أنا أحسد هؤلاء الأطفال الذين يلعبون في الشارع، بالطبع لعبت في ما يسمى بالطفولة عدداً من المرات، ولكنها غابت عن ذاكرتي.

عاد الجرسون إلى المطبخ ليراجع الفاتورة ثم عاد مبتسماً: لقد شطبنا طبق الطفولة من الفاتورة.. من حقك الآن أن تطلب طبق طفولة آخر.. طبق حلو.. على حساب صاحب المحل.

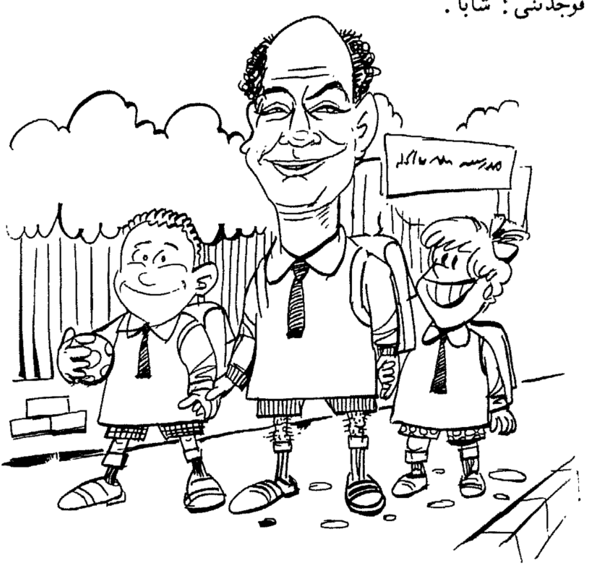
الطفولة هى أجمل ما فى العمر، وهى لازمة للفنان، إذا فقدها فهو يفقد معها فنه. هى مرحلة السؤال والتساؤل، والتشكل والتشكيل، فى كل لحظة نحن نتطلع حولنا من أجل المزيد من المعرفة، ومع كل معرفة نكتسبها نحن نلتصق أكثر بالحياة ونكون معها جسماً واحداً. جميلاً وعادلاً وحقيقياً.

الطفولة هى أن «نفعل» ما «نريد» لا ما يريده منا الآخرون عند ذلك نشعر بحلاوة الحياة. وإذا كانت سنة الحياة هى أن نفارق، أن نفارق اللحظة والدقيقة والساعة واليوم إلى أن تأتى لحظة نزول الستار فنفارق مبنى المسرح، أقصد نفارق الحياة نفسها، إذا كان الأمر كذلك وكانت الحياة سلسلة من حلقات الوداع، فإنه من الخطأ الشديد أن نتوقف عن الفرحة، ولما كانت الفرحة مقترنة دائمة بالمعرفة وبالإنجاز لذلك يكون من البلادة بل ومن القبح أيضاً أن نتوقف عن المعرفة، عند ذلك ستحدث لنا الشيخوخة فى عز الصبا.

فى الحواديت القديمة، نجد البطل أحيانا يتوقف فجأة فى مرحلة من حياته، ثم يقرر أن يترك أهله وماضيه وحاضره وأن يقفز إلى المجهول، أن يمشى «بلاد الله لخلق الله» أحسست أن هذا هو بالضبط ما يجب أن أفعله لكى أهرب من الشيخوخة، أن أمشى بلاد الله، لخلق الله..

هو أمر مؤلم جداً أن يترك المرء أهله وأصدقاءه والأماكن التى يحبها لفترة قد تطول ولكن الأكثر إيلاما أن يستسلم لواقع يدفع بالصدأ «والباروما» فى كل ماكينات ابداعه، إننى فى مرحلة من العمر يمكن تشبيهها بأحداث الفصل الثالث، فى أى لحظة ستنزل الستار، هذا أمر محتم، ولكن عندما تنزل الستار لابد أن يكون البطل فى حالة فعل نبيل وعظيم ومفرح، عند ذلك سيكون لنزولها قيمة، وإلا تحولت المسرحية كلها إلى سخافة لامعنى لها.

عندما وصلت فى التفكير إلى هذا الحد، عدت للنظر فى المرآة فوجدتنى: شاباً.



التكنولوچيا مارد العصر

تماما كما كان يحدث في الحواديت القديمة ، عثر الرجل على مصباح علاء الدين . ذلك المصباح الشهير الذى يخدمه أحد المردة الطيبين ، ومسح الرجل بسعادة بكفه على جانب المصباح ، عند ذلك جاء المارد على الفور ، لعله قطع فى رحلته المجهدة ملايين ملايين الأميال آتيا من مكان ما فى ذلك الكون الذى لا نهاية له ، أو لعله كان يرقد فى أعمق الأعماق فى البحر ، المهم أنه جاء .

انحنى المارد أمام الرجل فى خضوع وقال شبيك لبيك ، عبدك وبين يديك . ماذا تطلب .. أننى مكلف بأن أحقق لك ثلاث رغبات ..

استولت المفاجأة على الرجل ونظر بذهول ورهبة إلى المارد الماثل أمامه ثم هرش فى رأسه مفكراً ، لابد من الاستفادة من هذا الموقف إلى أقصى حد ، وبعد لحظات صمت طويلة أعلن رغبته الأولى : « ساندوتش شاورمة » .

صدم المارد من هذا الطلب المفاجيء الغريب، ولكنه جاء بالمطلوب: ساندوتش شاورمة ساخن لذيذ، لعل بشرياً لم يأكل مثله من قبل.

ثم أعلن الرجل بعد أن هرش فى رأسه مفكراً، رغبته الثانية: شوية طرشى، وكتر الفلفل.

بدأ المارد يشعر بالاهانة من هذه الرغبات التى تحتقر امكانياته الهائلة، ولكنه استجاب لطلب الرجل واحضر له «طبق طرشى» يحوى أنواعاً من المخللات لا نعتقد أن مائدة عرفتها من قبل. بعد ذلك وقف المارد منتظرا رغبة الرجل الثالثة والأخيرة. محاولا قدر استطاعته أن يخفى احساسه بالاحتقار، وبعد أن هرش الرجل فى رأسه مفكرا أعلن بحماس رغبته الأخيرة:

قطعة بقلاوة.

وبكل ما يشعر به المارد من خيبة أمل. جاءه بقطعة البقلاوة التى كانت والحق يقال، حلاوتها تفوق حلاوة أى شيء آخر على وجه الأرض.

ماذا حدث بعد ذلك.. فى الغالب، تضاءل المارد من القهر والغم والنكد إلى أن أصبح كائنا صغيرا جدا وحبس نفسه فى المصباح، ومن المؤكد إنه لم يعد يخرج ملبيا رغبات البشر. حتى ولا فى الأحلام، حتى ولا فى الحواديت القديمة أو المعاصرة.

ما رأيك فى ذلك الرجل؟ هل تعتقد أن له وجودا؟

الإجابة : نعم .

فقد قرأت فى الصفحات الأولى فى بعض الجرائد اليومية عن مستشفى حديث كبير، ولقد حرص الخبر المنشور على أن يزف للقارىء بشرى أن غرف العمليات سوف تكون على هيئة قوقعة ، أما المريض ، فسوف ينقل من غرفة العمليات إلى غرفته «بالريموت كونترول» كما لو كنا نشكو من قلة البشر القادرين على دفع «الترولل» الذى يرقد عليه المريض إلى غرفته بكل الحرص اللازم ، لتكن غرفة العمليات على هيئة قوقعة أو حتى على هيئة «كابوريا» فليس هذا هو المهم وإن كان يكشف غرامنا واهتمامنا بالشكل دون الجوهر. أما حكاية الريموت كونترول الذى سنستخدمه فى تحريك «الترولل» الذى يرقد عليه المريض فهو أمر مفزع حقاً ، هل هى كثرة فلوس ، أم كثرة ديون ، أم قلة فهم ؟

لكل عصر ولكل مكان ولكل ظروف التكنولوچيا الخاصة بها ، والتى يجب أن تستغل فيما اخترعت من أجله ، وإلا كنا نهين أعظم انجازات العقل البشرى . لا يجب أن نطارد الفئران بالمدرعات ، كما لا يجب أن نصطاد البط بمدفعية الميدان ..

ترى ، ماذا يحدث للمريض عندما يصاب جهاز الريموت كنترول بعطل ما .. أو عندما يخطىء بعض العاملين عليه ؟

أراهن أن المريض لن يصل لغرفته مطلقا ، سوف يتمشى بين كل ممرات المستشفى ، مصطدما ببقية المرضى والأطباء والممرضين

والزوار، مصطدما بالجدران ، مخترقا كل العنابر، داخلا إلى المطبخ ، خارجاً منه ، داخلا الأسانسير، هابطا للدور الأرضى ، خارجا من المستشفى إلى الشارع ، وسوف نكون محظوظين فى النهاية إذا استطعنا العثور عليه وهو يسابق السيارات فوق كوبرى اكتوبر.. !



الكحـــل

لست أعرف بالضبط هل رأيت كل مارأيت فيما يرى النائم، أو فيما يرى الصاحى ؟! المهم أننى رأيته ، إزداد توترى فى الفترة الأخيرة ، قلت ساعات نومى وبدأت أرى أشياء لايراها الآخرون. فبدأت أشعر بالقلق ، ولكى لاينتهى الأمر بى إلى الانهيار العصبى أو ماهو أفظع . رأيت أن أعرض نفسى على طبيب نفسى صديق .. استمع الطبيب إلى شكواى ثم سألنى : هل المشكلة هى إنك ترى أشياء لايراها الآخرون ؟ أم هى إنك تراها بشكل مختلف ؟ وهل يريحك أن تراها مثلما يرونها بالضبط ؟ أم أنك تريد منهم أن يروها مثلما تراها أنت ؟

شعرت بالحيرة وسكت للحظات ثم أجبته أننى حقيقة لست أعرف الإجابة على سؤاله .

حدق الطبيب فى عينى طويلا ثم سألنى فجأة : ألا تستخدم الكحل ؟

أجبته فى دهشة : الكحل يا سيدى الطبيب ؟ .. وهل الرجال يستخدمون الكحل ؟ .. النساء فقط هن اللاتى يستخدمنه .

ضحك الطبيب طويلا ثم قال لى بود وكأنه يشرح لطفل صغير: أنت تتحدث عن الأزمنة القديمة ، عندما كانت النساء تستخدمن الكحل لتجميل أعينهن ، أما الآن فالناس كلهم يتكحلون .

صحت فى دهشة : لم ألاحظ ذلك .

قال : ذلك لأن الكحل الآن لم يعد أسود .. هو كحل عديم اللون ولم تعد وظيفته تجميل العينين .. بل مساعدة العينين على أن ترى الأشياء بالضبط كما يراها الآخرون .. ستظل ترى الأشياء بشكل مختلف ما دمت لا تتكحل .. هذا هو سر توترك وقلقك النفسى .

أزعجتنى فكرة وضع الكحل فى عينى حتى لو كان عديم اللون .. قلت له ذلك فأجابنى : من الأفضل أن تنزعج عدة دقائق فى الصباح بدلاً من أن تفقد عقلك طول اليوم .. أعدك بأن الكحل سيساعدك على أن ترى كل الأشياء كما يراها الآخرون بالضبط .. المقالات .. الأدب .. الأفلام .. المسرحيات .. السلوك العام .. القيم السائدة .. الأفكار السائدة .. برامج التليفزيون .. الاذاعة .. الشوارع .. المرور .. المبانى .. ستصبح جزءاً من الكل ، واحداً من المجموع ، فرداً فى الطابور، عند ذلك لا يضايقك شىء ويزول توترك وتستعيد توازنك النفسى .

قلت : ولكننى لا أحب الكحل يا سيدى الطبيب ، ولا القطرة ، وعينى حساسة جداً للصابون وللضوء الشديد وللمناظر الكريهة .

فقال بنفاد صبر: اسمع ، لا تحاول الافلات أو الخروج عن القاعدة ، القاعدة هى .. اللى عاجبه الكحل يتكحل ، واللى مش عاجبه يرحل .

قال ذلك وفتح صندوق الصيدلية الصغيرة المعلقة على الحائط ، كانت ممتلئة بكل أنواع المكاحل بشكلها التراثى الجميل ذى الزخرفة العربية الأصيلة ، كان بعضها مصنوعاً من النحاس والفضة والبعض الآخر من الذهب المرصع بالماس والعقيق ، أخرج المكاحل وأخذ يرصها على المكتب .

أنت تقول يا سيدى الطبيب إن اللى عاجبه الكحل يتكحل ، واللى مش عاجبه يرحل . وتقول إنها القاعدة ، تقصد إنها القاعدة فى عيادتك ؟ .. أفهم من ذلك إنك تخيرنى بين أن أضع الكحل أو أغادر العيادة .

ابتسم الطبيب فى إشفاق وقال : استغفر الله .. كيف تظن بى مثل هذا الظن ؟ .. هذه هى القاعدة فى الحياة .. فى الدنيا .. فى التاريخ .. فى الجغرافيا .. وفى عيادتى أيضاً بالطبع .

قلت له فى تحد : يعنى أنت لا تريدنى أن اتكحل فقط..أنت تريدنى أن أعجب به ، أن أسعد به .. أن أتحمس له .

قال : صدقنى أنا لا أريد منك شيئاً ، أنا أذكر لك القاعدة ..

لكى تكون على بينه من أمرك .. ولكى تختار بكامل حريتك ..

قلت : ياصديقى الطبيب .. لقد ابتعد بنا الحديث عن السؤال .. السؤال هو .. هل ما أراه حقيقى .. أم هو غير حقيقى .. ؟

أجاب : من وجهة نظر الصحة النفسية ، ليس هناك شىء حقيقى وآخر غير حقيقى ، كما أنه لا أهمية من الناحية العملية للعثور على اجابة لهذا السؤال .. كما أن الاجابة تخرج عن اختصاصى .. إن عملى هو إعادة التوازن النفسى إليك الأمر الذى لن يحدث إلا بعد أن تتكحل . أؤكد إنك ستشعر براحة كبيرة بعدها ..

و .. ووضع لى الطبيب الكحل ، ولكننى لم أشعر بالراحة . أحمرت عيناى وبدأت أشعر فيهما بحرقان شديد ، ثم بدأتا تدمعان ، غسلت عينى ، ثم جربت نوعا آخر ، ثم نوعا آخر ، جربت مجموعته كلها .. ولم تعجبنى .. درت على كل الصيدليات .. طلبت من أصدقائى فى العواصم العربية والأوربية أن يرسلوا لى بأحدث ما أخرجته معامل الكحل فى العالم .. ولكنها لم توافقنى ، آلمتنى ، لم تعجبنى ..

وبدأت أشعر بالحزن ، لأننى أعرف القاعدة واعرف إنها بالرغم من بساطتها ووضوحها إلا أنها أيضاً قاسية .. اللى عاجبه الكحل يتكحل ، واللى مش عاجبه يرحل .

الحــق والــزور

الحكايات الشعبية لا تصنعها الشعوب وتطلقها عبر الزمن بهدف التسلية والمتعة. وإنما بهدف التعليم والتوعية بحقائق الحياة المعاشة، والأحكام التى تطلقها الحكاية الشعبية أحكام صارمة، قاسية، أبدية، ولا تقبل النقض، وهى أيضا أحكام صحيحة استمدت صحتها عبر آلاف السنين من الأحداث والتجارب الإنسانية.لذلك تهتم مراكز الأبحاث السياسية بجمع هذه الحكايات وتحليلها لاستخلاص ما فيها من ملامح أساسية تساعد على معرفة أسلوب التفكير عند شعب معين، وبالتالى معرفة ردود أفعاله فى مواجهة الأحداث السياسية المعاصرة، والحكاية الشعبية الأصيلة، قصيرة، مكثفة، عذبة، موحية، تحمل أطناناً من الحكمة والفن والمعرفة، ولنقرأ معاً الحكاية الشعبية التالية:

سار الحق والزور معاً، سارا طويلا، قطعاً الوديان والوهاد والجبال. عبرا الصحراء.سارا على ضفاف الأنهار، وعندما أحسا بالتعب، التفت الزور إلى الحق وقال له:

ـ ياعزيزى الحق .. أكاد أموت من التعب ، تسمح لى أركبك .

وانتفض الحق غاضباً :

ـ ماذا ؟ .. تركبنى ؟ الزور يركب الحق ؟ إذا كان لابد أن يركب أحدنا الآخر، فليكن أنا هو الذى يركب .. لأن الحق هو الأعلى .. والزور هو الأسفل .. أنت الذى يجب أن تسمح لى أن أركبك فقال الزور بهدوء دون أن يفقد عذوبته :

ـ ها قد اختلفنا .. وسنختلف إلى الأبد .. أنت ترى أن الحق يجب أن يركب .. وأنا أرى أن الزور هو الجدير بالركوب .. ولدى كل منا أسبابه الوجيهة .. لماذا لانسأل الناس ؟ أنا راض بحكم الناس لنطرح عليهم قضيتنا .

ابتهج الحق لأنه يعلم أن الناس دائماً فى صفه ، وإنه دائما فى صفهم . فسألا الناس فى الحقول والسهول والوديان . فى الصحراوات والجبال ، فى القرى وفى المدن :

ـ ياناس .. لقد تعبنا من السير معا .. ولابد أن يركب احدنا الآخر من الذى يركب .. الحق .. أم الزور؟

فصاحت الناس جميعا فى نفس واحد : الحق هو اللى يركب .

وركب الحق ، ولكن يبدو أن المسألة لم تنته عند هذا الحد ، فالحكاية الشعبية تنهى نفسها معلقة فى مرارة : **« ومن يومها ، الحق راكب ، لكن الزور هو اللى ماشى »** .



العفريت والإنسان

اجتمع مجلس إدارة العفاريت الزرق اجتماعا عفاريتيا ملتهبا صاخبا، تحيطه الصرخات وألسنة اللهب، وذلك لمناقشة قضية خطيرة: لماذا، ونحن بهذه القوة والعفرتة، لا نحقق شيئاً، بينما الإنسان البسيط الضعيف المادىء يحقق كل شىء. وفشلوا فى الوصول إلى اجابة، ولكنهم فى نهاية الاجتماع اتخذوا قراراً بإرسال مندوب عنهم لمعاشرة الإنسان والتعرف عليه، ودراسته عن قرب، واختاروا لذلك أكثر العفاريت عفرتة وتشددا وصرامة، وأرسلوه إلى الأرض.

فى خصه الصغير الذى أقامه وسط الحقول، فوجىء الفلاح العجوز الذى كان يتناول شايه الأسود الثقيل بالسماء ترعد والرياح تزمجر والبرق والصواعق تتوالى منذرة بليلة ممطرة قاسية، ولكنه ظل يرتشف شايه فى هدوء. ووصل العفريت أخيراً صائحا صيحة اهتز لها الحقل وكادت أن تقتلع الخص من مكانه، ولم يهتز الفلاح،

فصاح مرة أخرى : ها .. ها .. أنا العفريت .. فرد الفلاح : أهلاً وسهلاً .. أهلاً ياعفريت .. اتفضل استرح .. لماذا لم ترسل لنا قبل قدومك لكى نستقبلك على المحطة .. أهلاً اتفضل استرح .

صاح العفريت مستنكراً : يالك من انسان غبى .. أقول لك أنا العفريت ، فتقول لى استرح .

ـ هذا ما يحتمه واجب الضيافة ياعفريتى الصغير، وبما انك عفريت ، فلابد أن تكون قد أتيت من مكان بعيد .. اتفضل . استرح .

ـ لن استريح ، ولن أضيع الوقت .. جئت لأعرف .. لماذا تتمتع أنت بالحياة وتحصل على كل شىء بينما لا أحصل أنا على أى شىء بالرغم من أننى عفريت ..

ـ الاجابة بسيطة .. مايميزنى عنك هو « العمل » .. أنا أعمل ، أزرع ، لذلك أحصد .وأنت لا تزرع شيئاً وبالتالى لا تحصد شيئاً .. باختصار .. أنت عفريت فقط .

ـ حسنا .. أريد أن أعمل .. ها .. ها .. ها .. ها ..

ـ أوافق .. ستعمل معى وتحت اشرافى .. فقط أنصحك أن تكف عن اصدار صيحاتك العفاريتى المزعجة .. إنها لا تخيف أحداً ، هى فقط تزعج حيوانات الحقل وطيوره ..

ووافق العفريت ..

وتمت الصفقة.. وافق الفلاح على أن يشاركه العفريت فى زراعة الأرض قمحاً على أن يقتسما المحصول فى النهاية.. وقام العفريت بالعمل وحده تقريبا. تقليب الأرض، تخطيطها، إلقاء البذور، الرى، الحراسة طوال اليوم، وفى النهاية صح المحصول ونضج القمح، غطت سنابل القمح كل الأرض كما لو كانت قد اكتست ذهبا. قمح من أجود الأنواع بالطبع. وجاءت لحظة «التفاوض» على التقسيم. سأله الفلاح بهدوء: والآن ياعفريتى العزيز.. هل تختار الربع الأعلى أو تفضل الثلاثة أرباع السفلى؟

وبما أن العفريت يريد الحصول على الجانب الأكبر من الصفقة باعتباره عفريتاً لذلك اختار أن يحصل على الثلاثة أرباع السفلى ويترك الربع الأعلى للفلاح.

وبذلك حصل الفلاح على القمح وحصل العفريت على التبن، باع الفلاح محصوله بينما وقف العفريت عاجزاً عن بيع التبن الذى لا أهمية له، وتعلم العفريت الدرس الأول.. أن الأجزاء السفلى فى النبات لا أهمية لها مهما بلغ طولها. ولكنه قرر أن يجرب مرة أخرى بعد أن استوعب الدرس. اشترك مع الفلاح فى زراعة محصول ضخم جداً من الجزر واللفت. وبعد أن نضج المحصول جلسا للتفاوض على التقسيم سأله الفلاح: والآن ياشريكى العفريت.. هل تختار الربع الأعلى أم تختار الثلاثة أرباع السفلى. عند ذلك صاح العفريت: لن تخدعنى مرتين. إننى أختار الربع الأعلى. مرة أخرى حصل الفلاح على ثمار اللفت وحصل

العفريت على الأوراق الخضراء التى لا أهمية لها. بكى العفريت من العجز والجهل.

لقد اكتشف أنه سيكون الخاسر دائما مع هذا الفلاح الواعى. ولذلك قرر الانسحاب والعودة إلى عالمه. وودعه الفلاح بابتسامة حانية وهو يقول: ليس مهما أن تكون عفريتا.. المهم أن تفهم طبيعة الأشياء التى تنوى الحصول عليها.. صحيح العمل أمر هام جداً.. ويميزنى عنك.. ولكن أخطر ما فى العمل، هو فهمنا لطبيعة النتائج المترتبة عليه.. مع السلامة ياعفريت.. تحياتى لأصدقائك..!



الفكر والهدهد

لم تقل لنا الحدوتة الشعبية السبب الذى من أجله غضب النبى سليمان عليه السلام على الهدهد غضبة كبرى. من المرجح أنه ارتكب حماقة بدافع من طيشه واعجابه بنفسه نظراً لتكوينه الرشيق الجميل. المهم أن النبى سليمان قرر أن ينزل به عقاباً رهيباً. لذلك استدعاه وقال له: لم تفلح معك محاولاتى لكى تسلك سلوكاً أرضى عنه، لذلك قررت أن أعاقبك هذه المرة بشكل رهيب.. سوف أرسل لك الفكر.. ولن يجديك نفعاً أن تهرب إلى أى مكان.. لن تستطيع الاختباء من الفكر.. ولن تستطيع النجاة منه. سوف يعرف طريقه إليك، عند ذلك، سيفعل بك كل ما هو مفزع، ويعذبك عذابا رهيباً.. اهرب فوق السحاب.. أو اذهب إلى آخر الأرض.. أو اختبىء فى أعمق أعماق الغابة.. أو قف على أعلى سارية مركب تبحر عباب المحيط.. أو ابحث عن مغارة بعيدة فى الصحراء.. كل ذلك لن يحميك من الفكر.. أؤكد لك إنه سيعرف طريقه إليك.

شعر الهدهد بالاضطراب، فلم يكن قد سمع بهذا الاسم من قبل .. (الفكر) ..

عند ذلك قال: سيدى .. ما هو الفكر؟

فأجابه: ستعرف عندما يصل إليك .. لا داعى لأن تعرف الآن.

خرج الهدهد مرتبكا مشتت العقل. وفى الغابة سأل زملاءه الطيور.. ما هو الفكر.. ؟

نظرت الطيور إليه صامتة فى إشفاق ورفضت الإجابة ثم طارت بعيدة عنه. استولى القلق على الهدهد وأخذ (يفكر) فى اضطراب وقلق .. ما هو الفكر؟ .. هل هو حيوان مفترس من حيوانات الغابة؟ حسنا، سأطير عاليا فى السماء فلا يستطيع الوصول إلى.من المؤكد إنه ليس من حيوانات الغابة المعروفة، وإلا لكنت قد سمعت باسمه من قبل، هل هو وحش بحرى لديه القدرة على الطيران؟ .. أو هو نوع من أنواع النسور المفترسة؟ .. وماذا سيفعل بالضبط؟ .. هل سيمزقنى بأسنانه؟ .. هل سيأكل جناحى وبذلك يقعدنى عن الطيران؟ .. أم إنه سيكتفى بنزع ريشى الجميل فأغدو قبيحاً مرفوضاً بين الطيور!

أسلمه «التفكير» فى الفكر إلى حالة نفسية وعصبية أصابته بالضعف والهزال وأفقدته القدرة على الطيران.

بدأ ريشه الجميل يتساقط. أصبح أشبه بالكتكوت المريض.

نفرت منه كل طيور الغابة الجميلة. عند ذلك حزم أمره وذهب زاحفاً إلى النبى سليمان عليه السلام ثم قال له فى ضعف وهو ينتزع الكلمات بصعوبة: سيدى.. لقد انتظرت (الفكر) طويلا.. لماذا لم ترسله لى؟.

فرد عليه النبى سليمان بابتسامة حانية: لقد أرسلته إليك.. كل ما تعانيه الآن سببه الفكر..

وحتى الآن، عندما تسأل فى القرية المصرية عن أحوال شخص ما، الإجابة أحيانا هى: تعبان شويه، أصل عنده فكر..

الحب أيضاً فى الحدوتة الشعبية، يعتبر مصدراً للهم والفكر، مصدراً للألم. والحدوتة الشعبية هنا لا تحذرنا بالطبع من عملية التفكير نفسها، فمن البديهى أن مؤلفها يتمتع بقدرة هائلة على التفكير الراقى، ولكن هدف الحدوتة الوحيد ــ كما أراه ــ هو أن تضع فى أيدينا وسيلة حقيقية وملموسة نكشف بها خصائص عملية التفكير نفسها والعناصر المرتبطة بها والمتزامنة معها، وهى الهم والإهتمام..الحدوتة تقول: أن تكون مفكرا ومهتما بشىء، فهذا يعنى إنك مهموم به، متألم بسببه، وإذا لم نكتشف ذلك فيك، فأنت ــ ولا مؤاخذة ــ نصاب، مهما كانت بلاغتك، ومهما كان حماسك، ومهما كانت صحة الأرقام التى تدلى بها أو الحجج التى تسوقها.

الدليل الوحيد على عملية التفكير داخل العقل البشرى. هو الألم، وليس معنى ذلك أن على من يفكر فى شىء أن يصرخ متوجعاً: آه..!

ولكن على الأقل أن ينعكس ذلك الألم أو ذلك الهم على نظراته ونبرات صوته . وهو ألم طبيعى ، مصحوب بقلق صحى ، من أجل الوصول للذة الحل ... حل أى مشكلة .



القيمة والتقييم

من على فراش المرض، استدعى الفلاح العجوز ابنه الشاب الصغير وبصوت واهن قال له: اخلع هذا الخاتم من اصبعى.

ــ لماذا؟

ــ أريدك أن تعرضه على الخواجا جورج الصائغ الذى يأتى بصفة دائمة إلى سوق القرية يوم الجمعة.

ــ هل أبيعه؟

ــ لا.. أريدك فقط أن تقوم بتثمينه.. اعرف لى ثمنه.

ونفذ الابن رغبة الأب، عرض الخاتم على الصائغ المتجول فقال له: خمسة جنيهات.

فلما أبلغ الأب قال له وهو يتنفس بصعوبة: أريدك أن تذهب به إلى المدينة، هناك فى مواجهة محطة القطارات، ستجد دكاناً صغيراً يتاجر فى المصوغات، أريدك أن تعرض عليه الخاتم وتعرف لى كم يدفع ثمناً له.

ركب الشاب حماره وقطع حوالى عشرين كيلو متراً فى الذهاب ومثلها فى الإياب وعاد ليقول : ستة جنيهات .

عند ذلك صمت الأب قليلاً ثم قال : غدا صباحاً تركب الأتوبيس إلى عاصمة المحافظة .. أريدك أن تطوف بالخاتم على كل محلات الصاغة .. لابد أن نعرف كم يبلغ ثمنه هناك ؟ .

ــ هل أبيعه لأعلى سعر ؟

ــ لأ .. أعرف لى قيمته فقط .

نفذ الأبن رغبة الأب وهو يشعر بالدهشة والضيق ، غير أنه كان متعوداً على تنفيذ رغبة أبيه باحترام كبير، قضى النهار كله فى عاصمة المحافظة وعاد فى المساء بآخر أتوبيس ليقول : أعلى سعر له هو ثمانية جنيهات ..

فقال الأب وهو ينتزع كلماته بصعوبة : غداً فى الفجر، تركب القطار إلى القاهرة ، تنزل فى باب الحديد ، تركب الترام إلى العتبة ، ومن العتبة تذهب ماشيا إلى الموسكى وتسأل عن حى الصاغة ، هناك عشرات المحلات التى تبيع وتشترى الذهب ، لا تجهد نفسك اعرضه على عشر تجار فقط .

فقال الابن الشاب : ولكن يا أبى .. لقد أنفقت حتى الآن فى المواصلات ما يكاد يماثل ثمن الخاتم .

فقال الأب : أعرف ذلك .. ولكن نفذ ما أقول .

ذهب الشاب إلى القاهرة فى الفجر وعاد فى المساء وهو يكاد يموت من التعب. قال: قالوا أن ثمنه تسعة جنيهات.

فقال الأب هامساً: أعرف أننى أضايقك ولكنها رغبتى الأخيرة، مرة أخرى ستعود القاهرة غدا صباحاً.. هناك صائغ معين فى شارع عبد الخالق ثروت، هو يتعامل مع علية القوم وأفراد الأسر العريقة، أذهب إليه وأعرض عليه الخاتم..

ــ هل سأبيعه له؟

ــ لا... أعرف لى ثمنه فقط.

فى أدب ولكن فى غيظ نفذ الابن رغبة الأب وعاد فى المساء ليقول مندهشاً: قال مائة جنيه.. تصور!

فقال الأب: مائة جنيه هى قيمته الحقيقية والفعلية والواقعية.

عند ذلك قال الابن وقد فشل فى إخفاء غضبه: لماذا إذن ارسلتنى فى هذه الجولة المهلكة لكى تعرف شيئاً أنت تعرفه بالفعل من قبل..؟

عند ذلك قال الفلاح العجوز الذى علمته الحياة طوال آلاف السنين مالم تعلمه لأحد من البشر من قبل. قال: لقد تعمدت ذلك لكى أعلمك درساً هاماً فى هذه الدنيا.. لا تذهب إلا لهؤلاء الذين يعرفون قيمتك..!

قال ذلك ومات.


الصبر
مفتاح الفرج

السندبادان

حديقتى هى الدنيا بأسـرها ، طويلة مثل الألم ، عريضة بعرض الأمل ، فى ركن هام من حديقتى تنبت أشجار الحواديت القديمة ، أستظل بها ، وأقطف منها الحكمة والقدرة على فهم الحياة فهما أشمل ، فالحواديت لم تخلق للتسلية فقط بل هى رسائل حب وعلم بعث بها الأجداد من الماضى السحيق عبر الحاضر، لتصل وتسلم إلى المستقبل لتشكيله على نحو أفضل .

من أهم الحواديت الشعبية فى التراث العربى ، حكاية السندباد البحرى وأسفاره وما جرى له من أهوال وما حصل عليه من لذائذ ومتع . تبدأ الحدوتة بالسندباد البرى وهو حمال مسكين يستأجره الناس ليحمل على ظهره ورأسه أحمالهم . تبدأ به وهو يسير لاهثا بحمولته فى يوم قائظ الحر، إلى أن يجد مصطبة بجوار أحد البيوت على ناصية تهب عليها نسائم رطبة ، عند ذلك يضع حمولته ويجلس على المصطبة ليستمتع بقليل من الراحة . عند ذلك تصل

إلى أسماعه موسيقى جميلة وأغان تنبعث من داخل المنزل، وتكتمل متعته عندما يدعوه صاحب المنزل للدخول، ثم يفاجأ بأن صاحب المنزل الذى تصدح فى أرجائه الموسيقى ويفيض بالطعام والشراب والمتعة، اسمه أيضاً السندباد..

نحن الآن أمام سندبادين.. الأول (برى) حمال فقير مجهد، يحلم بلحظات من الراحة ونسمة هواء يجفف بها عرقه، ويسعده أن يعطف عليه الناس بالطعام والشراب لكى يتمكن من مواصلة سيره بأحماله.

والثانى (بحرى) صاحب الأسفار الطويلة الخطرة والتجارب المهلكة وصاحب المتع واللذائذ أيضاً. الرجل الذى عانق الخطر فى أكثر أشكاله هولاً فى رحلاته السبع.

ويبدأ السندباد البحرى فى قص حكايات أسفاره على السندباد البرى المندهش المسكين الذى لم يغادر بغداد طوال حياته، وفى النهاية، بعد سبعة أيام من المغامرات (السماعى) يعطيه قليلاً من المال ويقول له: مع السلامة، عد مرة أخرى لما كنت فيه، حمالا يحمل أثقال البشر، يسير بها فى الطرقات والشوارع فى لهيب الصيف وبرد الشتاء، لا تتخطى أحلامك بضعة لحظات من الراحة تلتقط فيها أنفاسك.

والسؤال الذى حيرنى كثيراً، لماذا أعطت الحدوتة اسماً واحداً لبطليها؟ لماذا لم تسم البرى عم أحمد الشيال مثلاً؟

هناك مثل شعبى يقول «البحر واحد، بس السمك ألوان» هل فى هذا المثل الإجابة على السؤال نعم، كلنا السندباد، ولكن السندبادية ألوان، أو بالتحديد هناك لونان فقط للبشر، فأما أن تكون سندباداً بحرياً أو تكون سندباداً برياً.

فأى السندبادين أنت؟ البحرى أم البرى؟

هل تتوق إلى التغيير والمغامرة، هل يعذبك المكان ويدفعك لأن تحلم بمشاهدة الأماكن البعيدة والتعرف على أحوال أهلها؟ الحدوتة تقول لك أنه لا استمتاع بالحياة إلا بمواجهة الخطر فإما أن يقضى عليك وإما أن تقضى عليه.

أم إنك أنت السندباد الحمال، تحمل على كتفيك أحمال مهنتك ووظيفتك وأولادك وزوجتك وأقاربك وأصدقائك وجيرانك وهمّ أول الشهر وفواتير التليفون والكهرباء والغاز واشتراك النادى ومصاريف الدراسة والدروس الخصوصية والطعام والشراب والميكانيكى والكهربائى ورخصة السيارة والمخالفات والديون والضرائب وهؤلاء الذين يكرهونك بلا سبب واضح لك والذين يعطلونك دون فائدة تعود عليهم، والضعفاء الذين يلعنون ينابيع قوتك والأقوياء الذين منحهم الله سبحانه وتعالى القوة فاستغلوها لفرض التخلف والقبح علينا؟!! جبل من الأحمال، بل سلسلة جبال، يتضاءل إلى جوارها جبل المغناطيس الذى سحب المسامير والأجزاء الحديدية من مركب السندباد البحرى، فتحولت لقطع من الأخشاب العائمة.

كان السندباد البرى يحمل أثقاله من مكان إلى مكان، أما السندباد العصرى الذى هو أنت وأنا..فهو يحمل أثقاله ولا يضعها أبداً، ينام ويستيقظ بها إلى أن يقضى الله أمراً كان مفعولاً..

ولكن هناك نقطة هامة فى الحدوتة، أنبهك إليها قبل أن تسارع وتقول: أريد أن أكون سندباداً بحرياً. من الواضح أن أصحاب السندباد البحرى وأصدقاءه وخلانه قد انفضوا عنه بعد أن ملوا سماع حكايات أسفاره. وعند ذلك بدأ رحلة البحث عن (سمّيعة) بالأجر ليعذبهم بحكاياته، فقد انتهز فرصة وجود ذلك الحمال المسكين بالقرب من منزله ليدعوه للداخل ليمارس عليه ساديته. على طريقة: ستأكل وتشرب وتستمتع، ومقابل ذلك ستسمعنى لكى أتمتع برؤيتك مندهشاً ومنبهراً ومنسحقاً.

لقد كان من الممكن أن يتحولا لصديقين، أو لصاحبين، أو حتى يتخذ منه نديماً، أو يلحقه بالعمل عنده فى بيته الكبير، ولكنه تخلص منه بعد سبعة أيام، بمجرد أن انتهى من حكاية أسفاره.

لقد تحول السندباد البحرى إلى وغد برى بعد أن كف عن المغامرة، توقف عن الاستمتاع بالفعل، فبدأ مرحلة الاستمتاع بالكلام!

المقلب

في إحدى رحلات السندباد، طاب له المقام في إحدى مقاطعات الهند، أحبه المهراجا فقرَّبــه إليه وزوجه من حسناء لطيفة، باهرة الجمال طاغية الأنوثة، كريمة الخلق، ثرية، صاحبة ضياع وقصور ومزارع ولآلىء ومجوهرات و.. و.. الخ.

عاش السندباد عدة شهور فوق سحابة من النعيم، وذات يوم توفيت زوجة صديق له فذهب ليعزيه، فوجده في حالة حزن مروع، يكاد يسلمه لحالة من الهستريا الجنونية، عند ذلك قال له مهدئا ومواسيا:

إهدأ ياعزيزي، إن شاء الله.. ربنا سبحانه وتعالى سوف يرزقك بغيرها.. وقد تكون أكثر من المرحومة جمالا وحنانا، عند ذلك يتحول ذلك الألم الذي تشعر به الآن إلى ذكريات بعيدة منسية، وتسعد بزوجتك الجديدة وتسعد بك.

عند ذلك أخذ الرجل يلطم وجهه بيديه ويقول : متى .. متى ؟ وهل سيمتد بى العمر لذلك ؟

عند ذلك قال السندباد بحماس : لا تكفر يا رجل .. رحمة الله واسعة .

فضرب الرجل رأسه بالحائط وقال متوجعاً : أنت غريب لا تعرف عاداتنا وقوانيننا هنا .. القانون هنا يحتم على الرجل أن يدفن حياً إذا ماتت زوجته .. ويحتم على الزوجة أن تدفن حية إذا مات زوجها !

صاح السندباد مفزوعا : ماذا ؟ .. ماذا تقول ؟ .. لماذا ؟

فقال الرجل فى ضياع : ليس من حق أحد أن يبقى على قيد الحياة مستمتعاً بها بعد وفاة رفيقه .

وبالفعل يسير السندباد فى جنازة زوجة صديقه الميتة ، التى هى فى الوقت نفسه ، جنازة صديقه الحى . إلى أن يتم دفنهما معاً فى جب كبير له فتحة على ظهر الأرض يتم إغلاقها بسدها بصخرة هائلة الحجم . المظهر الوحيد من مظاهر الرحمة الإنسانية كان يتلخص فى إعطاء الزوج سبعة أرغفة (وچركن) مياه .. «من الغريب ان الميت فى التراث الفرعونى القديم كان يحصل أيضاً على سبعة أرغفة فى رحلته إلى العالم الآخر» .

عاد السندباد إلى منزله وقد بدأت الأفكار السوداء فى مهاجمته ، ماذا لو ماتت زوجته قبله ؟ .. ولكن شيئاً فشيئاً تمكن

من طرد هذه الأفكار السوداء من رأسه ، باعتبار أنها أصغر منه وإنها متينة البنيان وفى صحة جيدة ، وإنه فى الغالب سيموت قبلها ..

ولكن الطوبة جاءت فى المعطوبة كما نقول ، ماتت زوجة السندباد بعد مرض قصير، حاول مستميتاً أن يفلت من تطبيق القانون عليه بدعوى أنه غريب من رعايا دولة أخرى ، ولكن يبدو أن المهراجا كان صارماً وعادلاً ، لا يعرف الاستثناءات ولا المحسوبية ، القانون هو القانون ، واجب التنفيذ على كل من يعيش فى مقاطعته .

ويتم دفن السندباد حيا ، ولكنه يتمكن من النجاة فيما بعد ، بعد أن تحول لقاتل سفاح ، كل من يدفن حياً من البشر، كان السندباد يقتله ويستولى على خبزه ومياهه إلى أن تمكن من الخروج بعد اكتشافه لفتحة سرية فى الجب أوصلته لشاطىء البحر.

إن الحدوتة الشعبية لا تختار أحداثها ووقائعها عبثاً ، بل هى صادقة تماماً وتعنى ما تقول دائماً ، وعندما تتكلم الحدوتة عن ذلك القانون الغريب ، فلابد أن نحاول استيعاب الأفكار الكامنة وراءه ، الأمر الذى لن يتحقق إلا بالتفكير فيه بوصفه حقيقياً وواقعياً ، لنفرض أن هذا القانون كان موجوداً بالفعل على أرض الواقع .. فلماذا ؟ ما هو هدف المشرع منه ؟ .. ما هى الظاهرة ، أو الظواهر أو العلاقات الاجتماعية التى دفعت المشرع إلى سن ذلك القانون الوحشى الذى يدفن البشر أحياء ؟

ثم تنفيذه على الجميع بصرامة، على الجميع الذين استمتعوا بحياتهم مع الطرف الثاني. والذين لم يستمتعوا؟!! إلى عهد قريب فى الهند، كانت الزوجة بالفعل تحرق حية مع جثمان زوجها. لست أعرف بالتحديد هل كان ذلك المصير إجباريا أم اختياريا.. إذن هذا القانون الخيالى له أساس واقعى.

ومع ذلك فأنا لست أعتبر ذلك القانون الذى طبق على السندباد وحشيا بحال من الأحوال والهدف منه واضح جداً. لا حياة لأحد بعد موت شريك حياته، لذلك فعلى كل طرف فى هذه الشركة الحياتية أن يعمل على الحفاظ على حياة الطرف الآخر، وعلى تطويلها، وليس على تقصيرها، هذه هى الطريقة الوحيدة لإرغام البشر على فهم المعنى الأساسى للحياة، إنها قصيرة، وبالتالى يجب أن تكون ممتعة على مستوى الشركة الزوجية وليس على مستوى الفرد فقط.

إننى أتصور إنه قد حدثت قبل صدور ذلك القانون.. موجة من حوادث قتل الأزواج والزوجات بالسم على الأرجح، وبالطبع كان القاتل يفلت من العقاب ويستمتع بالحياة مع شريك آخر، فلم تكن وسائل التشريح متطورة إلى الحد الذى يسمح باكتشاف آثار السم فى جسد الضحية. بالإضافة إلى أن العالم القديم كان يعرف أنواعاً عبقرية من السموم، لا طعم لها ولا رائحة ولا أعراض مؤلمة وبذلك يفلت المجرم. كما أن هناك جرائم قتل أخرى يفلت مرتكبها من العدالة بالحتم والضرورة، وهى جرائم

القتل البطىء بواسطة سكاكين المعاملة السيئة .. التى تصيب البشر بأمراض القلب والمعدة والمرارة والطحال والبنكرياس .. والكلى .. وأمراض الجهاز العصبى .. و.. و.. و.. مما يجعل أيامه على الأرض معدودة وبذلك يكون ذلك القانون مثالياً وواعياً وعادلاً وضرورياً وعبقريا. فالمشرع هنا يقول لكل من الزوج والزوجة: لا يجب أن يقتل أحدكما الآخر ببطء أو بسرعة، استمتعا بكل لحظة، فلا حياة لأحدكما بعد الآخر، ولا يظن أحدكما أنه قادر على أن يقتل القتيل ويمشى فى جنازته، وإذا حدث ذلك فسوف يمشى فيها فعلاً، ولكنه لن يعود ـ أبداً ـ من القرافة!



عجوز البحر

إذا ما أعطيته إصبعك فسوف يأكل ذراعك.. يتمسكن حتى يتمكن.. سكتنا له دخل بحماره.. زرعته وقلعنى.. أعلمه الرماية كل يوم، فلما اشتد ساعده رمانى.

هذه الأمثلة الشعبية الشائعة، تبدو فى الظاهر غير منطقية وغير معقولة، ولكنها للأسف صحيحة وتنطبق بدقة على بعض النماذج البشرية. من هنا ينصحنا القول المأثور بأن نتقى شر هؤلاء الذين نحسن إليهم.

ولقد جسدت الأسطورة الشعبية (السندباد البحرى، الرحلة الخامسة) ذلك النموذج البشرى فى صورة رائعة وذلك عندما قابل السندباد عجوزا مسكينا يجلس على الأرض فى ركن من الطريق وقد غطت أوراق الشجر المتساقطة جسمه مما يدل على إنه عاجز عن الحركة. لم يكن أيضاً قادراً على النطق لفرط ضعفه، أشار العجوز للسندباد بيده أشارات ضعيفة فهم منها السندباد أنه يريد أن يحمله بعيداً عن المكان.

بالفعل ، حمله السندباد على ظهره ، وقبل أن يسير به خطوة واحدة ، فوجىء به يقفز على كتفيه بسرعة البرق فى خفة الفهد ثم فوجىء به يلف ساقيه حول رقبته فى قوة وأحكام وقسوة ، استولى الذهول والفزع على السندباد وخاصة عندما نظر إلى قدمى الرجل فلم يجدها آدمية . كانت تشبه حوافر الجاموس ، حاول السندباد الفكاك من قبضة ساقى الرجل ، فضربه الأخير بحافره فى ظهره ضربة مؤلمة طاش لها صوابه . عند ذلك أيقن السندباد أنه قد وقع فى فخ جهنمى . هذا العجوز نصف الإنسان نصف الحيوان ، سيركبه إلى الأبد ، وبالفعل عاش السندباد فترة طويلة من الزمن ، والعجوز راكب على كتفيه ، يجلس به يمشى به ، ينام به ، يصحو به .

إلى أن تخلص منه بخطة طويلة المدى ، فقد أعد له شراباً مسكراً من عصير العنب ، أفقده حذره للحظات كانت كافية لأن يخلعه السندباد بسرعة البرق من فوق كتفيه وأن يقتله بضربة حجر على رأسه . فيما بعد قال أصحاب السندباد من العارفين ببواطن الأمور ، إنه يسمى عجوز البحر ، وإن السندباد هو أول شخص يتمكن من النجاة من ساقيه الحديدتين .

أليس هذا هو بالضبط ما يحدث عندما تمد يد المساعدة لشخص ما ، عند ذلك ينتهز الفرصة ليقفز على كتفيك راكباً عقلك محتلاً تفكيرك ، متملاً حركتك مقيداً حريتك مهدداً كل لحظاتك ؟

أليس هذا هو بالضبط ما حدث للشاب الذى وقف بسيارته

للفتاة المعوقة ، بعد أن أشارت له فى إعياء طالبة يد المساعدة ـ تماماً كما فعل العجوز مع السندباد ـ لقد توقف من أجلها ، وأفسح لها مكاناً بجواره ليوصلها إلى منزلها البعيد عن مساره الأصلى . وعند منزلها شهرت فى وجهه سكينا ومزقت له سترته وهددته بتشويهه ، كما هددته بأنها ستصرخ متهمة إياه بأنه حاول الاعتداء عليها ، عند ذلك رضخ لطلباتها وأعطاها كل ما معه ، لقد قال البعض مفسراً ذلك أنها فعلت ذلك لأنها مدمنة للهيروين وتبحث بجنون عن مال لشراء جرعتها ، هذا التفسير الساذج ينطوى على جهل كبير بطبيعة النفس البشرية ، لقد فعلت ذلك ببساطة لأنها «عجوز البحر» فلم يكن عجوز البحر فى الاسطورة مدمناً فى حاجة لفلوس يشم بها ، ولم يكن معذوراً فى توصيلة ، بل هو تجسيد لكل النوازع الحيوانية والإجرامية داخل البشرية ، لذته كانت تكمن فى التظاهر بالضعف ليعطف عليه الآخرون ، عند ذلك يركبهم فيستمتع بالشعور بقوته ، هذا هو مصدر ذلك الشعور المريض باللذة عند هؤلاء الذين يعذبهم إحساسهم بالضآلة ، عند ذلك يعملون جاهدين على ركوبنا .

هذا هو أيضاً ما حدث مع سندباد الاسكندرية ، أقصد السيدة التى قتلت زوجها ، هو أيضاً عجوز البحر ، بل عجوز المحيط ركب زوجته ، وركب قبلها ثمانى عشر زوجة وركب كل ضحاياه بعشرات من عمليات النصب الإجرامية ، وركب عدة وظائف وهمية فى الفن والسياسة والصحافة ، ترسانة إجرامية متحركة ، وفى

النهاية لقى نفس المصير التعس الذى حددته الأسطورة كوسيلة وحيدة للنجاة، ولعل هذا يفسر قول الزوجة فى التحقيق «بعد أن قتلته شعرت براحة لم أشعر بها من قبل».

بالتأكيد، هذا الإحساس الطاغى بالراحة، شعر به السندباد البحرى من قبل، إنها راحة النجاة. ليست هذه دعوة لعدم الإحسان، ولكن لاختيار هؤلاء الذين يستحقون الإحسان، وعدم الانخداع بالمظهر ومعسول الكلمات، وعدم تمكين الآخرين ـ العاجزين عن السير ـ من القفز فوق أكتافنا.

لكن ما هو التفسير النفسى لذلك النوع من الفعل؟

عندما نحسن إلى هؤلاء اللئام الذين يشعرون فى أعمق أعماقهم بالحطة والضعة والضآلة، فاننا نقدم لهم فى الوقت نفسه، الدليل على أننا نحن الأقوى والأكبر والأفضل، عند ذلك يشعرون بالفزع والخوف منا، عند ذلك ـ كوسيلة دفاعية ـ تتفتح شهيتهم للعدوان علينا، وبما أنهم ضعفاء لذلك لا يلجأون للصراع المباشر، ولكن للخديعة حتى يتسنى لهم تدميرنا فى النهاية.. هل فهمت الآن ما معنى.. يتمسكن لحد ما يتمكن؟



الغراب والصابونة

فى ركن من حديقتى، حوض صغير تنبت فيه أزهار الأمثال والمصطلحات الشعبية، ومنها أتعلم الكثير، فالمثل والمصطلح الشعبى، يتمتعان بقدرة مذهلة على تلخيص كتب بأكملها فى إيجاز مثير وممتع، استمع لهذا المثل.

سألوا الغراب: سرقت الصابونة ليه؟
أجاب: أصل الأذية طبع.

فى ثمانى كلمات فقط لخص المثل بعبقرية فذة آلاف الكتب التى تناولت بالشرح والتحليل ظاهرة «العدوان» فى النفس البشرية، مستخدما فى ذلك بنجاح رموزا شفافة تجعله يصل مباشرة إلى هدفه وهو رسم صورة متكاملة وواضحة لطبيعة العدوان. الغراب كما هو معروف طائر مكروه فى الوجدان الشعبى وفى التراث الإنسانى بشكل عام، هو رمز للسواد والحزن والفجيعة، يكفى إننا نسمى الصوت الذى يصدره النعيق.

وهو لا يسرق قطعة الصابون ليستحم بها، أو لأنه تصورها بجهله قطعة من الجبن مثلاً، عند ذلك قد نلتمس له الأعذار، بل سرقها ليحرم صاحبها من استخدامها. وليغرمه ثمن صابونة أخرى، وليشعره بالألم لفقدها وليؤجل موعد استحمامه أو غسيله فيرغمه على البقاء فترة متسخاً تعلوه الأقذار، بما يسببه ذلك من إحساس بالغيظ والنكد.. هو باختصار يؤذيه.. بلا سبب. ولا هدف ولا سابق معرفة.

لست فى حاجة لدراسة كل ما كتبه كل عباقرة مدرسة التحليل النفسى لكى أتعرف على أصالة وطبيعة العدوان فى النفس البشرية. يكفينى هذا المثل العبقرى الذى غرسه أجدادى فى حديقتى. ولكن هل هذا المثل يبحث عن مبرر وغطاء للعدوان يضفى عليه شرعية من نوع ما؟.. أم أن له هدفاً آخر؟.. هل هو يدفعنا إلى استسهال وممارسة العدوان على الآخرين، لأن ذلك «طبع» مركب فينا؟ أم أنه ينبهنا إلى ضرورة الاعتراف والتعرف.. الاعتراف بأن العدوان طبع أصيل فى الإنسان، ثم التعرف على مصادر ذلك العدوان لكبته واعلائه وتحويله إلى مسارات إنسانية أخرى أكثر رقياً وتحضراً، كم غراباً قابلته فى حياتك سرق منك قطعة من عملك أو من أفكارك أو من أحلامك. كم غرابا هبط عليك وسرق قطعة من حاضرك ومستقبلك. كم غرابا يطير فوقنا منتهزاً أية فرصة لإيذائنا بلا نفع شخصى أقصد بلا نفع غرابى، ومع ذلك فإن ذلك الغراب بطل المصطلح الشعبى

يتمتع بقدر من الشجاعة الأدبية جعلته يجيب بصدق. إن هدفه كان: الايذاء لمجرد الإيذاء.

أما الغربان المنافقة التى نالت قدراً من الثقافة والتعليم، فلن تجيب بهذا الوضوح وذلك الصدق، بل ستلقى علينا محاضرة طويلة، قبيحة مدافعة عن نفسها وعن فعلتها.

لو إن غرابا من ذلك النوع اختطف صابونة ثم قبض عليه متلبسا، فسوف يقول لك على الفور: لقد كان هدفى هو إنقاذ صاحب الصابونة من الآثار المدمرة المترتبة على استخدامها. فنوعها ردىء وبها مواد تؤذى البشرة وتسبب سرطان الجلد، وهى مصنوعة من زيت، «الترالملم» المحرم استخدامه دوليا، ولقد حاولت تحذيره بنعيقى ولكنه تجاهله، لذلك كان لابد من أن أخطفها من أمامه وأطير بها بعيدا، وتحملت فى سبيل ذلك طعمها ورائحتها القاتلة وأنا أحملها فى منقارى.. إننى مندهش ومتألم، هل أنا متهم بالسرقة والأذى والعدوان بسبب فعلتى النبيلة التى أنقذت بها ذلك الرجل وحميته من الاضرار التى كانت ستلحق به ؟!

إن أبسط أنواع العدوان وأقلها خطرا، هى تلك التى يلجأ أصحابها إلى الأذى الواضح، مستخدمين الفعل الملموس، لأننا نتنبه لهم على الفور ونأخذ حذرنا منهم ثم نختار الوسيلة التى نحمى بها أنفسنا منهم، أما هؤلاء الذين يطلقون علينا السموم والنار مختبئة بين الكلمات، والذين يقلبون الحق باطلاً والباطل حقاً، لا لشىء إلا الإستمتاع بإيذائنا، فن المؤكد أنهم شر أنواع الغربان.

إنهم هؤلاء الذين ينعقون ثم يسرقون الصابون ، وبذلك نظل بعيدين عن نظافة العقل ونظافة الأفكار.



الضُّـــرَّة

ساءت أحوال الرجل الطيب وتعقدت مشاكله إلى أن ضاق صدره بالدنيا وما فيها ، فقرر أن يخرج فى ظلمة الليل إلى الخلاء المحيط بقريته لعل تفكيره يصفو فيجد حلاً لما يعانيه من متاعب .

سار طويلاً إلى أن عبر التلال البعيدة. وهناك تناهى إلى سمعه صوت مقرىء ممتلىء بالعذوبة والقوة ، فبحث عن مصدر الصوت . وفى سهل مزروع رأى سرادقاً كبيراً غارقاً فى الضوء . اقترب منه ، فوجده ممتلئاً بالبشر الذين جلسوا يحتسون القهوة وقد علت وجوههم علامات البشر والراحة . رحبوا به فى تهذيب واجلسوه على مقعد فخم وثير وقدموا له القهوة التى كانت تدور على الجميع .. شعر بعد لحظات بانه قد انتقل إلى عالم جميل ، وإذا بتفكيره يصفو ، فيرى مشاكله كلها قابلة للحل وإنها لا تستحق كل تلك التعاسة التى كان يشعر بها .

سألوه : ما رأيك فى هذا السرادق ، وصوت المقرىء وأدائه ، وما رأيك فى المكان ؟

قال : جميل .. جميل .. جميل .. كل ما قدمتموه لى جميل ، بل أجمل من أن يوصف .. إننى أشعر بأن نبعاً من الجمال والخير يتدفق فى أعماقى .. أشكركم بإخلاص .. لقد قدمتم لى ما كنت أبحث عنه ، سلام النفس وراحة العقل ، وسكينة الفؤاد .. مرة أخرى أشكركم .

أقترب منه أحدهم وأعطاه صرة كبيرة وقال له : هذه هدية متواضعة ، نرجوك أن تقبلها فقد تحتاج إليها فى الطريق .

مرة أخرى شكرهم الرجل الطيب فى حرارة . وأخذ طريقه عبر التلال إلى قريته . كان سعيداً إلى الدرجة التى أنسته الصرة وما فيها فلم يفتحها إلا فى بيته . وإذا به يجد كنزاً من الذهب واللآلىء والأحجار الكريمة .

ظهرت عليه النعمة فى الحال . تحول الكنز إلى قصر وحديقة وملابس فخمة ومحل تجارى كبير. عند ذلك سأله الرجل الشرير عن مصدر هذه النعمة ، فقص عليه القصة بكل تفاصيلها بكل ما جبل عليه من طيبة ووضوح .

فى نفس الليلة ، خرج الرجل الشرير من القرية قاصداً نفس المكان الذى وصفه له الرجل الطيب ، وأمام السرادق المضىء رحب به القوم وأجلسوه بينهم على نفس المقعد الفخم الوثير.جلس متجهماً يستمع وينظر لما حوله باستياء . وفى نهاية الليلة سألوه : ما رأيك ؟

رد متبرماً بعنجهية: فى ماذا؟.. ألم تجدوا غير هذا المقرىء؟.. من أين أتيتم به؟ وهذه المقاعد إنها ليست مريحة.. والقهوة.. يبدو إن البن مخزون منذ سنوات، وهذا السرادق، نقوشه ساذجة، والإضاءة خافتة وموزعة بطريقة خاطئة.. فى المرات القادمة لابد ان تستعينوا بى لكى أشير عليكم بما يجب أن تفعلوه.. والآن خلصونى.. أين الصرة؟

عند ذلك اقترب منه أحدهم وقال: خذ..!

فى أقل من لمحة، فى أقل من جزء من الثانية. نظر حوله فلم يجد شيئاً إلا الظلام الكثيف. والرياح تصفر عبر قمم الجبال... اختفى كل شىء.

اتضحت الحقيقة. هذا الاحتفال أقامه إخوتنا من الجن الطيب وهم قادرون بالطبع على إقامته بأجمل المواصفات وقادرون أيضاً على إخفائه فى أقل من جزء من الثانية.

ماذا تريد الحدوتة أن تقول؟

هى تقول: عندما نعجز عن رؤية الجمال، ونعجز عن الاحساس به أو تقديره، بدافع من النرجسية أو التعاسة أو العجز أو اللامبالاة، فسوف تحيط بنا الظلمة من كل جانب.

النمــل .. والعقــارب

قال لى صاحبى: أنا ذاهب لقرية «أبورواش» هل تأتى معى..؟ سرت القشعريرة فى بدنى.. فقرية أبورواش لها سمعة خاصة مرعبة، إنها قرية بالقرب من أهــرام الجيزة يعمل أهلها فى صيد الثعابين السامة والعقارب، يجمعونها من الصحراء والتلال القريبة من القرية، ويبيعونها لمراكز الأبحاث لإجراء التجارب عليها واستخلاص الأمصال من لدغتها، ولأن التطور هو سنة الحياة فقد تطور أهل القرية من مرحلة الصيد إلى مرحلة تربية هذه الحشرات فى بيوتهم واحاطتها بالرعاية الكاملة. لقد تعايشوا معها فى سلام وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياتهم لدرجة أن الأطفال يلهون بها ويلعبون معها فى حوارى القرية الضيقة.

سألت صديق: لماذا أنت ذاهب؟.. هل قررت العمل فى ميدان الحشرات؟

أجابنى صديقى بأغرب اجابة فى التاريخ:

ـــ سوف أذهب لاحضار بعض العقارب للقضاء على النمل الموجود فى بيتى ... أعلم إنها ليست طريقة شائعة أو مألوفة .. ولكنها أكثر الطرق فعالية فى العالم ، هذه العقارب سوف تخلصنى من النمل إلى الأبد .

ـــ تطلق العقارب فى أثر النمل يا رجل ؟ لماذا لا تستخدم المبيدات الحشرية المعروفة ؟

ـــ المبيدات الحشرية ضارة بالإنسان أيضاً .. لإنه يستنشقها . وأنا أحب استنشاق الهواء نقياً خالصاً .

ـــ والعقارب .. ؟ أليست قاتلة ؟

ـــ قال صديقى فى اعزاز وثقة .. إنها قاتلة للإنسان الضعيف ، المهمل أما أنا ، فحذر ، وقوى ، وقادر على السيطرة عليها ، وترويضها للهدف الذى أحدده ، وهو القضاء على النمل .

ويبدو إنه استشار بعضاً من معارفه وأصحابه فهللوا للفكرة فازداد وثوقاً بها . عرضت عليه فكرة أخرى معروفة للقضاء على النمل دون أى استخدام للمبيدات ، هذه الفكرة تتلخص فى كلمة واحدة .. النظافة ، نظافة البيت ، لا تترك فى البيت أية فضلات يتغذى عليها النمل . أجابنى أنه سيراعى نظافة البيت ، ولكنه ظل مصراً على رأيه فى إنه لا يفل الحديد إلا الفولاذ ، لا يفل النمل إلا العقارب .

فشلت فى إثنائه عن عزمه ، وشعرت بالمرارة فلقد كنت أحبه وأقدر فيه مزايا عديدة .

هذا الرجل لديه قدرة غريبة على السيطرة على كل شيء، لقد سيطر على العقارب بالفعل، وجعلها تنفذ ما يريده بالضبط، لقد التهمت النمل كله أو لعله اختبأ فى أماكن لا نعرفها. غير إنى امتنعت عن زيارته لخوفى الغريزى من كل الحشرات.

وذات يوم حدث ما كنت أخشاه، فوجئت بقوات الشرطة تحيط بالبيت الذى ارتدى أهله السواد وانطلقت الصرخات من شرفاته، لقد لدغته العقارب.

أرسل رجال الأمن بسرعة فى طلب مجموعة من خبراء قرية «أبورواش» للإمساك بالعقارب وتطهير البيت، فحاصر هؤلاء الرجال البيت وأخذوا يفتشونه بعناية ركناً ركناً.

وبعد لحظات، علت صرخات الملدوغين واحداً بعد الآخر فى البيوت المجاورة فانطلق اليها خبراء القرية على الفور.. ترى..؟ كم حياً وكم بيتاً دخلته تلك الحشرة القاتلة؟

كم انساناً لدغته وكم انساناً ستلدغه، وجه رجل الأمن سؤاله محاولاً اخفاء فزعه وتوتره: من الذى أتى بهذه العقارب إلى هذا الحى النظيف؟

وسكت الجميع، لا أحد لديه الاستعداد لقول الحقيقة، وبين الواقفين لمحت بعض الوجوه التى أعرفها، انها وجوه هؤلاء الذين هللوا للفكرة، يبدون الآن حزنهم واستياءهم.. حتى أنا فعلى الرغم من اعتزازى بقدرتى على قول الحقيقة، لم أتكلم، من

يصدقنى؟ عدت لغرفة مكتبى، ضائعاً، مصدوماً تعساً، لا أهمية لقلمى ما دمت عاجزاً عن قول الحق.

وضعت قلمى فى أحد الأدراج وأغلقت عليه بالمفتاح، وتجددت تعاستى فلقد كنت أدرك جيداً من دراستى للتاريخ، إنه عندما تنام الأقلام، يستيقظ كل ما هو فظيع.



كلنى يا مــولاى

تخلف الجمل عن القافلة، ضل طريقه فى الغابة، فاستولى عليه الرعب، بعد لحظات سيهبط عليه الليل ويصبح فريسة لحيوانات الغابة المفترسة.

كان صغير السن، ساذجاً عديم الخبرة، سميناً، من ذلك النوع الذى يتحول فى العادة إلى ساندوتشات «شاورمة»، ماذا يفعل وهو ليس خبيراً بدروب الغابة ومساربها، ولا قبل له بمواجهة حيواناتها ذات القلوب القاسية؟

وبينما هو غارق فى رعبه. فجأة وجد نفسه أمام الأسد، ملك الغابة.. آه، لقد جاءت النهاية سريعاً. ولكن الأسد كان كريماً ونبيلاً فأمنه على حياته وقربه منه طبقاً لقواعد اللجوء الحيوانى فى الغابة، وذات مرة، استولت على الأسد نوبة أنفلونزا آسيوية حادة، أقعدته عن السعى وأفقدته القدرة على الصيد والقنص فجاع هو وجاع أيضاً موظفو مكتبه ومستشاروه وهم:

الغراب والثعلب والذئب .

بينما الجمل بالطبع لا يعانى أية مشكلة لأنه من آكلى العشب .

اجتمعت هيئة المكتب لمناقشة خطورة الموقف ، ثم انتهت إلى إنه لا بد مما ليس منه بد : أن يأكلوا الجمل .

هذا هو الحل الوحيد لكى يسترد الأسد صحته وعافيته ، فيواصل الصيد والقنص ويواصل ــ وهذا هو المهم ــ إمدادهم بأنصبتهم من الفرائس..وهى ــ فى العادة ــ ما يتبقى من جسد الفريسة بعد أن يستولى هو على القطع الممتازة مثل الأنتركوت والتلبيانكو وبقية الأجزاء التى تصلح فيليهات ، وإسكلوبات وكباب حلة .

عندما تجرأوا وعرضوا عليه الاقتراح ، ثار الأسد وزمجر وزأر زئيراً فظيعاً بقدر ما تسمح به حالته الصحية : ماذا تقولون يا أوغاد ؟ .. آكل الجمل ، لقد أمنته على حياته ، وأعطيته عهداً ، كيف تطلبون منى أن أخون العهد .. ؟ .. أننى أفضل الموت جوعاً ولا آكل ضيفاً لى .. هذه اهانة لا أسمح لكم بها .. وأقسم بشعر لبدتى أننى سوف أعاقبكم جميعاً لمجرد التفكير فى ذلك بمجرد أن أسترد عافيتى .

صمتوا جميعاً ، ولكن الغراب قال له بهدوء وبصوته العميق المليء بالحكمة :

ــ يا مولاى « النفس الواحدة يفتدى بها أهل البيت ، وأهل البيت

تفتدى بهم القبيلة، والقبيلة يفتدى بها أهل البلاد، وأهل البلاد فداء للملك» .. !

فرد عليه الأسد: لا أكون أسداً إذا خنت عهداً .. !

فقال الغراب: ومن تكلم يا مولاى عن خيانة العهد؟ وسوف نأكله يا مولاى بلا خيانة للعهد أو الذمة وبلا خطأ أو خطيئة وفى حدود ما تسمح به القواعد والأخلاق والأعراف.

فقال الأسد: مش فاهم.

فقال الثعلب: يا مولاى، الفعل نفسه ليس مهماً .. المهم هو الشكل .. أترك لنا هذه المهمة يا مولاى وسترى أنها ستتم على أكمل وجه .. بل وفى اطار ديموقراطى أخلاقى نبيل .. لا تنس يا مولاى، أننا أيضاً حريصون على سمعتنا فى الغابة.

وسكت الأسد، إن الجوع أحياناً كفيل باقناعنا بأشياء قد نرفضها عندما تكون معدتنا ممتلئة.

وفى المساء، وكانت ليلة مقمرة، اجتمع أصحابنا تحت شجرة كبيرة فى ساحة صغيرة مواجهة للعرين وأخذوا يتسامرون على عادة الجياع فى الليالى المقمرة، وفجأة قال الغراب فى صدق وحرارة: مولاى ... أنت فى حاجة لما يقويك ويرد عليك عافيتك، لأنه إذا حدث لك مكروه لا قدر الله فليس لنا بقاء بعدك. لذلك فأنا أطلب منك مخلصاً .. أن تأكلنى. كلنى يا مولاى .. إن أكثر لحظاتى سعادة سوف تتحقق عندما تلتهمنى، عندما تمضغ لحمى

وتطحن عظامى بأسنانك وأنيابك النبيلة، كلنى يا مولاى لكى يتحول لحمى الفانى إلى صحة وعافية تجريان فى عروقك وعضلاتك السنية.. أرجوك يا مولاى.. إمنحنى هذا الشرف. عند ذلك صرخ الثعلب فى وجهه: ماذا تقول أيها الغراب المعتوه؟. من أنت وما أنت حتى يأكلك مولاى. إنك حتى لا تصلح سندوتشاً.. إننى أرجو وألح فى الرجاء.. أن يأكلنى مولاى.. كلنى أنا يا مولاى.. عند ذلك تدخل الذئب: توء.. توء.. توء.. مولاى يأكل ثعلباً؟.. يا للعار.. ماذا نقول للمؤرخين.. والأجيال القادمة؟.. ماذا ستقول عنا..؟ كلنى أنا يا مولاى.. فإن لحمى أطيب وعضلاتى أقوى.. أرجوك يا مولاى..!

عند ذلك قاطعه الغراب والثعلب معاً صارخين مستحيل.. لقد قالت الأطباء، من أراد أن يقتل نفسه، فليأكل لحم ذئب... لقد أثبتت الأبحاث الطبية أن لحم الذئب يدمر خلايا الكبد، ويصيب الجسم بالسرطان ثم تصاعدت صيحاتهم...

كلنى يا مولاى..!

والنبى تأكلنى أنا يا مولاى..!

الله يخليك.. كلنى أنا يا مولاى..!

كل ذلك حدث والجمل صامت. غير أن طبيعة الموقف حتمت عليه أن يتكلم أخيراً، فليس من المعقول ولا المقبول أن يتوقف عن دخول هذا المزاد النفاقى.

سيقوم بعرض نفسه فى مزاد الأكل .. وسيلتمسون له الأعذار كما التمسوها لبعضهم البعض وتنتهى المسألة عند هذا الحد .. عند ذلك صاح بهم فى صوت جملى قوى : بس .. هس .. هدوءاً أيها السادة .. اسمحوا لى أن أتكلم .

سكت الجميع ونظروا له فى ترقب فقال فى نفاق حاول أن يجعله صادقاً ومقنعاً إلى أقصى حد : إذا كنتم تريدون الحق والمعقول والطبيعى .. فاننى أنا الوحيد بينكم الذى يصلح للأكل .. فلحمى وفير ولذيذ ... وهو يكفى الجميع .. كلنى يا مولاى .. كلونى أيها السادة ..

عند ذلك قال الجميع فى نفس واحد وهم يقفزون عليه : أحسنت .. شكراً .. أنت جمل موضوعى ..

أعملوا فيه أظافرهم وأنيابهم ، وكانت ليلة جميلة تناول فيها الجميع عشاء فاخراً وناموا نوماً هانئاً تداعبهم فيه الأحلام الجميلة ...

لم يحدث عدوان على الشرف أو الأخلاق ، لقد تم الفعل فى اطار ديموقراطى سليم ، طلب الجمل أن يأكلوه .. فأكلوه .. !



الدبة التى قتلت صاحبها

بعد أكثر من خمسين عاماً قضيتها على أرض هذا الكوكب، مسافراً فى كل دروب البشر، رضيعاً وطفلاً وشاباً وكهلاً ثم واقفاً فى استسلام على أولى محطات الشيخوخة، بعد نصف قرن من الوجود ضيفاً على هذا الجنس الغريب الذى اسمه البشر، أعلن وأنا فى كامل لياقتى العقلية والبدنية، وبمحض ارادتى .. إننى لم أعد واثقاً من صحة ما أعرفه وما تعلمته.

ولما كان من الخطر الشديد أن أدخل مرحلة الشيخوخة بهذا الشعور المروع الذى قد يسلمنى للجنون، لذلك قررت أن أواجه الموقف بشجاعة .. لا بد من فعل شيء. ولكن ما هو؟

ووجدتها ...

وجدتها عند ديكارت، سأعود بعقلى إلى سيرته الأولى، صفحة بيضاء من غير سوء. سوف أخرج كل مصارين وأحشاء عقلى

وألقى بها من النافذة ، وهذا هو ما حدث بالفعل ، إذ شرعت فى التنفيذ على الفور.

تكومت كل مكونات عقلى من حواديت ونظريات ومعرفة على الرصيف فى غير ترتيب ، يا لها من أشياء بشعة ، وبكل ما أملك من صبر واحتمال أخذت أفرزها من جديد . الحقيقى والجيد والمفيد منها ، سوف أعيده إلى عقلى فى خانته المخصصة له معززاً مكرماً ، أما ما هو مبنى على الأكاذيب والأوهام فسوف ألقى به فوراً فى أقرب خرابة .

قررت أن أبدأ بالحواديت القديمة ، لأنها أول ما نسمعه ونتعلمه ، وهى دون أن ندرى ، تساهم فى تكويننا إن سلباً أو إيجاباً .

بين خرق وهلاهيل الحواديت القديمة ، مددت يدى والتقطت واحدة ، نفضت عنها الغبار وأوحال الزمن فوضحت تفاصيلها . إنها حدوتة الدبة التى قتلت صاحبها ، تعرفونها بالطبع ، كانوا يقصونها علينا لكى نتعلم أن الإنسان من الممكن أن يقتل صاحبه بينما هو يدفع عنه الأذى ، وبذلك بدأنا نتعرف لأول مرة فى حياتنا على ذلك الشىء البشع الذى يسمونه « الغباء » .

ما زلت أذكر الصورة الرديئة المنشورة فى كتاب المطالعة فى مرحلة التعليم الإلزامى . صاحب الدبة نائم تحت الشجرة ، ذبابة تحط على وجه الرجل ، والدبة تأتى بحجر ضخم تلقيه على الذبابة المستقرة على وجه الرجل ، والنتيجة معروفة بالطبع ، مات الرجل

وطارت الذبابة ولم يقل لنا التاريخ شيئاً عن مصير الدبة، فى الغالب صاحبت رجلاً آخر.

لامفر من إعادة التحقيق فى هذه الواقعة. إذ أن وصف الحادث على هذا النحو لايقنعنى بالمرة، فلست اعتقد أن الله سبحانه وتعالى قد خلق كائناً بهذا الغباء، لابد أن فى الأمر سراً بشعاً ظل خافياً علينا آلاف السنين.

بكل طاقة الخيال الروحية المبدعة التى تشعها صفحة العقل البيضاء والتى طالما ساعدت الإنسان على تخطى حدود الزمان والمكان. بكل تلك الطاقة أرسلت استدعى الدبة من قاع الزمن.

فجاءت ومثلت أمامى وبدأت التحقيق معها:

س: اسمك؟

جـ: الدبة التى قتلت صاحبها.

س: هذا اسم «فعلك» وليس اسمك. أو قد يكون اسم الشهرة، أريد اسمك الحقيقى؟

جـ: انه اسمى الحقيقى، فشهرتى هى حقيقتى، وحقيقتى هى نفسها فعلتى.

س: وما اسم القتيل؟ وما عمله؟

جـ: صاحبى، هذا هو اسمه، وهذا هو عمله.

س: ما معنى صاحبك؟.. تقصدين صديقك؟.. هل كانت تربط بينكما علاقة صداقة ومحبة وود أو هدف مشترك؟

جـ: يبدو إن السنين قد غيرت معانى الألفاظ ، لم يكن صديقاً لى . كان صاحبى. بمعنى أننى كنت من ممتلكاته . كما تقولون صاحب البيت وصاحب السيارة وصاحب الدكان .

ملحوظة: (هذا بعد جديد فى القضية ، فعندما كنا صغاراً فهمنا إنه صاحبها بمعنى صديقها وهذا أمر طبيعى فى تلك المرحلة من العمر والتى كانت فيها الدنيا بالنسبة لنا مجموعة من الأصحاب والأصدقاء ، انتهت الملحوظة) .

س : كنت تعملين معه إذن ؟

جـ : بالضبط ليس معه .. ولكن عنده .

س: حدثينى بالتفصيل عن طبيعة هذا العمل ، والاطار التعاقدى الذى ينظمه ؟

جـ : أنت تستخدم قاموساً عصرياً ياسيادة المحقق لتناقش به قضية قديمة ، هل تتصور مثلاً أنه نشر إعلاناً فى الغابة يطلب فيه دببة ، ثم أجرى بينها اختباراً ثم اختارنى فى النهاية ؟ .. أم تعتقد أن لدينا مكتباً للتخديم يقوم بتوزيعنا على البشر، لقد اصطادنى وأنا صغيرة بلهاء قليلة الخبرة .. نصب لى فخاً وأخذنى بعيداً عن غابتى وأهلى واصدقائى. ثم بدأت مرحلة تدريبى على القيام بحركات مسلية وممتعة للبشر، حاولت فى البداية أن أقاوم وألا ألبى طلباته، غير إنه كان يضربنى بقسوة ويحرمنى من الطعام ، كنت تعسة ووحيدة ، وكان هو قوياً ومتوحشاً ، فاستسلمت . بعد ذلك بدأت جولاتنا فى القرى والجبال وأماكن تجمعات البشر،

أقدم فيها العابى السخيفة أمامهم. مغذية فيهم احساسهم المريض بأنهم أقوى منا نحن الحيوانات. ومع مرور الأيام أصبحت أمارس عملى بحماس، بل وبدأت أحب صاحبى، ذلك الحب المرضى الغريب الذى نشعر به تجاه من نعمل عندهم، لقد ربط بيننا القدر برباط لا فكاك منه. فسارت حياتنا معه هانئة وادعة، أنا أرقص وأقوم بالحركات البهلوانية وهو يقبض ويطعمنى، أشهد إنه كان يطعمنى كثيراً، إلى أن حدث ذلك الحادث المشئوم. كان متعباً فنام تحت شجرة بعد أن ربط سلسلتى إلى شجرة قريبة، أخذت أتأمل فى حنان وحب ملامحه الجميلة النبيلة وهو نائم بينما أنا يقظة أحرسه من أى غريب، وفجأة حامت حول وجهه ذبابة وهى تطن، ثم استقرت أخيراً على جبينه. خشيت أن يستيقظ، فيحرم من نومه الهادىء ويسوء مزاجه، فقررت أن أبعدها عنه، تناولت حجراً وقذفتها به ففوجئت برأسه وقد هشمه الحجر و.. مات.

ملحوظة: (عند ذلك الحد من روايتها أجهشت فى البكاء وقد استولى عليها عذاب لا حد له. انتظرنا حتى هدأت تماماً ثم سألناها على النحو التالى).

س: ماذا حدث بعد ذلك؟

ج: شعرت بالضياع وبالخجل وبالعار فجذبت سلسلتى بقوة من الشجرة وهربت مرة أخرى إلى الغابة اداری فيها أحزانى.

س: لماذا لم تهشى الذبابة بيدك؟

ج: .....

س : هل كانت تلك هى المرة الأولى فى حياتك التى ترين فيها ذبابة ؟

جـ : .....

س : لماذا استخدمت الحجر فى هش الذبابة .. اجيبى .. !

جـ : لأننى غبية ..

س : هذه هى الاجابة الوحيدة التى يذكرها الأذكياء فى مثل هذه الحالة .. لماذا أنت غبية ؟

جـ : لأننى دبة ... والدببة تتسم بالغباء .

س : من الذى قال هذا الكلام الفارغ ؟

جـ : أنتم ... بنو البشر .

س : الغبى هو ذلك الإنسان الذى افترض بدافع من الكسل العقلى أو الغرور إنك غبية . من المستحيل قياس قدرات عقل الحيوان بمقاييس ومعايير بشرية ، لا يا سيدتى .. لست غبية .. فخبرتك فى الغابة قبل أن يصطادك ذلك القتيل الحمار علمتك الكثير .. أنت تعرفين الطريقة الصحيحة التى تواجهين بها كل حيوانات الغابة وزواحفها وحشراتها . بالتأكيد تعرض لك الذباب وبقية أنواع الحشرات الطائرة من قبل ، فهل كنت تهشينها بالأحجار .. أجيبى .

ملحوظة : (قلتها صارخاً) .. هل كنت تهشينها بالأحجار ؟

جـ : لأ ... كنت أهشها بيدى .

س : لماذا إذن استخدمت الحجر هذه المرة .. هه ؟ .. كنت تريدين أن تقتليه ، أليس كذلك ؟

جـ: إذا كنت أريد أن أقتله، لماذا لم أخنقه وهو نائم.. مثلاً؟

س: لأنك خبيثة وذكية. تريدين الاستفادة من الوصف الذى أطلقه عليك الحمقى من البشر، لكى تفلتى بجريمتك... بالتأكيد كنت تكتمين ضحكاتك وأنت تسمعين البشر الذين تجمعوا بعد الحادث يقولون. يا لها من دبة غبية، انظروا إلى الدبة الغبية لقد قتلت صاحبها الذى تحبه وتخلص له.. بنت حلال.. وقلبها أبيض.. وحسنة النية.. ومخلصة.. ولكنها يا حرام، غبية... أليس كذلك.. أجيبى؟

جـ: لست أفهم ما تقصده.

س: لا، من الممكن حذف كل الكلمات فى الدنيا، ومع ذلك. تتبقى الأفعال واضحة، الفعل الواضح فى حدوتك يا سيدتى هو القتل، القتل العمد مع سبق الاصرار والترصد، قتلت صاحبك بدافع من الاحتقار والكراهية.. اعترفى.

جـ: وماذا لو اعترفت؟ بماذا يفيدك اعترافى؟ لقد سقطت العقوبة بالتقادم. وفى مثل هذه الأفعال التى تذكرها الحواديت، ليس مهماً الدافع إلى الجريمة، المهم هو المغزى الذى نتعلمه.

س: هذا هو بالضبط ما أهدف إليه، إعادة التحقيق لإعادة فهم المغزى من حكايتك. عند ذلك أعيد هذه الحدوتة بمغزاها المكتشف والحقيقى إلى عقلى فى خانته المخصصة للأفكار الصحيحة قتلتيه عمداً يا سيدتى الدبة.. أليس كذلك؟

ملحوظة: (وفى هذه اللحظةنظرت إلىّ طويلاً وقالت بهمس).

جـ: نعم.. قتلته.. قتلته عمداً..!

س: لماذا.. ومن فضلك لا تقولى إن الدافع كان الغباء؟

جـ: كنت أكرهه.

س: يقول الكاتب الفرنسى أنطوان دى سانت اكسوبرى أن القتل يتم بدافع من الاحتقار وليس الكراهية.. هل كنت تحتقرينه؟

جـ: لا أعلم.. لست متأكدة.

س: هل كنت تعسة؟

جـ: نعم.. كنت تعسة.. أنا متأكدة من ذلك..

س: هل انتهت تعاستك أو خفت بعد أن عدت إلى الغابة.

جـ: لا.. كما لاحظت على نفسى إننى أصبحت أكثر شراسة.. لسنوات طويلة، أخذت أتجول فى الغابة ليلاً ونهاراً بحثاً عن إنسان أو حيوان أقضى عليه.. ليس بالأحجار، فلم أعد فى حاجة إليها.. بل بأظافرى وأنيابى.

س: إننى أشكر صراحتك ياسيدتى الدبة، فهذا الاعتراف بدأ يكسب حدوتتك أبعاداً هامة للغاية إن المعنى القديم للحدوتة، كان «احترس، فقد تضر أصحابك بغبائك».

جـ: مالكم أنتم وهذا المعنى، هذا المعنى خاص بنا نحن الدببة فقط، نحن نقص على أطفالنا صغار الدببة هذه الحدوتة لكى يستقر فى أذهانهم هذا المعنى، أما بالنسبة لكم أنتم بنو الإنسان فلابد أن تستخرجوا مغزى آخر.

س: ما هو؟

جـ: المغزى الوحيد الذى يجب أن يستخرج من وجهة نظر الإنسان القتيل، بلا ذكاء كبير وبوضوح هو.. «لا يجب أن ينام المرء فى حراسة الأغبياء، أو بالقرب منهم، أو فى محيطهم» أو «يجب أن يحرص الإنسان على إبعاد الأغبياء عنه».

س: أوافقك يا سيدتى الدبة.. ولكن اسمحى لى أن أقوم بتعديل طفيف ـــ ولكنه مهم ـــ فى هذه المقولة، لما كان التحقيق [وفرويد أيضاً] قد أثبت بوضوح إنه لا يوجد هناك غباء ولا ذكاء، وإن الأفعال تحدث بإرادة الكائن الحى بغض النظر عن موقف العقل منها، عند ذلك يصبح المغزى الحقيقى للحدوتة هو.. «لا يجب أن ينام المرء فى حراسة التعساء الذين يحتقرون كل شىء ولا يرون قيمة لأى شىء وتحرق قلوبهم الكآبة وكراهية الحياة.. هؤلاء هم الدببة.. والدببة هنا بمعنى هؤلاء الذين يدبون على الأرض.. ولذلك نقول إنسان (مِدَبْ) ونقول فلان راح (دابب) الشىء الفلانى».. شكراً لتعاونك المثمر فى هذه التحقيق، سؤال أخير هل لديك أقوال أخرى؟

جـ: لا...

تمت أقوالها وبصمت بظلفها الذى لم يقدها حتى الآن لحتفها ، ومضت عائدة إلى أعمق أعماق التاريخ ، تاريخ الإنسان وتاريخ الدببة .



رسالة إلى سيارتى الـ ١٢٥

لست أزعم إننى أحببتك منذ تلك اللحظة التى التقيت فيها بك فى مخازن الشركة فى الهرم ، ذات يوم فى شهر مارس منذ أربعة عشر عاماً تقريباً ، فقد كنت أريدك خضراء أو حمراء ، ولكن تلك الدفعة من السيارات ــ دفعتك ياعزيزتى ــ كانت رمادية بلون تراب القاهرة .

وخضعت للأمر الواقع ، واستلمتك . ومن حى الهرم إلى المهندسين قدتك بكل حرص وبكل ما أملك من براعة فقد كانت هى لحظاتك الأولى التى تخرجين فيها إلى الشارع وتمشين بين السيارات الأخرى والأتوبيسات الضخمة وعربات الكارو والبشر المجانين الذين يتراقصون أمامك ومن حولك .

لم تكن أجزاؤك ناعمة ولينة كما أنت الآن ، جاءت علىّ لحظات كنت أشعر فيها أنك ترتجفين وتهتزين بعنف عندما كنت

أضغط على فراملك. بل إنك كنت ترتجفين ولا تستجيبين بنعومة لذراعى عندما كنت انعطف بك يميناً ويساراً.

مع الأيام بدأت تنشأ بينى وبينك علاقة ألفة وصداقة ما لبثت أن تحولت إلى حب حقيقى، وأشهد الآن أمامك وأمام التاريخ أنه بدونك لم يكن من الممكن أن أكتب مسرحيتى «الكاتب والشحات» فقد كنت أنت ملهمتى لكتابتها.

فى ذلك الوقت كانت هناك فى مصر جراجات تنام فيها السيارات، إلى أن تغيرت الأيام وأصبحت تنامين فى الشارع، بجوار الرصيف تماماً كالمتشردين الذين لا مأوى لهم، هكذا حكمت الأقدار، ولكنى وصدقينى.. لم أكن سعيداً بذلك. ولكن ما باليد حيلة.

ومع مرور الأيام بدأت أكتشف الصفات المشتركة بيننا، اللون الرمادى، الاستجابة السريعة، تواضع الشكل وقوة المضمون، كنت أتركك بجوار الرصيف أسابيع طويلة عندما أكون خارج القاهرة، صيفاً أو شتاء، فى وحل الأمطار أو تحت أشعة الشمس الحارقة، ولكنك بمجرد أن يلمسك مفتاح «الكونتاكت» كان موتورك يدور على الفور ويهدر فى قوة وفرحة وزهو، أشهد أنك لم تخذلينى يوماً واحداً، ومن الغريب أنه حتى الآن لم تمتد يد ميكانيكى لتفتح موتورك أو تعبث فى أعماقك..

بالطبع تعرفين مدى اهتمامى بك. فأنا لم أشتر لأهل بيتى شيئاً إلا أحضرت لك مثله، تذكرين بالطبع العام الماضى، عندما

اشتريت بدلة جديدة ــ وهذا أمر يحدث نادراً ــ لقد اشتريت لك أيضاً فرشاً جديداً لم أقصر فى تلبية احتياجاتك فى يوم من الأيام ، فقد كنت أمدك بأغلى « البوجيهات » وأطعمك أفخر أنواع الزيوت والشحومات ، كان حرصى على صحتك يفوق حرصى على صحتى ، وفى تلك المرات القليلة التى كان ينتابك فيها العطب كنت أسرع بك إلى أكبر الاخصائيين فى علم الميكانيكا .

تذكرين فى البداية أن درجة حرارتك كانت ترتفع باستمرار بدون سبب واضح ، وكان هذا يدفع الحزن فى قلبى ، ولكن تلك المحنة انتهت بتركيب « رادياتير نحاس » بدلاً من الألومنيوم . هل تذكرين ذلك اليوم الذى حدث لك فيه إنسداد فى الكاربوراتير ، لم أنم ليلتها من القلق إن أن تم غسل « التنك » وكل مواسيرك . عند ذلك نمت مرتاح البال والضمير بعد أن استمعت لصوت موتورك الحلو الناعم وهو يعزف لحن العافية والصحة .

اننى أريد أن أثبت لك شيئاً واحداً :

كنت أحبك ، وما زلت ، ومع ذلك ــ وبكل ألم ــ أخبرك بأننا سنفترق .

الفراق هو سنة الحياة ، فنحن فى كل لحظة ، نفارق الأشخاص والأشياء والأماكن واللحظات ، كل شىء وكل علاقة مصيرها إلى فراق ، إلى أن تأتى اللحظة التى نفارق فيها الحياة نفسها .

لا تتصورى للحظة واحدة أن عينى زاغت على سيارة أخرى ، فلم تخرج المصانع بعد سيارة تحتل مكانك فى قلبى حتى لو كانت « الزلكة » .

ولا تتصورى للحظة واحدة أيضاً أننى بدأت أشك فى أدائك ، أو أننى سأفعل بك ما يفعله الأوروبيون قساة القلوب عندما يرسلون بسياراتهم إلى مقابر السيارات ، فأنت تعلمين مدى وفائى للأشياء . المسألة ببساطة هى أن الأيام قضت بأن أسافر فى مهمة طويلة ، قد تقولين : وماله .. حطنى فى جراچ . أعترف إننى فكرت فى ذلك .. ولكن أين هو ذلك الجراچ ؟ .. وحتى لو وجد .. كم سيطلب ثمناً لإيداعك .. وماذا سيحدث لك فى غيابى ؟ .. إن البشر يدمرون كل شىء كما تعلمين ، أنا واثق إنه لن يتبقى منك شىء عندما أعود ، ثم أننى ياعزيزتى ــ عفواً ــ فى حاجة لثمنك ، أرجوك لا تستبشعى صراحتى .. فالناس فى أماكن كثيرة فى هذا العالم يبيعون أولادهم .

ولكن لن أبيعك إلا لمن يعرف قدرك ويقدر تاريخك معى ويحافظ عليك ويعاملك بما تستحقين من رعاية وحب ، ولكن صدقينى سأفعل ذلك والألم يمزقنى ، يا رمادية بلون الأيام ، يا قوية مثل الفرس الجميلة ، يا سريعة ، يا ثابتة على الطريق ، يا قليلة الاستهلاك ، يا أصيلة ومعاصرة ، يا سيارتى .. يا جلى .. إهىء .. إهىء .. إهىء !

الكتابة والفلوس

عزيزى رئيس تحرير مجلة (.......) .

تحية طيبة .. وبعد ..

فى حديثك الأخير معى فهمت من بعض تلميحاتك و إشاراتك إنك تعتقد أن السبب فى إمتناعى عن الكتابة فى مجلتكم الغراء أننى أريد فلوساً مقابل ما أكتبه من مقالات .

لست أدرى بحق السماء ، كيف تسللت إلى رأسك هذه الفكرة البشعة !! .. أنا ؟ .. أريد فلوساً ؟ يا لها من تهمة فظيعة .. كنت أعتقد إنك آخر من يوجهها لى . لإنك تعرفنى جيداً .

إن البشر يبحثون عن الفلوس بكل الطرق ليأكلوا وليشربوا وليشتروا ملابس ولينفقوا على بيوتهم وأولادهم .. أما أنا فشخص مختلف .

أننى لا أشترى بنزيناً لسيارتى ، فهى تسير بالطاقة الشمسية نهاراً

وبالطاقة القمرية ليلاً. وحتى عندما يختفى القمر تحت سحابة عابرة، فإن سيارتى تسير بالطاقة الضوئية المنبعثة من النجوم.. أما الطعام، فأنا لا أدفع فيه فلوساً، ففى منزلى معمل صغير يقوم بتحويل الهواء الجوى وعناصره من أزوت وأكسوچين ونيتروچين إلى مواد بروتينية غنية بكل القيم الغذائية، لحمة وسمك ولنشون وبسطرمة.. إلخ.

أنا أيضاً لا أشترى ملابس، فلقد أقمت فى جزء من الشقة «زريبة» صغيرة فيها عدد من النعاج والخراف والمعيز، نحصل منها على الصوف اللازم لعمل ملابسنا الصوفية الثقيلة شتاء.. أما الملابس القطنية فنحن نحصل عليها من القطن الذى نزرعه فى حديقتنا الصغيرة.

وأعترف أننى لا أضيع الوقت فى صنع أحذيتنا، لأن جيرانى أمد الله فى عمرهم يتبرعون لنا بأحذيتهم القديمة وهى دائماً صالحة للاستخدام فترة طويلة.

كما أننى لا أدفع مليماً واحداً ثمناً للسجائر التى أدخنها، لأننى أزرع الدخان فى الحديقة وأقوم بعمل سجائرى بنفسى فى المعمل.

ومن المعروف للكافة أيضاً أننى لا أدفع مصاريف لأولادى فى المدارس الخاصة، فهناك قرار من اليونسكو (قرار الأمم المتحدة رقم ١٤٢ لسنة ١٩٦٧) يقضى بأعفائهم من مصاريف الدراسة والانتقالات وأعطائهم الكتب والكراريس مجاناً بالإضافة للبنبونى

والشيكولاتة واللبان والمياه الغازية. وهناك قرار آخر ما زالت تدرسه الجمعية العامة للأمم المتحدة وهو يقضى بأعفائهم من ثمن الكنافة والبقلاوة والمصاصة.

وانتهز هذه الفرصة لكى أذكرك بأن اتحاد الكتاب خصص لى شاطئاً خاصاً وشاليهات فى كل من الاسكندرية ورأس البر والاسماعيلية ومرسى مطروح مجهز بكل شيء (الأكل والشرب وخلافه) لذلك فأنا أيضاً لا أدفع فلوساً للتصييف.

وبالطبع أنت تعرف أيضاً أن الحلاقين والميكانيكية والجرسونات وأصحاب المكتبات وباعة الجرائد والسباكين وأصحاب الصيدليات يمتنعون على الفور من مطالبتى بأى فلوس عندما أهمس فى أذانهم أننى أكتب عندكم. بل إنهم يضعون فى جيبى ربع جنيه وأحياناً نصف جنيه، تشجيعاً لىّ لكى استمر فى الكتابة لكم...

لقد وصلنا يا صديقى لوضع فريد بين الأمم...

أنتم تستمتعون بالفلوس بلا كتابة..

ونحن نستمتع بالكتابة بلا فلوس..

وأنا أرى المسألة على هذا النحو عادلة تماماً.

مـــع تحياتـــى..

علــى ســالم

للمؤلف

مسرحيات طويلة

- الناس اللى فى السنة الثامنة
- ولا العفاريت الزرق
- الراجل اللى ضحك ع الملايكة
- حدث فى عزبة الورد
- طبيخ الملايكة
- إنت إللى قتلت الوحش
- مدرسة المشاغبين
- عفاريت مصر الجديدة
- الملوك يدخلون القرية
- العيال الطيبين
- أولادنا فى لندن
- بكالوريوس فى حكم الشعوب
- عملية نوح
- الكلاب وصلت المطار
- خشب الورد

البترول طلع فى بيتنا

مسرحيات فصل واحد

- البوفية .
- بير القمح
- أغنية على الممر.
- الكاتب فى شهر العسل .
- الكاتب والشحات .
- المتفائل .
- الملاحظ والمهندس .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع : ٩٠٨٥/ ١٩٩١ .
الترقيم الدولى : ١ ـ ٦٢ ـ ٥٠٨٣ ـ ٩٧٧ .

عربية للطباعة والنشر
٧، ١٠ شارع السلام ـ أرض اللواء المهندسين
ت: ٣٠٣٦٠٩٨

أيام الضحك والنكد



الفكاهة هى المزاح اللطيف والتمتع بالكلام الطريف والظريف . وهى الطريق السالك إلذى يؤدى إلى الضحك أو الابتسام .. وهى أيضاً وسيلة إلى انتقاد ما يستحق النقد والسخرية بكل ما يجلب السخرية من الأقوال والأفعال والسلوك غير القويم ..

الضحك والابتسام والفكاهة والنقد والسخرية وضرب العيوب ، وكشف طرق الأدعياء والمحتالين ، والدعوة إلى إصلاح المثالب الاجتماعية والحكومية والسلوكية .. كل هذه الوسائل هى أصابع البيانو البيضاء والسوداء التى يعزف عليها على سالم ألحانه .. سواء جاءت هذه الألحان فى شكل مسرحيات كوميدية أو فى شكل مقالات أدبية ساخرة .

ومن المؤكد أن قارىء على سالم يستطيع دائماً أن يستشف أصالة فكر الكاتب وقدرته على السخرية ، فيبتسم أو يضحك على
والنكتة التى تلم شمل الموضوع بأكمله ، كما يستطيع القا
يدرك جدية الهدف الذى يسعى إليه المؤلف ويهدف إلى تحقية



طباعة • نشر • توزيع



١٦ شارع عبدالخالق ثروت - تليفون ٣٩٢٣٥٢٥ - ٣٩٣٦٧٤٣ - فاكس: ٣٩٠٩٦١٨ - برقياً: دار شادو - ص.ب: ٢٠٢٢ - القاهرة

AL-DAR AL-MASRIAH AL-LUBNANIAH PRINTING — PUBLI SHING — DISTRIBUTION

16 ABD EL KHALEK SARWAT St. P.O.Box 2022 Cairo-Egypt PHONE: 3936743-3923525 FAX: 3909618 CABLE DARSHADO